**جامعة بنغازي**



**قسم التاريخ**

**كلية الآداب**

**شـ ، عبة التاريخ الإسلامي**

# المشافي في المشرق العربي الإسلامي

# خلال المدة (132-656هـ/749-1258م)

قُدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات إجازة التخصص العالي

(الماجستير) في التاريخ الإسلامي

**إعداد الطالبة:**

**حنان الشارف عبدالله الفرجاني**

**إشراف:**

**الدكتور/حبيب مصطفى عزالدين**

العام الدراسي: 2013-2014م

| جامعة بنغازي | كلية الآداب |
|---|---|
|  |  |
| قسم التاريخ | شـ عبة التاريخ الإسلامي |

# المشافي في المشرق العربي الإسلامي

# خلال المدة (132-656هـ/749-1258م)

قُدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات درجة الإجازة العالية " الماجستير"

بكلية الآداب قسم التاريخ، بتاريخ 2013/12/23م

**إعداد الطالبة:**

**حنان الشارف عبدالله الفرجاني**

**لجنة المناقشة:-**

| الاسم | الصفة | التوقيع |
|---|---|---|
| أ.د. حبيب مصطفى عزالدين | مشرفـــــــــاً | ..................... |
| أ.د. علي حسين الشطشــاط | ممتحناً داخلياً | ..................... |
| د. صالح المزينــــــــــــي | ممتحناً خارجياً | ..................... |

يعتمد / عميد كلية الآداب

...............................................

**تاريخ المناقشة: 2013/12/23م**

بسم الله الرحمن الرحيم

# [وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ]

صدق الله العظيم

سورة الشعراء، الآية 80

# الإهــداء

إلى الحاضر الغائب الذي زرع في الثقة وحُب الخير، والذي مازالت ذِكراه في قلبي وصُورته لا تُفارِقني.

إلى من اتسم بالحكمة والصبر، وكان لنصحه أبلغ الأثر في كل خطوة أخطوها من بعده، وكان لفراقه وقع على نفسي.

أبــي الحبيب (رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى في جنته).

إلى من رباني صغيرة بعد رحيل أبي، وحمل همي كبيرة، إلى من كان إنموذجاً رائعاً للأخ المثالي أغلى وأحب إخوتي إلى قلبـــي. روح أخي الحبيب "حمد"، سائلة الله عز وجل له الرحمة والمغفرة وأن يجعله في الفردوس الأعلى في الجنة، وأن يُلهمني الصبر على فراقه.

إلى الذي ضحى وصبر وعانى معي مشاق هذه الرحلة، زوجي الحبيب "**فرج المبسوط**" داعية الله عز وجل أن يشفيه ويحفظه ويُطيل في عمره.

إلى أطفالي الأحباء "عبدالرحمن وشهد ورغد وتسنيم وأنس"

أُهدي هذا البحث المتواضع

# الشكر والتقدير

قال الله تعالى في كتابه الكريم [...لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ...] [من الآية 7 من سورة إبراهيم].

الفضل من الله أولاً وأخراً الذي جعلني ممن يحب العلم ويسعى في طلبه والاستزادة منه، ووهب لي من أعانني في هذا الدرب الطويل ومشاقه وساعدني في أن أتجاوزه بكل صبر وحكمة، فله الحمد والمنة وله الشكر والثناء الحسن.

يسرني في هذا المقام أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى أستاذي الدكتور الفاضل **حبيب مصطفى عزالدين** لتكرمه بالإشراف على هذه الرسالة، وما قدمه لي من مساعدة سواء كانت توجيهات ونصائح أو بإمدادي ببعض الكتب، أو دعم معنوي ومساعدته وتقديره لما مررت به من مِحن، والتي عرقلت مسيرتي العلمية، وإن لم توقِفها، فكان بحق نعم المعين بعد الله تعالى في تجاوز تلك الصعاب، فجزاه الله تعالى عني خير الجزاء وجعله له ذخراً يوم الآخرة.

كما أتقدم بجزيل شكري وتقديري إلى جميع الأساتذة الذين درسوني خلال السنة التمهيدية، فجزاهم الله عني خير الجزاء وجعل الله ذلك في ميزان حسناتهم، وأخص هنا بالذكر الأستاذ الدكتور الفاضل **علي حسين الشطشاط** وكان بحق نعم المعلم الفاضل، سائلة الله عزّ وجلّ أن يحفظه ويُطيل في عمره.

وأيضاً الأساتذة الذين درسوني في فترة الليسانس، وشكر خاص للأستاذ الدكتور **صالح المزيني** الذي تشرفت بكونه أحد أعضاء لجنة المناقشة، ولا يفوتني أن أشكر الأستاذ الدكتور **الطيب أحمادي** لما قدمه لي من مساعدة تدل على خُلقه الكريم، فكان

بحق إنموذجاً رائعاً للتواضع والمروءة فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذة **كريمة الحاسي،** والأستاذ **حسين الدرسي** على ما قدموه لي من مساعدة.

أسجل شكري وتقديري إلى العاملين بالمكتبة المركزية بجامعة بنغازي، والعاملين بمكتبة كلية الآداب بجامعة بنغازي، ومكتبة كلية الطب ببنغازي، والعاملين بدار الكتب الوطنية ببنغازي، وأشكر أيضاً الأستاذة الفاضلة أميمة الضراط التي تفضلت بطباعة هذه الرسالة وما كان لها من دور معنوي لإتمامها.

كما لا يفوتني أن أتقدم بخالص شكري لصديقتي في هذه الرحلة وأختي العزيزة حميدة منصور بوشعراية على ما قدمته لي من عون، فكانت نعم الأخت والرفيقة، فجزاها الله عني خير الجزاء، كما لا يفوتني أن أشكر جميع صديقاتي بالدراسات العليا، وفي الحياة العملية ممن لا يتسع المجال لذكرهن، وإلى كل من قدم لي العون حتى ولو بكلمة طيبة.

وأخيراً يسرني أن أشكر أسرتي الكريمة التي شاركتني متاعبي وشجعتني في إتمام هذه الرسالة، فلهم مني كل الشكر والتقدير.

الطالبة

# الفهرس

# المقـ ُـدِ مة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمُرسلين، نبينـــا محمد الصادق الأمين وآله وصحبه أجمعين ومن سار على نهجه وخُطـــاه إلـــى يـــوم الدين. وبعد،،،

اهتم الإسلام بالعلم منذ البداية الأولى لرسالته، وشجع على العلاج ودعا إليه فـــي القرآن الكريم، أو ما خلق الله من وسائل علاج طبيعية، وحارب بتعاليمه السحر والشعوذة فحرَّمهُما، وحثَّ على تلبية احتياجات الجسد والروح، وذلك لأنه لا غنى عن واحـــدة دون الأخرى في العبادة أو العمل، كما دعا إلى التعاطف والتراحم بين الناس ورعاية المرضى والاهتمام بالضعفاء والعاجزين، وكان الرسول (r) القدوة الحسنة في حثَّ المُسلمين على الاهتمام بالمرضى والمعالجة عند أحذق الأطباء، ودعا إلى التداوي، وبيَّن قواعد عديـــدة في المعالجة ودعا إليها. وظهرت العديد من المؤلفات التي تحث على المعالجة به والـــذي ساهم في تطور الطب والبحث عن وسائل العلاج بأنواعها ومقاومة الأمراض ومعالجتها.

وإذا كان من البديهي القول بأن إسهام الأمم في مختلف مجالات الحياة قد أفضى إلى إرساء قواعد الحضارة الإنسانية، فإنه لابـــد مـــن إدراك أن الحضـــارة العربيـــة الإسلامية، والتي هي وليدة لتعاليم الدين الإسلامي، قد طبعت هذه الحضارة بطابعهـــا والذي ارتكز على تغييرها تغييراً جوهرياً، وصقل شخصية الإنســـان المســـلم بطـــابع جديد.

تميزت العصور الإسلامية الزاهرة، بالإبداع والإنتاج الحضاري الرائـــد، فـــي جميع مجالات الحياة، وأن العبقرية العلمية للمُسلمين والتي تميزت بالإنجازات العظيمة في مجالات العلم والمعرفة، كانت تصدر عن أفق مُنير متأثراً بتعاليم الإسلام، فلا أعدو الصواب إذ ما قلت أن الدين الإسلامي هو الذي أرسى قواعد الحضارة الإسلامية.

وفي القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، ظهرت النواة الأولى للمشافي فـــي

عصر الرسول (r) ثم بعد ذلك تحديداً ابتدأت بصورة أوضح في عصر الدولة الأُموية، وذلك في عصر الوليد بن عبدالملك، والذي يعتبر أول من أنشأ المشافي، ثم توالى بعد ذلك ظهور المؤسسات الخيرية التي ترعى الفقراء والمحتاجين، وتمثل ذلك بداية عصر الدولة العباسية ومن ثمَّ قام بعض الخلفاء العباسيين بإنشاء المشافي والإشراف عليها ودعمها من مالهم الخاص، وتطورت المشافي بشكل كبير وسريع، وبلغت أوج ازدهارها، ومع توسع الدولة الإسلامية، والتطور الذي لحقها في مختلف نواحي الحياة، كان من البديهي بأن تتطور من ناحية الخدمات والإدارة والشكل المعماري، والتوسع في إنشائها وشمولها على المعالجة وتعليم الطب بقسميه النظري والعملي وتخريج الأطباء الذين أصبحوا فخراً للأمة العربية عامة والطب خاصة على ما قدموه في هذا المجال من تصحيح لنظريات سابقيهم وابتكارات جديدة ظهرت نتيجة لأبحاثهم.

وما أن جاء القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، والذي يمثل العصر الذهبي للطب العربي الإسلامي، والذي استمر حتى القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وقد تميز هذا العصر بالتطور السريع والإنتاج في مجال الطب وفروعه، وكان أهم ما امتاز به هذا العصر ظهور سريع وتطور لثلاثة عناصر رئيسية وهي تأليف الموسوعات الطبية وبناء المشافي ووضع نظام الحسبة، الذي ضبط مهنة الطب والعمل داخل المشافي لمن درس تخصص معين وعمل فيه امتحان، وبعد تجاوزه يؤهل لممارسته الطب.

وقد تسابق بعض الخلفاء العباسيين والسلاطين والأمراء وأهل الخير على إنشائها في عصر الدولة العباسية، ولم يقتصر ذلك عليهم وحدهم، بل حظيت باهتمام رجال الدولة والأغنياء والأطباء، الذين كان لهم نصيب وافر في بنائها والإشراف عليها ودعمها عن طريق الأوقاف والتي أسهمت في استمرارها مزدهرة لفترة طويلة، وتقديمها لأرقى الخدمات العلاجية والخدمية، والمعالجة المجانية، وتوفير كل ما يُعين المريض ويكفل راحته طوال فترة بقائه فيها، فقد كان المرضى يجدون فيها وسيلة لراحتهم النفسية، قبل المعالجة الجسدية، وقد امتلأت بها المُدن والحواضر الإسلامية

حتى المناطق النائية كانت تتوفر فيها المشافي، فقد كانت على مختلف أنواعها الثابتة والمتنقلة وبمختلف تخصصاتها، وازدهرت بشكل خاص في المدن الإسلامية الكبرى في عصر الدولة العباسية، خاصة في العراق ومصر والشام، ثم بعد ذلك انتشرت في معظم الدول الإسلامية، وهذا ما جعلني أركز على هذه البلدان الثلاث لتكون مشافيها محوراً للدراسة.

**أهمية الدراسة:**

تكمن أهمية هذا الموضوع في محاولتي تسليط الضوء على جانب مهم من جوانب الحضارة الإسلامية والذي يتمثل في المشافي الإسلامية بالمشرق الإسلامي وإبراز الدور الذي لعبته في تقديم الخدمات وتطورها بصفة خاصة، وتطور الطب بها، بصفة عامة، حيث أنه كان يدرس بداخلها بشقيه النظري والعملي (الإكلينيكي) وتمرين الطلبة عليه عملياً، وإيضاح جانب مهم من جوانب تطور العقلية العربية الإسلامية من الناحية العلمية، حيث كان الاهتمام منصب فيها على جميع الجوانب العلاجية الخدمية والتعليمية، وممارسته من ذوي الاختصاص بعد ظهور نظام الحسبة وتطبيق الآداب الطبية المُستقاة من الشريعة الإسلامية.

**سبب اختيار الموضوع:**

يرجع سبب اختياري لهذا الموضوع:

1- ميولي الشخصية إلى دراسة المواضيع الحضارية التي تخص تُراثنا العربي الإسلامي، لإظهار إحدى جوانبه والذي كان للعرب المسلمين دور بارز فيه.

2- إن تاريخ المشافي في المشرق العربي الإسلامي تحديداً في العصر العباسي خلال المدة من 132-656هـ/749-1258م، كان بداية التأسيس الحقيقي لها، وتطورت بشكل سريع في جميع النواحي إلا أن أغلب ما كُتب كان بصورة عامة وعابرة، عند الكتابة في المواضيع التاريخية أثناء الحديث عن أعمال بعض الخلفاء

والسلاطين، كذلك الحال بالنسبة للدراسات التي تناولت المواضيع الحضارية كانت الدراسة حسب رأيي بصورة مبسطة غير كافية باستثناء بعض الدراسات التي تناولت مجال العلوم والطب، فأعطوه جزءً من اهتمامهم، إلا أن الكتابة في أغلبها كانت منهجية ومختصرة وبصورة عامة دون تمييز بينها، فهو في نظري لا يزال يحتاج إلى دراسة وتنقيح وبحث، وهذا ما جعلني أركز على هذا الموضوع.

3- الحاجة لدراسة هذا الموضوع لإبراز العبقرية الإسلامية في مجال إنشاء المشافي والخدمات التي تقدمها، وما كان لها من أثر سواء على صعيد تطور الطب الإسلامي أو المشافي الأوروبية.

**أهداف الدراسة:**

تهدف الدراسة إلى:

1- توضيح جانب مهم من جوانب الحضارة الإسلامية، وهو إنشاء المشافي والدور الذي كان للعرب المسلمين في تطورها من ناحية تقديم الخدمات الطبية والعلاجية والتعليمية، وتنافس الحكام ورجال الدولة على دعمها ورعايتها.

2- دراسة أشهر المشافي بالمشرق العربي الإسلامي ونظام كل منها على حده ومؤسسيها وأشهر الأطباء بها، وما كان لنظام الحسبة من تنظيم لمهنة الطب خاصة داخل المشافي وعدم ممارسته إلا بعد اجتياز الامتحان في التخصص الذي يرغب في ممارسته.

3- تسليط الضوء على الدور الذي لعبته تلك المشافي في تطور الطب في الدولة الإسلامية، ومن ثمَّ أثر المشافي الإسلامية في تطور المشافي الأوروبية وازدهارها، حيث تهدف هذه الدراسة إلى إزالة الغموض الذي يكتنفها لإظهار فضل المُسلمين فيه بالدلائل والبراهين.

**منهج الدراسة:**

المنهج الذي اتبعته في الدراسة هو المنهج التاريخي الوصفي السردي التحليلي المقارن، الذي يعتمد على جمع المعلومات التاريخية من مصادرها وربطها، من ثمَّ تحليلها ومقارنتها وذلك لإبراز الدور الذي لعبته المشافي الإسلامية في تاريخ الحضارة الغربية.

من الطبيعي أن تواجهني العديد من الصعوبات أثناء إعدادي لهذه الدراسة، منها على سبيل المثال، وجود المادة التاريخية لهذا الموضوع في شِتات الكُتب، سواء التاريخ العام أو التراجم أو السير، والجُغرافيا أو الرحالة، مما جعلني ابذل فيه جُهداً مُضاعفاً في جمع أصناف الكُتب، وأيضاً قِلة المعلومات التاريخية عن بعض المشافي أو الأطباء الذين عملوا بها أو تاريخ إنشاء البعض منها، أو الخدمات التي تُقدمها إضافة إلى ذكر بعضها من دون تحديد للتاريخ مما جعلني لا أذكرها لأنها ربما لا تكون ضمن فترة الدراسة، وزيادة التحري عن أهمها ولم شتاتها والتنقيب عنها في المصادر باختلافها، إضافة إلى إغلاق المكتبة المركزية لغرض الصيانة، مما جعلني لم أتحصل على بعض الكتب، فكان اعتمادي على الله أولاً ثم على الكتب التي اجتهدت في الحصول عليها من المكتبات العامة والخاصة بليبيا، والسفر إلى جمهورية مصر وإحضاري لبعض المخطوطات والمراجع العربية والأجنبية التي تخص موضوع الدراسة واعتمادي على كتب الحضارة الإسلامية والكتب الإلكترونية.

**الدراسات السابقة:**

فيما يخص الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع، فهي مازالت قليلة مقارنة بالدراسات الأخرى التي حظيت بها مواضيع الحضارة الإسلامية في مجال تاريخ العلوم، حيث كان التركيز على العلوم الطبية دون الخدمات ودور المشافي في تقدم الطب.

وكان أهم تلك الدراسات:

1- كتاب "**تاريخ البيمارستانات في الإسلام**" لمؤلفه **أحمد عيسى**، حيث تناول هذا الكتاب نشأة البيمارستانات وأنظمتها كما شمل الحديث عن البيمارستانات في الدولة الإسلامية بصفة عامة، وأشهر الأطباء الذين عملوا في بعضها، وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسة حيث أنها يغلب عليها جانب كبير من القصور، وذلك أنها لم تراع التسلسل الزمني والتاريخي، وكانت في أغلب الأحيان تعتمد على الاقتباسات المباشرة دون شرح أو تحليل، إضافة إلى احتوائها على الأخطاء التاريخية إلا أني استفدت منها في الفصل الثالث من الدراسة حيث أرشدتني إلى العديد من المصادر التي تخص موضوع الدراسة.

2- كتاب "**الطب العربي**" **مقدمة لدرس مُساهمة العرب في الطب والعلوم المُتصلة** للدكتور **أمين أسعد خيرالله**، حيث تناول هذا الكتاب لمحة مُوجزة عن الطب قبل الإسلام، والعصر الإسلامي، ومؤرخو الطب العربي، وأهم المُترجمين متناولاً موضوع المشافي وما تحويه، ومعابر نقل العلوم العربية، والطب العربي من القرن الخامس عشر حتى العصر الحديث شاملاً للمدارس والمؤسسات الطبية، وهو كتاب جيد تناول العديد من جوانب الدراسة.

3- كتاب "**مُقدمة في علم الصيدلة وتاريخها**" للدكتورة رسمية شكور، وتناول هذا الكتاب لمحة عامة حول علم الصيدلة وآدابها وقوانينها، وأيضاً تناول الطب في الحضارات القديمة، وصدر الإسلام، والترجمة والطب في المغرب والأندلس، وأيضاً تناول الحديث عن المشافي وأنواعها، وأنظمتها، والمشافي في العراق والجزيرة العربية وبلاد الشام، ومصر إلا أنها كانت بطريقة مختصرة، ورغم ذلك استفدت منها في هذه الدراسة وحاولت بذل الجهد في استدراك ما فات والإحاطة بالموضوع من جميع جوانبه.

هذا وقد اعتمدت في دراستي هذه على مجموعة المصادر والمراجع والدوريات

والتي كان لها الدور الكبير في تغطية العديد من جوانب هذه الدراسة فمن المصادر:

1- كتاب "**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**" **لأبي الفرج عبدالرحمان بن علي بن محمد بن الجوزي** (ت: 597هـ/1200م)، وهذا الكتاب يعتبر موسوعة تاريخية نادرة ويحتوي على ثمانية عشر جزءً، وقد تناول فيه الأحداث التاريخية من السنة الأولى للهجرة مع ذكر وفيات كل سنة وقد استفدت منه في كتابة الفصل الثالث على وجه الخصوص.

2- كتاب "**رحلة بن جُبير**" **لأبي الحُسين محمد بن أحمد بن جُبير الكِناني** (ت: 614هـ/1217م) وهو من أشهر كتب الرحلات والذي وصف فيه كل ما شاهده ومر به، حيث ذكر فيه بعض المشافي وأعطى لها وصفاً دقيقاً من حيث الموقع والشكل وأنظمتها والخدمات التي تُقدمها، وكانت استفادتي منه في الفصل الثالث على وجه الخصوص.

3- كتاب "**مُعجم البُلدان**" **لشِهاب الدين أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي** (ت: 626هـ/1228م) وهو معجم جغرافي قيم، لا يُعد مُعجماً جُغرافيا فقط، وإنما هو كتاب تاريخ وأدب، مرتب على حروف الهجاء، وقد استفدت منه في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

4- كتاب "**إخبار العُلماء بأخبار الحُكماء**" **لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي** (ت: 646هـ/1248م)، وهو من المصادر المهمة التي تخدم هذه الدراسة، وهو مُرتب على حروف الهجاء ويحوي العديد من التراجم للأطباء والفلاسفة القُدامى ومعاصريه من مختلف البلدان وكانت استفادتي منه في كتابة الفصل الأول والثاني والثالث من هذه الدراسة.

5- كتاب "**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**" **لأبي العباس موفق الدين أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أُصيبعة** (ت: 668هـ/1269م)، ويعتبر هذا الكتاب من المصادر التاريخية والطبية ذات القيمة العلمية التي اعتمدت عليها، ويُعد

صاحبه من أشهر الأطباء المعروفين وأُدبائهم المرموقين، ترجم في هذا الكتاب لأطباء العالم المشهورين منذ بدء التاريخ حتى عصره، وقسمه إلى عدة أقسام، وترجم فيه أولاً لأطباء اليونان والرومان، ثم عن الأطباء العرب والعجم والهنود والمغاربة وأطباء مصر والشام كل على حده، وقد أفادني هذا الكتاب كثيراً في الترجمة للعديد من الأطباء، وأيضاً التعرف على أشهر مشافي العالم الإسلامي في المشرق وما تحويه من أنظمة وخدمات، وقد أفادني في التزود بمعلومات مُهمة غطت جوانب كثيرة من هذه الدراسة، واعتمدت عليه في كتابة الفصل الأول والثاني والثالث.

6- كتاب "**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**" **لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان** (ت: 681هـ/1282م)، ويُعد هذا الكتاب من أهم كُتب التراجم، ويحوي على العديد من التراجم رُتبت على حروف الهجاء، وقد أفادني في الفصلين الثاني والثالث.

7- كتاب "**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**" **لتقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي** (ت: 845هـ/1441م)، ويقع هذا الكتاب في جزئين، وهو من الكتب القيمة الذي يركز فيه على خطط مصر وآثارها إضافة إلى التراجم لبعض الشخصيات وذكر لبعض الأحداث التاريخية، وقد استفدت من هذا الكتاب في الفصل الثالث من الدراسة.

أما فيما يخص المراجع الحديثة فكان منها:

1- كتاب "**العلوم العملية في العصور الإسلامية**" لمؤلفه عمر رضا كحاله، ويُعد هذا الكتاب من الكُتب القيّمة التي تناولت العديد من العلوم، ومنها الطب والجراحة، والمشافي في العالم الإسلامي منذ النشأة حتى العصر العثماني، وأشهر الأطباء الذين عملوا بها، وقد استفدت من هذا الكتاب في كتابة الفصل الثالث.

2- كتاب "**تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة**" **لصاحبه محمد زهير البابا**، وهو من الكتب

المهمة إذ احتوى على معلومات قيمة استفدت منها في الفصلين الثاني والرابع.

3- كتاب "**الموجز في تاريخ الطب عند العرب**" **لمؤلفه رحاب خضر عكاوي**، ويعتبر هذا الكتاب من الكتب ذات الأهمية في موضوع الدراسة، حيث وضعني المؤلف على الخطوات الأولى من هذه الدراسة، وقد استفدت من هذا الكتاب في الفصلين الأول والرابع.

كما لا يفوتني أن أشير إلى جهود بعض المُستشرقين المنُصفين للحضارة العربية الإسلامية، حيث أنهم درسوا حضارة العرب وتشربوا الثقافة العربية ووقفوا على الحقائق التي تشير إلى أسبقية العرب المُسلمين في مختلف الميادين وفي الميادين العلمية، أشادوا بدور المُسلمين في الطب وفروعه وبناء المشافي، وقد كانت آراؤهم تفند ما قاله المُغرِضين من بني جلدتهم، ومنِهم على سبيل المثال كتاب **غوستاف لوبون** "**حضارة العرب**" الذي أشاد فيه بدور العرب المُسلمين في مختلف الميادين وأسبقيتهم في العديد من الابتكارات، وكتاب **زيغريد هونكة** "**شمس العرب تسطع على الغرب**" (أثر الحضارة العربية على أوروبا) وهو كتاب قيم أشادت فيه المُستشرقة إلى جهود العلماء المُسلمين في العديد من المعارف والعُلوم، وكانت استفادتي منه في الفصل الرابع من الدراسة، هذا إضافة إلى العديد من المصادر والمراجع والدوريات والمؤتمرات العلمية التي كانت استفادتي منها كبيرة في موضوع الدراسة، والتي سيأتي ذكرها لاحقاً في قائمة المصادر والمراجع إن شاء الله تعالى.

هذا وقد قسمت البحث إلى مُقدمة وأربعة فصول.

فيما يخص الفصل الأول والموسوم بـ "**نشأة المشافي في الدولة الإسلامية**" تناولت فيه نشأة المشافي لُغةً واصطلاحاً، والتطور التاريخي للمشافي، حيث تناولت الجذور الأولى لنشأتها في العصور القديمة، وفي مختلف الحضارات في ذلك الوقت، ثم تطرقت إلى العوامل التي ساعدت على نشأة المشافي، والتي شملت الطب في العصر الجاهلي وصدر الإسلام متمثلة في الطب النبوي والخلفاء الراشدين، والطب في

عصر الدولة الأموية والعباسية، وأيضاً دور الترجمة في تطور الطب الإسلامي، ثم تناولت بداية نشأة المشافي في المشرق العربي الإسلامي وأشهر المشافي التي أُنشِئت في ذلك الوقت، والتي تُعد اللبِنة الأولى في نشأتها وتطورها.

الفصل الثاني فكان بعنوان "**أنواع المشافي وأنظمتها وآدابها الطبية**: فقد تطرقتُ فيه إلى ذكر أنواع المشافي المُتنقلة والثابتة، بنوعيها الفرعية التي تختص بنوع من الأمراض العامة لمختلف الأمراض والخدمات التي تُقدمها تلك المشافي مع ذكر أنظمتها والتي تشمل طرق العمل داخل كل مستشفى من الناحية الإدارية والخدمية، وما تحويه تلك المشافي من صيدليات ومكتبات وقاعات لتدريس الطب، وأساتذة لتعليم الطب ودورهم في علاج المرضى داخل وخارج المشافي، والكتب التي تُدرس في الطب متناولة الجانب النظري والعملي، واختتمت هذا الفصل بإبراز تقاليد وآداب مهنة الطب وما كان للحسبة من دور في ضبط هذه المهنة.

ووجدت من المهم أن يكون عنوان الفصل الثالث "**المشافي في المشرق العربي الإسلامي**" والتي تحدثت فيه عن أشهر المشافي في المشرق العربي إبان حكم الدولة العباسية، وهو أهم محور في الدراسة، والذي تناولت فيه أبرز المشافي في العراق وأيضاً مصر والشام، وأشهر مؤسسي هذه المشافي وأشهر أطبائها وخدمات كل منها على حدٍ وحسب ما توفر لي من معلومات.

الفصل الرابع فكان بعنوان "**أثر المشافي في تطور الطب الإسلامي والمشافي الأوروبية**" تطرقت فيه إلى جانب مهم من الدراسة، وهو تأثير المشافي في تطور الطب في الدولة الإسلامية، واختتمت هذا الفصل الرابع والأخير بأثر المشافي الإسلامية في تطور وتقدم المشافي الأوروبية مبينة لحالها قبل التأثير وأشرت إلى دلائل من المُستشرقين أنفسهم تشيد بفضل المشافي الإسلامية في تطور المشافي الأوروبية، متناولة لأماكن العلاج بالغرب الأوروبي في العصور الوسطى مع ذكر نماذج من مشافيهم مقارنة بالمشافي الإسلامية.

وأخيراً وليس آخراً، أتمنى من الله العلي القدير، أن يحظ عملي هـذا بـالقبول، وأن يجعل الله تعالى فيه نفعاً للدارسين والباحثين، وأن أكون قد وفقت في هذا العمـل المتواضع، فإن أصبت فالفضل لله وحده وله الحمد والمنة، وإن أخطئت فمن نفسي ومن تقصيري، فالكمال لله وحده، واستغفره وأتوب إليه، وما توفيقي إلا بالله عليـه توكلـت وإليه أنيب.

الطالبة

# الفصل الأول
# نشأة المشافي في الدولة الإسلامية

**المبحث الأول: التطور التاريخي لنشأة المشافي.**

**المبحث الثاني: العوامل التي ساعدت على إنشاء المشافي.**

**المبحث الثالث: بداية نشأة المشافي في المشرق العربي الإسلامي.**

لقد حث الإسلام منذ إشراقته على بذل الخير والعطف على المرضى والمساكين، ورعايتهم. ولذلك نجد أن الخلفاء وأهل الخير، كانوا يتسابقون على إقامة المؤسسات العامة التي ترعى المرضى والمصابين بعاهات[1]. فلقد عملت الحضارة العربية الإسلامية، منذ انبعاثها على الجمع بين احتياجات الجسد والروح معاً، واعتبار العناية بجسم الإنسان واحتياجاته ومطالبه من الأشياء الضرورية لتحقيق سعادته وإشراق روحه، ونبَّه إلى ضرورة مقاومة الأمراض والحيلولة دون انتشارها، وفي مقدمة ما أسدته الحضارة العربية الإسلامية للإنسانية، إنشاء المؤسسات الصحية والتوسع في إقامة معاهد الطب[*] وتخريج الأطباء الذين مازالت الإنسانية تفتخر بفضلهم على ما قدموه للعلم عامة والطب خاصة[2].

**المُستشفي لغةً واصطلاحاً:**

أما لغة: فهي مشتقة من "شُفي" وهي المكان الذي يدخله المرضى للاستشفاء وجمعها "مُستشفيات"[3].

واستشفى المريض من علته: طلب الشفاء واستشفى به تداوى والشفاء البرء من المرض[4]. قال تعالى: **[يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ للناس...]**[5]. والشفاء دواء النفس[6]، فقال الله تعالى: **[وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ...]**[7].

والمُستشفى: مكان للاستشفاء يجهز بالأطباء والممرضين والأدوية والأسرة وهي كلها مُحدثة وجمعها مُستشفيات ومشافٍ[8].

أما اصطِلاحاً: فهي الجزء المتكامل في المنظومة الاجتماعية الصحية،

---

(1) محمد زهير البابا: **تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة**، مطبعة طبرية (دمشق، 1975) ص54.

(*) الطب علم يتعرف فيه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة ويستردها زائلة = أبو الحسين بن علي بن سينا: **القانون في الطب**، دار صادر (بيروت، د.ت) 3/1؛ كذلك محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري ابن الأكفاني: **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم**، تحقيق وتعليق عبد المنعم محمد عمر، مراجعة أحمد حلمي عبد الرحمان، دار الفكر العربي (القاهرة، 1990م) ص172.

(2) مصطفى السباعي: **من روائع حضاراتنا**، دار الإرشاد، (بيروت، 1968) ص143.

(3) جبران مسعود: **الرائد معجم لغوي عصري**، دار العلم للملايين، (بيروت، 1964)، ص1372. كذلك إبراهيم أنيس وآخر: **المعجم الوسيط**، دار الأمواج، (بيروت، 1990) ص488.

(4) إبراهيم أنيس وآخر: **المعجم الوسيط**، ص488.

(5) سورة النحل من الآية 69.

(6) إبراهيم أنيس وآخر: **المعجم الوسيط**، ص488.

(7) سورة يونس، من الآية 57.

(8) إبراهيم أنيس وآخر: **المعجم الوسيط**، ص488.

ووظيفتهـــا توفير العناية الصحية الكاملة لجميع أفراد المجتمع، سواء كانت الوقائية أو العلاجية، وأن خدمات العيادة الخارجية فيها تصل لكل عائلة في المنطقة التي تقطنها – علاوة على إنها – مراكز لتدريب العاملين في مجال الصحة والأبحاث الاجتماعية[1].

وعُرفت أيضاً بصورة أكثر عملية، بحيث يمكن أن يشمل على أنواع متعددة من المشافي، فَعُرفت بأنها: "المؤسسة التي توفر وسائل الراحة والتسلية للمريض المتواجد فيها، لغرض العناية الطبية والتمريضية"[2].

والجدير بالذكر، أن هذا المُصطلح لم يكن متداولاً في العصور الإسلامية لأنه من المُصطلحات العربية الحديثة.

لقد عُرفت المشافي بداية بالبيمارستانات وهو لفظ فارسي مُعرب[3]، والمارستان أصلها بالفارسية بيمارستان بفتح الراء وسكون السين، مركبة من بيمار بمعنى مريض وستان بمعنى مكان، ثم اختصرت فصارت مارستان[4]. والمارستان يعني دار المرضى[5]. والبيمارستان والمارستان محل مُعد لمعالجة المرضى وإقامتهم، وهو المُستشفى[6].

وتعتبر المشافي إحدى الإنجازات العظيمة في الدولة الإسلامية أثناء العصور الوسطى، فقد رأى المُسلمون أن علاج المريض دونما نظر إلى وضعه المالي واجباً أخلاقياً، وكانت أغلب المشافي مفتوحة للجميع، ذكوراً وإناثاً صغاراً وكباراً، أغنياء وفقراء، مُسلمين وغير مُسلمين، فكانت تلك المشافي تقوم بالعديد من الخدمات، فهي مراكز للعلاج، ومكاناً ومأوى للمُسنين والعجزة الذين يفتقدون إلى من يقوم بالعناية بهم، وكذلك من اعترضتهم الأمراض وهم بعيدين عن بُلدانهم فإنهم يجدون في المشافي كل رعاية واهتمام[7].

وقد كانت هذه البيمارستانات حسب ما كانت تُعرف به في العصور الإسلامية من

---

(1) أكرم البدو: **المسئولية المدنية للمستشفيات الخاصة**، دار الحامـد للنشـر والتوزيـع (عمـان، 2003) ص22.

(2) المرجع نفسه، ص22.

(3) إبراهيم أنيس وآخر: **المعجم الوسيط**، ص79.

(4) موهوب بن أحمد الجواليقي: **المُعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب الوطنية (د.م، 1969)، هامش 360/7. كذلك أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيـق نزار رضا، مكتبة الحياة (بيروت، د.ت) ص47.

(5) طه باقر: **موجز في تاريخ العلوم والمعارف**، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية (د.م، د.ت) ص167.

(6) لويس معلوف اليسوعي: **المنجد في اللغة والآداب والعلوم**، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، د.ت) ق55/1.

(7) http//www.nlm.nih.gove/exlislamic-medical/image.

بداية نشأتها إلى زمن طويل مشافٍ عامة، تُعالج فيها جميع الأمراض والعلل إلى أن أصابتها الكوارث وتدهورت مع مرور الزمن وهجرها المرضى فصارت كلمة مارستان إذا سُمعت لا تنصرف إلا إلى مأوى المجانين[1].

والجدير بالذكر أنه لم تكن هناك أية تسمية بديلة لكلمة بيمارستان، فهي التي كانت متداولة في الدولة الإسلامية، ولم أعثر على ما يرادفها في بلاد المشرق العربي الإسلامي.

وقد بقيت هذه التسمية على أصلها لأن الفرس قد عرفوها[2]، وكان أشهرها في ذلك الوقت في مدينة جنديسابور[*] التي اشتهرت ببيمارستانها والذي يعتبر أيضاً مدرسة للطب أنشأه كسرى الأول وجلب إليه المُعلمين من بلاد اليونان[3].

كانت الثقافة اليونانية تُدرس في هذه المدرسة إلى جانب التعاليم اليونانية، وكان الهنود يشتركون في التدريس باللغة الفهلوية (اللغة الإيرانية القديمة)، وظلت هذه المدرسة تؤدي عملها في العصر الإسلامي، كما كان في عصر الفرس، وازداد اتصال الفرس بالمسلمين في العصر العباسي[4]، وعندما أُصيب أبو جعفر المنصور (136-158هـ/754-775م) بمرض في معدته سنة (148ه/765م)، ولم يستطع أطباؤه معالجته، دلوه على جورجيس[**] بن بختيشوع رئيس أطباء جنديسابور[1]، ومنذ ذلك الحين اتصل

---

(1) عمر رضا كحالة: **العلوم العملية في العصور الإسلامية**، دمشق، المطبعة التعاونية (د.م، 1972) ص105.

(2) فيكتور الكك: **المستشفيات معالم بارزة في تاريخ الحضارة**، مجلة الفيصل، العدد السابع عشر، المجلد الثالث عشر، السنة الثانية، دار الفيصل الثقافية (الرياض، 1980) ص74-75.

(*) جنديسابور: مدينة بخوزستان، بناها سابور بن أردشير فنُسبت إليه، وأسكنها سبي الروم، وطائفة من جنده وفتحها المسلمون سنة 19هـ/640م في عصر عمر بن الخطاب (13-73هـ/634-643م) = شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر (بيروت، 1977) 2/170-171.
وكانت قرية لرجل يُعرف بجندا، وإن سابور لما أختار موضعها لبينيه مدينة أبى أن يبيعها إلا بشرط أن يشاركه في البناء، فصار اسمها جنديسابور = جمال الدين أبي الحسن بين علي بن يوسف القفطي: **كتاب إخبار العلماء بأخبار** الحكماء، دار الكتب الخديوية (القاهرة، 1326ه) ص93. كذلك عبدالله الماجد: **مدرسة جنديسابور الطبية**، مجلة العرب، الجزء الأول، المجلد الثامن، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر (الرياض، 1967) ص599.

(3) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي (بيروت، 1981) ص61-62. كذلك عمر كحالة: **العلوم العملية**، 111؛ رحاب خضر عكاوي: **الموجز في تاريخ الطب عند العرب**، دار المناهل (بيروت، 1995) ص158.

(4) أحمد أمين: **ضحى الإسلام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1997) 274/1.

(**) كان خبيراً بالطب وذو معرفة بأنواع العلاج، خدم بطبه الخليفة أبو جعفر المنصور وكان ذا منزلة رفيعة عنده وترجم له العديد من الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية. للمزيد على عائلة بختيشوع الطبية ينظر:
( أ ) أبي داوود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بابن جلجل: **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية (القاهرة، 1955) هامش 63/1-64.
(ب) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص183-214.

الخلفاء بهذا البيمارستان ومدرسته الطبية[2].

وقد عُرف أطباء مدرسة جنديسابور بالحذق والمهارة في الطب وأخذوا فضائل كل فرقة من يونانيين وهنود وزادوا عليها بما كانوا يعرفونه من نتاج قرائحهم[3]. وقد اندثر هذا البيمارستان ومدرسته تدريجياً وبشكل طبيعي، وقد زُودت مشافي بغداد[*] ومدارسها الطبية بالعديد من المُعلمين الذين جاءوا منها، فنالت مشافيها شهرة واسعة[4].

وقد كان لمدرسة جنديسابور الطبية وبيمارستانها أبلغ الأثر في تطور الطب عند العرب المُسلمين، حتى أن بعضهم كانوا يتعلمون الطب في مدرستها[5].

---

(1) القفطي: المصدر السابق، ص109-110؛ كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص183؛ غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري: **تاريخ مختصر الدول**، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، 1958) ص124؛ جلال موسى: **الطب والأطباء**، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد التاسع، منشورات وزارة الإعلام (الكويت، 1978) ص59.

(2) أحمد أمين: المرجع السابق، 274/1.

(3) القفطي: المصدر السابق، ص93.

(*) بناها أبي جعفر المنصور سنة (145هـ/762م) وكان سبب ذلك أنه كره سكن الهاشمية التي بناها أخوه أبي العباس بنواحي الكوفة عندما ثارت عليه الراوندية، وكره أيضاً جوار أهل الكوفة لأنه لا يأمن على نفسه منهم، فخرج يرتاد موضعاً حتى وقف على مكاناً أعجبه فقام ببنائها = أبي جعفر محمد بن حرير الطبري: **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف (القاهرة، 1965) 614/7. كذلك عماد الدين إسماعيل المعروف بأبي الفدا: **المختصر في أخبار البشر**، دار الكتاب اللبناني (بيروت، د.ت) 4/1؛ أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري: **الأخبار الطوال**، تحقيق عبدالمنعم عامر (القاهرة، 1960) ص323.

(4) سي الجواد وآخر: **تراث فارس**، اشترك في كتابته وأشرف على نشره أ. ج. أديري، ترجمة محمد كفافي وآخرون، دار إحياء الكتب العربية (د.م، 1956) ص397.

(5) أمين أسعد خيرالله: **الطب العربي مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب والعلوم المتصلة به**، ترجمة مصطفى أبو العز، المطبعة الأمريكانية (بيروت، 1946) ص68.

# المبحث الأول

# التطور التاريخي لنشأة المشافي

من الضروري قبل الخوض في موضوع المشافي في المشرق العربي الإسلامي ضرورة ذكر البدايات الأولى لنشأتها بصفة عامة، التي كان لها أهمية في تطورها مع تقدم المُسلمين حضارياً.

وقد اختلف المُؤرِخون القُدامى والمُحدثين في أصل نشأة المؤسسات الصحية وتاريخها، لصعوبة إرجاع أصل تلك التنظيمات الاجتماعية وجذورها إلى أُمة من الأُمم، أو إلى زمان ومكان مُحددين، ولو توفر بعضها فإنه من الصعب الجزم بها[1]، وقد كانت فكرة تجمع المرضى في مكان واحد لتلقي العلاج فكرة قديمة[2].

تعود أصول المشافي التي تُعنى بالمرضى في **بلاد اليونان** في المعابد الإغريقية إلى سنة 1200 ق.م[3]، ويمكن اعتبار معابد الأسقلبيين[*] في حوالي القرن السابع ق.م في اليونان إحدى أشكال المشافي التي أنشأها الناس[4]. ويروي أن أبقراط[**] أبو الطب المشهور جعل في الحديقة المجاورة لمنزله مكاناً لمعالجة المرضى ورتب فيه خدماً يقومون بمداواتهم وأسماه "أخسندوكين" بمعنى مجمع المرضى[5].

---

(1) سليم الحسنية: **من البيمارستان إلى المستشفى**، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي (دمشق، 1998) ص13.

(2) رحاب عكاوي: المرجع السابق، ص20.

(3) حسان محمد نذير حرستاني: **إدارة المستشفيات**، د.ن (د.م، 1990) ص20.

(*) نسبة إلى أسقلبيوس وهو طبيب يوناني الأصل ولد بمصر وعاش تسعين سنة وأول من تكلم في الطب التجريبي، وكان ذكياً قوي الفهم مجتهداً في علم الطب وخلف ولدين ماهرين في الطب وعهد إليهما ألا يعلمان الطب إلا لأولادهما وأهل بيته وكان آل أسقلبيوس يتوارثون الطب إلى زمن أبقراط = ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص29-33.

(4) رحاب عكاوي: المرجع السابق، ص158.

(**) وهو أبقراط بن ايراقليدس من آل أسقلبيوس تعلم الطب من أبيه وجده، نشأ بمدينة قو، من أشرف أهل بيته وأعلاهم نسباً، وكانت مدة حياته خمسة وتسعين سنة، وكان له عناية بالمرضى وكيفية مداواتهم = ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص43، 47.

(5) تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مؤسسة الحلبي (القاهرة، د.ت) 405/2. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص47. محمد عبدالحمي الكناني الإدريسي الحسني الفاسي: **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية**، منقحة باعتناء وترتيب عبدالله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم (بيروت، د.ت) 350/2 أو

Yosio Kawakffa & Shizu Skat: History of hospitals, the evolution of health care facilities (Japan, 1986) p. 28.

وبروي لنا حسان حرستاني أن العناية بالمرضى في تلك المعابد ركزت على تعريض المريض لأشعة الشمس والهواء وإتباع نظام للراحة والاستجمام والتمرين والطعام، وقيل أيضاً بأن العقاقير استخدمت في تلك المعابد لأول مرة ولكن بشكل محدود، ومن أهم ما عُرف عن الإغريق هو تمكنهم من تشخيص الأمراض بالملاحظة والاستنتاج واستخدام المنطق لتفسير سبب المرض[1]. وأن ما وجد في **مصر وبلاد ما بين النهرين،** وأيام الحضارة البابلية من معابد خُصِصت لرعاية المرضى تُعد في طليعة المشافي التي ظهرت في الحضارات القديمة، فالوثائق التاريخية في مصر تشير إلى أنه حوالي سنة 600 ق.م كانت هناك معابد خُصِصت لرعاية المرضى، سُميت بمعابد الشفاء، وأن الأطباء الذين كانوا كهنة المعابد كانوا يقومون بإجراء بعض العمليات الجراحية المحدودة، وتجبير الكسور، وأنهم كانوا أول من وصف عقاقير عملية، وطوروا طرقاً عملية لعلاج المرضى[2]. وكان هؤلاء الكهنة الأطباء يتعلمون في مدارس مُلحقة بالمعابد، وكان مصدر علمهم ما يجدونه مدوناً على الألواح الطينية التي احتوت على كثيراً من المعلومات المتعلقة بالوسائل الدينية والطرق التجريبية بالإضافة إلى ما اكتسبوه من تجاربهم الخاصة[3].

وقد حذا الأطباء البابليون حذو الأطباء المصريين في وصف العقاقير الطبية والتي كانت تشتمل على الأدوية النباتية وإجراء بعض العمليات الجراحية وخاصة وقت الحروب[4]، وكانوا يعرضون مرضاهم في الأسواق والطرق العامة لعل من يمر بهم يكون قد شاهد أمثالهم من المرضى فيصف لهم الدواء. كما كانوا يكتبون الوصفات الطبية ويعلقونها على جدران المعابد لينتفع بها من هو في حاجة إليها، وكان أطباؤهم من طبقة الكهنة الذين يوجهون اهتمامهم للمعالجة بالرقي والتعاويذ إضافة إلى تعاطي الأدوية، لأنهم كانوا يعتقدون أن الأمراض تنشأ عن تسلط أرواح شريرة على جسد الإنسان[5].

أما في **بلاد الهند،** فقد بنيت مباني ما بين سنة 273 وسنة 232 ق.م، وأطلق عليها اسم السيكيستا (Cikista)، أي معابد الشفاء، وقيل أن الأطباء الهنود كانوا جراحين

---

(1) حسان حرستاني: المرجع السابق، ص20-21.
(2) المرجع نفسه، ص21.
(3) رسمية شكور: **مقدمة في علم الصيدلة وتاريخها**، مؤسسة الورّاق (عمان، 1999) ص129، 133.
(4) المرجع نفسه، ص21.
(5) عبدالحميد العلوجي: **تاريخ الطب العراقي**، مطبعة أسعد (بغداد، 1967) ص134.

مهرة[1].

وفي الفترة التي سبقت ظهور الديانة المسيحية، ساد الاعتقاد في بعض المدنيات بأن المرض ظاهرة غير طبيعية، وذلك لوجود قوة غير مرئية كالأرواح الشريرة، وعندما ظهرت **الديانة المسيحية** غيرت ذلك المفهوم بعض الشيء، وذلك لإيمانهم بأن المرض هو مشيئة إلهية، وعندما يقوم أي شخص بخدمة المرضى فهو في حقيقة الأمر يخدم الله، وهذا يساعد في نهاية الأمر على التخلص من الخطايا وإنقاذ الروح. ولهذا فقد تميزت بالتركيز على الناحية الإنسانية أكثر منها على الناحية العلاجية، وبُنيت بيوت الكهنة "Ecclesiasitic Hostels" لإيواء المرضى والمسنين والمعوزين، حيث قام الكهنة بالاعتناء بالمرضى والقيام بالواجب تجاههم أحياءً أو أموات[2].

أما في **حضارة الرومان القديمة** فقد وجدت أماكن بمثابة مُستشفيات للعناية بالعبيد، وما يمثله في شفائهم من الأمراض في المحافظة على القوى العاملة التي لها دور في الرفع من اقتصاد بلادهم[3].

وحوالي سنة 500م زودت المدن التابعة للإمبراطورية الرومانية القديمة بمُستشفى تابع للكنيسة[*] يعمل فيه مجموعة من المتطوعين الذين كان عملهم في سبيل الله، ولكن ليس لديهم الخبرة ولا الكفاءة ولا المعلومات الطبية للعناية بالمرضى، وقد سيطرت المعتقدات الدينية على الاتجاه العلمي وتركز اهتمام الأطباء المسيحيين على أهمية العطف والرعاية الإنسانية على حساب المعرفة العلمية[4].

وهذا ما كان له تأثير على المشافي الأوروبية لاحقاً والذي أعاق تطور هذه المشافي وهو ما سيكون محور الدراسة في الفصل الرابع إنشاء الله.

أما عند العرب في **العصر الجاهلي**، فلم تُشر المصادر التاريخية إلى وجود أي مشافٍ للعرب[5]، حيث كان العلاج يتم في بيوت المرضى أو بيوت المُتطببين[6].

مما سبق يلاحظ أنه في الحضارات القديمة كانت هناك مشافٍ بصورة بدائية

---

(1) حسان حرستاني: المرجع السابق، ص21.
(2) حسان حرستاني: المرجع السابق، ص22-23.
(3) المرجع نفسه، ص23.
(*) الكنيسة جمعها كنائس وهي محل للعبادة عند النصاري = جبران مسعود: **الرائد**، ص676.
(4) حسان حرستاني: المرجع السابق، ص23.
(5) عمر فروخ: **تاريخ العلوم عند العرب**، دار العلم للملايين (بيروت، 1970) ص291. كذلك حسان حرستاني: المرجع السابق، ص24.
(6) خليل إبراهيم السامرائي: **دراسات في تاريخ الفكر العربي**، جامعة الموصل (الموصل، د.ت) ص310.

لعلاج المرضى وتقديم الرعاية الصحية والطبية، وأن القائمين عليها على معرفة متواضعة بالعلاج والعقاقير، وكان أغلب علاجهم يعتمد على السحر والشعوذة والاعتقاد بوجود الأرواح الشريرة، بالإضافة إلى أن خدماتهم تعتمد بشكل كبير على الناحية الإنسانية وليس على الناحية العلاجية بالدرجة الأولى.

## المبحث الثاني

## العوامل التي ساعدت على نشأة المشافي

**أ- الطـــــب:**

قبل الخوض في دراسة إنشاء المشافي وتطورها أرى ضرورة التحدث بشكل أوسع عن أحوال الطب عند العرب المسلمين باعتباره أحد العوامل المهمة التي ساعدت على نشأة المشافي في الدولة الإسلامية إضافة إلى تطور الطب في حد ذاته أثناء ممارسته فيها.

فالطب هو جزء من المعرفة الإنسانية، نشأ منذ بداية الخليقة ونتيجة لتراكم المعارف الإنسانية عبر العصور والتي كان نتيجتها تطور الحضارة، وكان من البديهي أن الإنسان منذ أن خُلق فكر في وجوده وتأمل ظاهرة الحياة والموت والمرض(1)، حيث أنه قديم قدم العالم وملازماً للإنسان في حالة وجوده(2).

وقد عرفه العرب قبل الإسلام، وإن كانت معرفتهم به متواضعة ومبنية على التجربة والملاحظة وأخبار من سبقهم، ومقتصرة على علاج حالات مرضية محدودة(3). وأهم ما يتميز به الطب العربي وطبعه بطابع خاص، هو جمعه بين علم الأولين من مصريين وبابليين وسوريين وغيرهم من الأمم السابقة(4).

وكانوا يعالجون بالرقى والسحر والكهانة(*) والعرافة(**) وغيرها بالإضافة إلى

---

(1) مرسي محمد عرب: **التراث الطبي العربي بين الأصالة والتجديد**، مجلة المؤرخ العربي، العددان الســـابع والثامن (بغداد، 1968) ص93.

(2) القفطي: المصدر السابق، ص9.

(3) إبراهيم سلمان الكروي، وعبدالتواب شرف الدين: **المرجع في الحضـــارة العربيـــة الإســـلامية**، مركـــز الإسكندرية للكتاب (الكويت، 1984) ص295.

(4) أحمد شوكت الشطي: **العرب والطب**، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، 1970) ص49.

(*) هي إدعاء الغيب كالأخبار عما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب والكاهن لفظ يُطلق على العراف = السيد محمود شكري الألوسي: **بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب**، عنى بشرحه وتصحيحه وضبطه محمد بهجت الأثري، مطابع الكتاب العربي، ط3 (القاهرة، د.ت) 269/3.

المعالجة بالعقاقير النباتية والأشربة وخصوصاً العسل، كما كانوا أيضاً يعالجون بعض الحالات بالجراحة والفصد[***] والحجامة والكي. وفي هذا الصدد ذكر ابن خلدون بأن الطب في ذلك الوقت كان مبنياً في غالب الأمر على تجارب بعض الأشخاص المتوارثة عن مشايخ الحي وعجائزه، وربما صحت بعـض وصفاتهم الطبيـة إلا أنها ليست على قانون طبيعي ولا موافقة للمزاج[1].

وعندما ظهر الإسلام، حارب كل مظاهر الشعوذة في العلاج والتطبب وكان الرسول (**r**) يدعو أصحابه إلى التداوي لمن أصابه مرض واختيار أحذق الأطباء لمعالجة الأمراض[2].

وذكر صاعد الأندلسي عن الطب في صدر الإسلام "كانت العرب في صدر الإسلام لا تعنى بشي من العلم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها حاشى صناعة الطب فإنها كانت موجودة عند أفراد من العرب غير منكرة عند جماهيرهم لحاجة الناس طراً إليها....[3].

وكان من أشهر الأطباء في عصر الرسول (**r**) الحارث بن كلدة الذي تعلم الطب في فارس وأيضاً في بلاد اليمن وبقي إلى عصر معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-680م)[4]، وأيضاً الطبيب ابن أبو رمثة التميمي من الأطباء الذين عاصروا الرسول (**r**) وله معرفة متواضعة بالجراحة[*] التي كانت تعرف بأعمال اليد[5]. وأراد أن يعالج الرسول (**r**) من خاتم النبوة الذي كان بين كتفيه فمنعه من

---

(**) وهي قسيمة الكهانة، فالكهانة مختصة بالأمور المستقبلية والعرافة خاصة بالأمور الماضية واستدلالتها ببعض الحوادث الحالية على الحوادث الآتية = الألوسي: المصدر السابق، 274/3.

(***) الفَصْدُ وهو شق العِرْق، فَصَدَهُ يَفْصُدُ فَصْداً وفِصاداً وهو مَفْصُود وَفَصِد = ابن منظور: **لسان العرب**، ص3420.

(1) عبدالرحمان بن خلدون: **المقدمة**، ضبط المتن ووضع الهوامش والفهارس خليل شحاتة ومراجعة سـهيل زكار، دار الفكر (بيروت، 2001) 651/1؛ كذلك: Peter E. Pormann & Emilie Savage Smith: **Medieval Islamic Medicine** (Cairo, 2007) p. 9.

(2) هاني المبارك وشوقي أبو خليل: **دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبيـة**، دار الفكـر (دمشق، 1996) ص97.

(3) أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي: **كتاب طبقات الأمم**، نشـره وذيلـه بالحواشـي وردافـه بالروايات والفهارس الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، 1912) ص47.

(4) صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص47.

(*) هي فرع من فن الشفاء يختص بالتشخيص والإنذار ومعالجة أنواع الأمراض التي يستلزم شفاؤها وسائط يدوية أو آلية = بطرس البستاني: **دائرة المعارف**، دار المعرفة (بيروت، د.ت) 415/6.

(5) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص170.

ذلك[1].

وكان الطب في صدر الإسلام على امتداد **عصر الخُلفاء الراشدين** لا يختلف كثيراً عن الطب الذي مُورِس قبل الإسلام من قبل بعض المُتطببين بالإضافة إلى بعض المعلومات عندهم وهي تقليدية ومعظمها يهتم بالوقاية الصحية، وممارسته كانت من قبل العرب غير المُسلمين تارة ومن المُسلمين تارة أخرى، حيث بدأ العرب المُسلمون بالاختلاط بغيرهم من الأمم إثر الفتوحات الإسلامية[2].

وقد أُطلق على من يشتغل بالطب اسم حكيم، لأن الطب في ذلك الوقت كان من ضروب الحكمة[3]، لذلك أطلق المُسلمون على الطبيب اسم "حكيم" واتخذت وظيفة معروفة في ذلك الوقت، واشتغل بها العديد من الناس في ظل الدولة الإسلامية سواء كانوا مُسلمين أو غير مُسلمين[4].

وفيما يخص الطب النبوي، فقد حارب الدين الإسلامي الخرافات الطبية، وجعل الطيرة والتمائم من الشرك، وكفَّر من استشار عرافاً أو كاهناً، أو توجه لغير الله، وحث على النظافة وحفظ الصحة في العبادات من وضوء وصوم وغيرها[5] حيث أن الروح والجسد يكمل بعضها الآخر، ومن عظمة الدين الإسلامي أنه اعتنى بالجسد الإنساني كاعتنائه بروحه، وأن الجسم يعتبر قاعدة الروح ووعاؤها فيجب أن تكون قوية الأساس والبنية[6].

والدين الإسلامي يعتبر الاعتناء بالصحة من أهم واجبات الراعي والرعية، إذ أنه يتعذر على السقيم القيام بالفرائض الدينية، والحاجات الدنيوية، كما يصعب عليه أيضاً التمتع بما أوتى من رزقٍ وعقل[7].

وعلى هذا الأساس فقد كان الرسول **(r)** إنموذجاً يقتدى به فيما بعد، فقد حث

---

(1) صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص47.
(2) رحاب عكاوي: المرجع السابق، ص 90، 122.
(3) حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس**، دار الجيل (بيروت، 1996) 395/3.
(4) سلمان الكروي وآخر: المرجع السابق، ص293.
(5) محمد البابا: المرجع السابق، ص37.
(6) نصر بن عبدالله الإمام: **تحذير البشر من أصول الشر**، دار الآثار (صنعاء، 2004) ص243.
(7) عبدالقادر الخلادي: **صور ومشاهد من الحضارة الإسلامية**، منتخبات أدبية، دار الكتب العربية (الرباط، د.ت) ص284.

المُسلمين على طلب العلم وأوصاهم به دون تحديد[1]، لأنه أنفع الأشياء للإنسان ووسيلته للسعادة في الدارين الدنيا والآخرة، وقد كرم الله العلم عندما دعا إليه[2]، حيث أن أول سورة نزلت من القرآن الكريم تدعو إلى طلب العلم، فقال سبحانه وتعالى: [إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(2) إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ(3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(5)][3]. ووردت أيضاً في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تبين منزلة العلم والعلماء، ومنها قوله تعالى: [... يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ][4].

وهذا دليل على مكانة العلم والعلماء عند الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم، ليبين قيمة العلم، فقد كان للإسلام الفضل العظيم في رقي العلم وتطوره.

وعندما ازدهرت الحضارة الإسلامية كان ازدهارها في جميع العلوم، وكان من ضمن ما ازدهر هو الطب، وذلك أن ثمرة الطب هو حفظ صحة الإنسان ووقايته من الأمراض، ودفع كل ما يؤذيه، وبقدر ما ينجح الطبيب في علاجه للمرضى فهو بذلك يساعد على حفظ الصحة والنفس، وحفظ النفس يعتبر من أسمى مقاصد الشريعة الإسلامية[5].

فالرسول (r) دعانا إلى ضرورة التداوي والأخذ بالأسباب، فالتداوي سُنة عن رسول الله (r)، والأدوية من الأسباب التي سخرها الله تعالى لعباده[6]. ففي سنن الإمام أبو داوود عن زياد بن عُلاقة، عن أسامة بن شريك قال: إنه عندما كان عند رسول الله (r) جاءت إليه الأعراب فقالوا: يا رسول الله، أنتداوى؟ فقال: تَدَّاوُوْا فإِنَّ الله عَزَ وَجَلْ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعْ لهُ دواء غير داءٍ واحدٍ وهو الهَرَم"[7].

وكان الرسول (r) يقوم بمداواة نفسه، ويأمر من أصابه مرض من أصحابه

(1) أحلام استيتية: **تاريخ الصيدلة**، دار المستقبل للنشر والتوزيع (عمان، د.ت) ص51.
(2) عامر النجار: **في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 2007) ص15.
(3) سورة العلق، الآيات 1-5.
(4) سورة المجادلة: من الآية 11.
(5) عامر النجار: المرجع السابق، ص17.
(6) المرجع نفسه، ص18.
(7) سليمان الأشعث السجستاني الأزدي المعروف بأبي داوود: **سنن أبو داوود**، إعداد وتعليق: عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم (بيروت، 1997) كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، رقم الحديث 3855، 125/4.

بالتداوي، ولكنه لم يستعمل هو أو أصحابه الأدوية المركبة التي تسمى "بالاقرباذين"[(*)]، بل كان الغالب على أدويتهم المفردة[(1)]، حيث أوصى الأطباء بأنه متى أمكن معالجة المريض بالغذاء، فلا يُعطى شيئاً من الأدوية، ومن يُمكن معالجته بدواء مفرد، فلا يُعالج بدواء مركب، كما نهوا عن استعمال الأدوية الغريبة الغير متداولة، إلا التي صح منها شيء بالتجربة، كما أن المريض إذا مالت شهوته إلى غذاء لا يوافقه فيُعطى منه قليلاً[(2)].

وقد روي الإمام مسلم في صحيحه من حديث ابن الزبير، عن جابر بن عبدالله، عن النبي (**r**) أنه قال: "لِكُلِّ دَاءِ دَوَاء، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاء الدَّاءِ، بَرَأَ بِإِذْنِ الله عَزَّ وَجَلَّ"[(3)]. كذلك جاء في صحيح البخاري عن عطاء بن أبو رباح عن أبو هريرة عن النبي (**r**) قال: "مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلاَّ أَنْزَلَ لَهُ شفاء"[(4)].

وفي هذا الصدد ذكر ابن قيم الجوزية فقال بأن قول النبي (**r**) "لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاء" تقوية لنفس المريض والطبيب، وحثه على طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه، لأن المريض متى عرف بأنه له دواء يشفيه، تعلق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنه مرارة اليأس وانفتح له باب الرجاء، وعندما تقوى نفسه، فهي بذلك تقهر المرض، وأيضاً الطبيب إذا أيقن من ذلك أمكنه طلبه والتفتيش عليه، وأمراض الأبدان على وزن أمراض القلوب، وما جعل الله تعالى للقلب مرضاً إلا جعل له شفاء بضده، فإن علمه المريض واستعمله وصادف داء قلبه شفي بإذن الله[(5)].

كذلك هناك جانب مهم في الطب النبوي لا يمكن إغفاله وهو اهتمامه **بالناحية**

---

(*) الأقراباذين هي كلمة مأخوذة من السريانية وهي يونانية الأصل تعني تركيب الأدوية المفردة وقوانينها وفي القرون الوسطى أخذت مدلولها الدقيق من قبل العلماء العرب حيث أصبحت تعني أيضاً الأدوية المركبة = رسمية شكور: المرجع السابق، ص22؛ كذلك محمود الحاج قاسم: **الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به**، مطبعة الإرشاد (بغداد، 1974) هامش رقم 85/15.

(1) ابن قيم الجوزية: مختصر كتاب **زاد المعاد في هدي خير العباد** الطب النبوي، اختصار وتقديم طارق أبي هشيمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 2008) ص21.

(2) إبراهيم بن عبدالرحمان بن أبي بكر الأزرق: **تسهيل المنافع في الطب والحكمة**، مؤسسة الحلبي (القاهرة، د.ت) ص51.

(3) أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القيشري النيسابوري: **صحيح مسلم**، مؤسسة المختار (القاهرة، 2005) كتاب السلام، باب الطب، رقم الحديث 2204 /942.

(4) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري: **الجامع الصحيح**، تشرف بخدمته والعناية به محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة (القاهرة، 1422هـ) كتاب الطب، باب ما أنزل الله داء إلا انزل له شفاء، رقم الحديث 5678، م122/7/4.

(5) ابن قيم الجوزية: **زاد المعاذ**، ص27.

**الوقائية والناحية العلاجية.**

أما **الناحية الوقائية**، فالإسلام لم يغفلها بل أعطاها الكثير من الاهتمام، ودعا إلى ما يمنع القلق النفسي، فالعقائد، كالإيمان بالله وقدره وإنه الفعال لكل شيء، تبعث في الإنسان الأمن والأمان النفسي، هذا من الناحية النفسية، أما من الناحية الجسدية، فالعبادات كلها وما يلزمها من تحضير مثل نظافة البدن والثياب للصلاة وما يمارس بها من حركات بدنية من ركوع وسجود وقيام والحج والعمرة كلها تعمل على سلامة البدن ووقايته من الأمراض[1].

ومن الناحية الوقائية أيضاً وإقتداء بقوله تعالى: "**وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ**. . ."[2]، فقد ورد عن الرسول (**r**) عدة أحاديث في هذا الجانب تحث على الوقاية من الأمراض، واجتناب المرضى، خشية انتقال العدوى، منها على سبيل المثال، عن الرسول (**r**) قال: "إِذَا سَمِعْتَمْ بالطَّاعُون فِي أَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا"[3].

هذا بالنسبة للناحية الوقائية التي أمر بها الله تعالى في دينه الحنيف وحث عليها الرسول (**r**).

وفيما يخص **الناحية العلاجية** فإذا أهمل الإنسان نفسه، ولم يهتم بصحته، فأصابه المرض فهناك عدة وسائل ذكرها الرسول (**r**) فقد جاء في صحيح البخاري، عن سعد بن جُبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله (**r**): "الشفاءُ فِي ثَلاَثَةٍ شَربة عَسَلٍ، وشَرَطَةِ مِحْجَمٍ، وكَيةِ نارٍ، وأَنْهَى أُمّتِي عَنْ الكّي"[4]، ففي الحديث معنى واضح أن العلاج يتم بإحدى هذه الطرق.

ويجب التنويه عن نقطة مهمة في هذا الجانب، فقد ذكر محمد فريد وجدي في دائرة معارف القرن العشرين أثناء تعريفه للحجامة من دون أي تعليق ما قاله الألماني

---

(1) علي مطاوع: **الطب الإسلامي أو الطب النبوي**، مجلة الأزهر، العدد الواحد والخمسون، المجلد الواحد والخمسون، مجمع البحوث بالأزهر (القاهرة، 1979) 1858/8-1859.

(2) سورة البقرة من الآية 195.

(3) البخاري: المصدر السابق، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم الحديث 5728، م4، 129/7-130.

(4) البخاري: المصدر السابق، كتاب الطب، باب الشفاء في ثلاث، رقم الحديث 5680، م4، 122/7-123. كذلك أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **فتح الباري بشرح الإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري**، تقديم وتحقيق وتعليق عبدالقادر شيبة أحمد، مكتبة الملك محمد الوطنية (د.م، 2001) رقم الحديث، 143/5478.

بلز في كتابه بأن الطب الحديث يقول بضرر الحجامة وخطرها حيث قال: "لا يجوز استعمال الحجامة مطلقاً فإنها عمل خطير يقرب المريض من الموت ... وأني أرجو جميع الأطباء بعدم استخدامها لأجل صحة مرضاهم وطلب لنجاتهم"[1].

وفي المقابل ذكر خيرالله طلفاح في كتابه بأن الطب الحديث كشف عن فوائدها عن طريق الدكتور الألماني الشهير "أومستين بير" الذي برهن على أن المنافع التي تنتج عن الحجامة في الأمراض كبير جداً ومما قاله في هذا الصدد أمام هيئة جمعية الطب في برلين: "إن النجاح الذي سوف يناله الطب من وراء الحجامة لهو نجاح عظيم ومؤكد، وهذا النجاح لا ينحصر في الحالات الجراحية فقط، بل يتعدَّاها إلى الأمراض الباطنية أيضاً"[2].

فما ذكره بلز منافٍ جداً للحقيقة والواقع الذي يثبت عكس ذلك، فقد حارب نوع من العلاج النبوي الذي أثبتت الحقائق والتجارب العلمية مدى النتائج الباهرة التي حققته منه، حيث انتقد العلاج بالحجامة وقال بضررها من دون أن يعطي أية أدلة أو براهين يستند عليها ليثبت بها كلامه. ويأتي نظيره الألماني أومستين ليثبت بالبراهين والأدلة فوائد الحجامة في الطب الحديث ومازال العلم الحديث يُظهر الحقائق والمعجزات في المعالجة بالطب النبوي والذي أرشدنا إليه الرسول (r) وقد ظهرت في الوقت الحاضر العديد من المراكز التي تعالج بالطب النبوي والحجامة بعد أن أثبتت نجاحات كثيرة في العديد من الأمراض وبعد أن انتشرت الثقافة الدينية لدى عامة الناس.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم، يوصون الناس بالتداوي بالطب النبوي بعد أن عرفوا فوائده من الرسول (r) بأنه شفاء من كل الأمراض، بالإضافة إلى العديد من الأمراض التي أرشدنا الرسول (r) إلى علاجها والتي لا يتسع المجال هنا لذكرها، ولكن يجدر بي الإشارة هنا إلى موضوع مهم أشار إليه الرسول (r) أثناء العلاج.

فقد كان من هديه عليه الصلاة والسلام العلاج عند أحذق الأطباء، كذلك حذر الرسول (r) من المعالجة عند من ليس له خبرة ودراية بأمور الطب والمداوة فقال في حديثه: "مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعَلَمْ مِنهُ الطِبُّ، فَهُوَ ضامِن"[*][1].

---

(1) محمد فريد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، دار المعرفة (بيروت، 1971) 358/3.

(2) خيرالله طلفاح: **أنا العربي**، مؤسسة المطبوعات العربية (بيروت، 1979) ص134.

(*) هذا الحديث ورد في العديد من كتب الصحاح لأبي داود وابن ماجة والنسائي، وكلهم عن طريق الوليد عن ابن جريج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وعلق عليه أبو داود في نهاية الحديث قائلا لم

ويُفهم من ذلك أن الرسول (r) دعا الناس إلى التداوي عند أفضل الأطباء، ذوي الخبرة والمعرفة بالطب والعلاج عند أحذقهم وأمهرهم بالطب، كما ضمن الحديث الأخير المسئولية الطبية، التي تعتبر الركيزة الأولى التي يقوم عليها عمل الطبيب في الإسلام، والذي سوف يكون أحد محاور الدراسة في الفصل الثاني بعون الله تعالى.

ومن تأمل في هدي النبي (r) وجده أفضل هدي يمكن به حفظ الصحة، ولما كانت الصحة والعافية من أجل النعم، فيجب مراعاتها، والمحافظة عليها. فعن ابن عباس أن إعرابياً جاء إلى الرسول (e) فقال له ما أسأل الله بعد الصلواتِ الخمس؟ فقال: سَلِ الله العافيةَ، فأعاد عليه، فقال له في الثالثة: سَلِ الله العَافِيةَ في الدنيا والآخرة[2].

فكل هذه الأحاديث النبوية التي ذُكرت تدل دلالة واضحة على الحث والسعي لتعلم الطب والتداوي، مع التسليم بأن الشفاء من الله تعالى، فنرجوه لذلك، مع تطهير أنفسنا لتطمئن بذكر الله، هذا ما يحث عليه الإسلام، وهو يعتبر العلاج الأمثل لطلب الشفاء من الله تعالى مع استعمال الدواء والعلاج – علاج النفس والروح لجلب الطمأنينة، وطرد الانفعالات النفسية، وعلاج مادي عضوي باستعمال الدواء الناجح للمريض، فالله سبحانه وتعالى هو الشافي[3]. فقد قرر الإسلام أن المرض من الله، وأن الإنسان يجب أن يبحث عن ما يشفيه فيما خلق الله من عناصر، وليس ناتجاً عن أرواح شريرة أو شياطين، كما كان يُعتقد قديماً، كما لا يبحث عن علاجه عند السحرة والعرافين والكهنة، وقد منع الإسلام هذه الخرافات وحرَّمها، وبذلك أخذ العلم في مجال الطب يتطور بالبحث والدراسة والتجارب العلمية، الذي اكسبه فتحاً جديداً وتمكن علماء المُسلمين من تركيز جهودهم، على الكشف على العلل والأمراض واكتشاف أدوية نافعة وتجريبها علمياً[4].

---

يروه إلا الوليد ولا ندري هو صحيح أم لا، إلا أن ابن قيم الجوزية في كتابه الطب النبوي ذكر في الهامش أنه حديث حسن.

(1) أبو داود: **كتاب الطب**: باب من تطبب بغير علم فأعنت، رقم الحديث 4586، 4/460-561. كذلك ابن قيم الجوزية: **الطب النبوي**، خرج أحاديثه وعلق عليه محمد محمد تامر ومحمد السعيد محمد، دار التقوى للنشر والتوزيع (الإسكندرية، 1929) ص103؛ كذلك الفاسي: المصدر السابق، 358/1.

(2) ابن قيم الجوزية: **الطب النبوي**، ص163.

(3) عبدالله عبدالرازق السعيد: **الطب ورائدته المسلمات**، مكتبة المنار، (د.م، 1985) ص84.

(4) توفيق يوسف الواعي: **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية**، الوفاء للطباعة والنشر (المنصورة، 1988) ص430-431.

وهكذا فإن الطب النبوي طب شامل لجميع وسائل الوقاية من الأمراض، وكذلك علاجها بشقيه النفسي والجسدي، بالإضافة إلى شيء مهم آخر وهو المشجع الأول على تعلم الطب والبحث عن الدواء حيث أنه الطب النبوي صالح لكل زمان ومكان، فما كان له دور فعال في تطور الطب الإسلامي فيما بعد.

وأيضاً لا يمكن إغفال دور المرأة في الطب العربي، فكانت المرأة سبَّاقة في مجال الخدمات الاجتماعية، فهي لا تتوانى في هذا العمل، وعلى رأس الخدمات التي برزت فيها إسعاف المرضى والجرحى في وقت السلم والحرب، وكان العرب يطلقون عليهن اسم الآسيات لقيامهن بمعالجة الجرحى ومواساتهم، فكن يقمن بتضميد الجروح وإيقاف النزف، وغير ذلك من أعمال الإسعاف، ويسرن مع الرجال في المعارك حاملات أواني الماء وكل ما يحتاج إليه المصاب من اللفائف والجبائر مما يحتاج إليه الجرحى[(1)]، ويوجد العديد من النساء المسلمات اللواتي مارسن الطب في صدر الإسلام منهن رفيدة[(*)] الأسلمية التي قامت بعلاج سعد بن معاذ في الخيمة التي نُصبت لها في مسجد رسول الله (e) في غزوة الخندق[(*)]. وتعتبر رفيدة أول ممرضة في الإسلام[(2)] فكان عملها الرئيسي هو إسعاف وتضميد جروح المصابين في الجيوش الإسلامية[(3)].

كذلك نسيبة الأنصارية[(**)] التي كانت تغزو مع الرسول (e) كثيراً، وهي من فواضل النساء والصحابيات، فتمرض المرضى وتداوي الجرحى، وهي من أشهر الطبيبات اللاتي مارسن الطب في الجاهلية وأدركن الإسلام[(4)].

---

(1) أحمد الشطي: المرجع السابق، ص39.

(*) وهي رفيدة الأسلمية مجاهدة كانت تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة المسلمين = عمر كحالة: **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، مؤسسة الرسالة (دمشق، 1959) 451/1.

(*) تعرف أيضاً بغزوة الأحزاب، وكانت في شهر ذي القعدة السنة الخامسة من الهجرة = أبو عبدالله محمد بن عمر الواقدي **كتاب المغازي**، تحقيق مارسدن جونس، د.ن (لندن، 1966) 440/1. كذلك محمد بن سعد بن منيع الزهري: **كتاب الطبقات الكبير**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، (القاهرة، 2001) 62/2.

(2) عبدالله السيد: المرجع السابق، ص20، 25.

(3) رسمية شكور: المرجع السابق، ص209.

(**) هي نسيبة بنت كعب بن عمرو الأنصارية، امرأة فاضلة ومجاهدة كانت طبيبة مشهورة في الجاهلية، ودخلت الإسلام وخرجت مع الرسول (r) في عدة غزوات، وكانت تسقي وتداوي الجرحى= شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: **نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء**، تحقيق محمد حسن عقيل موسى، دار الأندلس (جدة، 1991) 146/1؛ كذلك الزركلي: **الأعلام**، 19/8؛ عبدالله السيد: المرجع السابق، ص75.

(4) الزركلي: **الأعلام**، 19/8.

أيضاً من الطبيبات الشهيرات، الشفاء بنت عبدالله التي اشتهرت بمعالجة النملة[***] وكانت تُعالِج في عصر الجاهلية منها، ولما هاجرت إلى النبي (e) علمها الرقية منها، وسمح لها بمزاولة عملها[1].

بالإضافة إلى العديد من النساء اللاتي لا يسمح المجال لذكرهن واللاتي كن يقمن بأدوار فعالة في الحروب والغزوات[2]. فقد كانت المرأة العربية لا تقوم بمهنة التمريض بمقابل، بل كانت تقوم بها وقت الحروب والشدائد، رغبة منها ومضحية في سبيل القيام بها على أكمل وجه.

وهكذا كانت المرأة في صدر الإسلام تقوم بدور اجتماعي وإنساني لا يقــدر بثمن، فكن يشاطرن الرجال وقت الشدة في العمل ويُشجِعهن ويداوين جراحاهــم أثناء المعارك، فكن نعم المعين لهم وقت الحاجة وخاصة في الحروب والغزوات.

**أما بالنسبة للطب في الدولة الأموية** (41-132هــ/661-749م) حيث أنه منذ العصر الأموي بدأ الطب يأخذ خطاً جديداً، فقد تسربت إليه التأثيرات اليونانية تدريجياً، وكان ذلك بداية للانتقال من البداوة إلى الحضارة، التي ازدهرت فيما بعد في العصر العباسي[3].

وقد كان بالإسكندرية وأنطاكية[*] وجنديسابور مراكز ثقافية في مختلف العلوم وخصوصاً الطب[4].

ومن أشهر أطباء العصر الأموي ابن آثال الدمشقي[**]، وكان طبيب الخليفة

---

(***) هي قروح في الجبين، وسُميت نملة لأن صاحبها يحس في مكانها كأن نملة تدب عليه وتعضه = ابن قيم الجوزية: **زاد المعاذ**، ص 158.

(1) ابن قيم الجوزية: **زاد المعاذ**، ص159؛ كذلك أحمد الشطي: المرجع السابق، ص39.

(2) سمير يحيى الجمال: **تاريخ الطب والصيدلة المصرية في العصر الإسلامي**، الهيئــة المصــرية العامــة للكتاب (القاهرة، 1999) 26/3.

(3) محمد عبدالرحمان مرحبا: **الجامع في تاريخ العلوم عند العرب**، منشورات البحر المتوســط (بيــروت، د.ت) ص248.

(*) قصبة العواصم والثغور الشامية، ومن أعيان البلاد وأمهاتها. ولها سور عظيم لها ثلاث وستون برجاً وشكلها نصف دائرة، قطرها يتصل بالجبل، ويصعد السور مع الجبل قمته تتم الدائرة. للمزيد ينظر = ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 266/1-267. كذلك زكريا محمد بن محمود القزويني: **آثار البلاد وأخبار** العباد، دار صادر (بيروت،د.ت) ص150-151.

(4) رحاب عكاوي: **الموجز**، ص125.

(**) ينظر ترجمته في ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص171.

معاوية بن أبي سفيان[1] (41-60ه/661-680م) وأيضاً الطبيب تيادورق[***] طبيب الحجاج بن يوسف الثقفي[****] الذي اختص بخدمته[2].

والطبيب الآخر لمعاوية بن أبي سفيان هو أبو الحكم الدمشقي، وقد كان خبيراً بأنواع الأدوية، وله وصفات مشهورة، وقد اعتمد عليه الخليفة معاوية في تركيبات الأدوية وعلاج نفسه[3]. ومن طبيبات العصر الأموي المشهورات "زينب الأودية"، وكانت كحالة (طبيبة عيون) ماهرة وخبيرة بالمداواة والجراحة ومشهورة بذلك بين العرب[4].

**أم بالنسبة للطب في الدولة العباسية** (132-656هـ/749-1258م)، فقد كان الطب في مُقدمة العلوم التي اهتم بها أهل العراق وأولوها عناية خاصة، وترجمت الكتب إلى اللغة العربية بأمر من الخلفاء، وكان في مقدمتها الطب، وكان اهتمام أهل العراق بالطب منذ عهد مبكر وآثرت بحوثهم في الطب وتشخيص الأمراض وطرق علاجها وتطور الجراحة وبناء المشافي تأثير بالغاً في تطور الطب[5].

**ب- الترجمة:**

وكان أول ما اهتم به الخلفاء العباسيون الترجمة[*]، فقد أولوها عناية كبيرة وعهدوا بها إلى علماء عرب وسريان من أهل سوريا والعراق وفارس، وكان أولهم

---

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص171.

(***) ينظر: ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص179-181.

(****) هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبو عقيل الثقفي، كان عامل عبدالملك بن مروان (65-85هـ/684-705م) على خراسان والعراق، وكان ظلوماً سفاكاً للدماء، وتوفي في شهر رمضان سنة 95 للهجرة = أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبو بكر بن خلكان: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه إحسان عباس، دار صادر (بيروت، 1968) 58/2. كذلك الذهبي: **نزهة الفضلاء**، 396/1. عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: **البداية والنهاية**، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر (الجيزة، 1997) 507/12، 511.

(2) القفطي: المصدر السابق، ص74؛ كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص179.

(3) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص175.

(4) المصدر نفسه، ص181.

(5) كرم حلمي فرحات أحمد: **التراث العلمي للحضارة الإسلامية** في الشام والعراق خلال القرن الرابع الهجري، مكتبة زهراء الشرق (القاهرة، 2004) ص583، 586.

(*) عن حركة الترجمة والنقل ينظر إلى كل من:

أ- عصام الدين محمد علي: **بواكير الثقافة الإسلامية وحركة الترجمة والنقل من أواخر القرن الأول وحتى منتصف القرن الرابع الهجري**، منشأة المعارف (الإسكندرية، 1986)، ص7، 62.

ب- مريم سلامة كار: **الترجمة في العصر العباسي**، مدرسة حُنين بن إسحاق وأهميتها في الترجمة، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، 1998) ص9 وما بعدها.

أسرة بختيشوع، وهي أسرة من السريان النساطرة(**) لبراعتهم باللغة اليونانية[1]، واشتهرت في الدولة العباسية وتوارثت الطب حوالي ثلاثة قرون وكان لهم خلالها حظ وافر، وكان لأفرادها منزلة ومكانة عند الخلفاء العباسيين فانتفعوا من الخلفاء، ونفعوا الخلفاء وغيرهم بطبهم وتأليف الكتب الطبية، وقيامهم بأعمال البر والصدقات، وتفقد المرضى والأخذ بأيدي الضعفاء وغيرها من أعمال الخير[2]. وأيضاً اليعاقبة(***) والصابئة(****)، فالسريان كانوا حفظة للثقافة اليونانية سواءً الفلسفية أو العلمية وحلقة الاتصال بينها وبين العرب[3].

لقد شجعت الدولة العباسية حركة الترجمة تشجيعاً كبيراً، وكان لتشجيع بعض الخلفاء لها الدور البارز في تقدمها وازدهارها[4]، فكان للعباسيين شغف بالعلوم والآداب والمعارف والثقافات، إذ أن الدول التي امتد إليها سلطان العباسيين كانت ذات علوم ومعارف، كالفرس والروم بمعنى أن أهم الأسباب التي ساعدت على ترجمة العلوم إلى اللغة العربية ما آلت إليه الدولة العباسية من حضارة، مما استلزم تشجيع العلوم والآداب، ومن هنا نشطت حركة الترجمة[5]. فكان للخلفاء والحكام اهتمام بنشر المعرفة وتشجيع العلم والعلماء واقتناء الكتب وإنشاء المكتبات والإنفاق عليها، حيث حرص الخلفاء والأمراء على اجتذاب العلماء من كل الملل إلى بلاطهم، وأجزلوا لهم العطاء مع الرعاية والتقدير، وتكريماً للعلم وأهله، دون فرق بين مُسلمين وغير مُسلمين، فاحتل غير المُسلمين

---

(**) النساطرة: وهم طائفة من النصارى كانت بالموصل والعراق وفارس وخراسان ينتسبون إلى نسطور بطريرك القسطنطينية. مذهبهم أن مريم لم تلد الإله وإنما ولدت الإنسان، وأن الله لم يلد الإنسان، وإنما ولد الإله = أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني: **الملل والنحل**، تحقيق أمين علي مهنة وعلي حسن فاعور، دار المعرفة (بيروت، 1993) هامش 3، 268/1؛ كذلك فريد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، 183/10.

(1) بطرس البستاني: **أدباء العرب في الأعصر العباسية حياتهم، آثارهم، نقد آثارهم**، دار مارون عبود (د.م، 1979) ص172.

(2) أحمد الشطي: المرجع السابق، ص55.

(***) اليعاقبة: وهم الذين ينتسبون إلى يعقوب البردعاني، وكان راهباً بالقسطنطينية وقيل أنهم أصحاب مذهب ديسقورس، وسمي أصحاب هذا المذهب بيعقوبة، لأن اسمه كان في العلمانية يعقوب، وقيل كان له تلميذ اسمه يعقوب، فنسبوا إليه = الشهرستاني: المصدر السابق، هامش1، 270/1.

(****) صَبَأ من شيء إلى شيء = صُبُوءَا: انتقل، ويقال صَبَأ الرجلُ: ترك دينه ودان بدين آخر، فهو صابئ و(الصابئون) من يتركون دينهم ويدينون بدين آخر وهم قوم يعبدون الكواكب = معجم اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، ص358.

(3) حسين حمادة: تاريخ العلوم عند العرب، دار الكتاب اللبناني (بيروت، 1981) ص42-43.

(4) عامر النجار: المرجع السابق، ص56.

(5) محمد عبدالمنعم خفاجي: **الآداب العربية في العصر العباسي الأول**، دار الجيل (بيروت، 1992) ص52-53.

منهم مكانة مرموقة في الدولة الإسلامية[1].

فقد كانت حركة الترجمة من أهم وأنشط الحركات الفكرية التي وجدت في العالم الإسلامي، وكان من أهم هذا النشاط اندفاع الدولة الإسلامية إلى معرفة تراث الأمم الأخرى خاصةً اليونانية، ووجود طبقة من المُثَّقفين الذين أرادوا الإطلاع على حضارات الأمم الأخرى[2].

وكانت أغلب الكتب والمؤلفات تترجم من اليونانية أو الهندية أو الفارسية أو السريانية إلى اللغة العربية مباشرة، ماعدا ترجمات النساطرة الذين كانوا قبل ظهور الإسلام، قد ترجموا المؤلفات اليونانية إلى لغتهم السريانية فقاموا بعد ذلك بترجمتها إلى اللغة العربية، وقليلاً منها تُرجم من اللغات الأخرى، وكان للسريان قدرة في الترجمة ودقة فائقة[3].

أما عن بداية الترجمة، فكانت في مطلع عصر الدولة الأموية[4]، على يد خالد بن يزيد بن معاوية[*]، فقد كان مُحِباً للعلوم، وكان فصيحاً وشاعراً، وعُرف بحكيم آل مروان، فقد أمر الفلاسفة اليونان الذين كانوا بمصر بترجمة كتب اليونان في الكيمياء[**] Chemistry، وهذه أول ترجمة في الإسلام من لغة إلى أخرى، كما قام أيضاً بترجمة كتب الطب والنجوم[5].

---

(1) سماح سامي: **الطب والصيدلة عند العلماء العرب**، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة، 2007) ص67.

(2) ماهر عبدالقادر محمد: **دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي**، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1991) ص55.

(3) أمين خير الله: المرجع السابق، ص47.

(4) سماح سامي: المرجع السابق، ص73.

(*) هو أبو هاشم خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، كان من أعلم أهل قريش بفنون العلم، وله معرفة بالكيمياء والطب، وتوفي سنة 85هـ/704م = النديم: المصدر السابق، ص303. كذلك ابن خلكان: المصدر السابق، 224/2، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: **كتاب الوافي بالوفيات**، تحقيق واعتناء أحمد الأرناؤوط وتركيب مصطفى، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 2000) 164/13.

(*) هو علم يراد به سلب الجواهر المعدنية خواصها وإفادتها خواص لم تكن لها ولفظ الكيمياء عبراني معرب أصله "كيم يه" ومعنى ذلك آية من آيات الله = أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زادة: **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** في موضوع العلوم، مراجعة وتحقيق كامل كامل بكري وعبدالوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة (القاهرة، 1968) 341/1؛ كذلك ابن الأكفاني: المصدر السابق، ص185.
وقد أثير جدلاً حول اشتقاق كلمة "كيمياء" فيرى البعض أنها مشتقة من كلمتين .chem وkmt أي التربة السوداء، وهو الاسم الذي أطلقه المصريين القدماء على بلادهم إما إشارة إلى الخصب والبركة، أو رمزاً إلى السر والخفاء الذي يجب أن يكتنف هذا العلم. ويرى البعض الآخر أن الكلمة مأخوذة من الفعل اليوناني chio الذي يفيد السبك والصهر والإذابة = محمد مرحبا: المرجع السابق، ص309.

(5) النديم: المصدر السابق، ص303، 419.

كما ترجم في خلافة عمر بن عبدالعزيز (99-101هـ/717-719م) كُنَّاش[*] أهرن بن أعين الأسكندراني الذي وجده عمر في خزانة الخلافة، فاستخار الله في إخراجه لينتفع به المُسلمين، فلما تم له ذلك أمر ماسرجويه البصري[**] بترجمته من اللغة السريانية إلى اللغة العربية[1]، إلا أن الترجمة في عصر الأمويين كانت تقوم على مبادرات فردية تموت بموت القائمين عليها، ومقصورة على بعض العلوم[2], ولم تزدهر إلا في عصر الدولة العباسية، حيث اهتم بها الخلفاء ورعوها حق الرعاية، ورغَّبوا المترجمين بالبذل والعطاء الكثير لهم وجعلوا لهم رواتب وبالغوا في الإغذاق عليهم بالأموال والهدايا، وكان أكثرهم من السريان والنساطرة، لأنهم كانوا أكثر إطلاعاً على علوم اليونان، وأقدر من غيرهم على الترجمة من اليونانية[3].

وقد كان أول من اهتم بأمر العلم الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور[4] حيث أمر طبيبه جورجيس بن بختيشوع، رئيس أطباء جنديسابور بترجمة العديد من الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية[5]. وأيضاً يوحنا بن البطريق[***] الذي قام بترجمة العديد من الكتب من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية[6].

أما عصر هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م) كان عصر الازدهار والحضارة، وأصبحت فيه بغداد عاصمة العالم، وتفوقت في النواحي السياسية والثقافية والاقتصادية، كما نشطت في عصره العلوم[7]، فقد كان محباً للعلم والأدب وموقراً

---

(*) الكُنَّاشة وهي الأوراق تُجعل كالدفتر تقيد فيها الفوائد والشوارد = مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، ص543.

(**) وهو طبيب يهودي المذهب سريانياً، قام بترجمة الكتب من اللغة السريانية إلى اللغة العربية وذلك في عصر الدولة الأموية = ابن جلجل: المصدر السابق، ص61؛ كذلك القفطي: المصدر السابق، ص213؛ ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص232-234.

(1) ابن جلجل: المصدر السابق، ص61. كذلك القفطي: المصدر السابق، 213؛ بن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص232.

(2) جرجي زيدان: **تاريخ التمدن الإسلامي**، مطبعة الهلال (بيروت، د.ت) 162/3.

(3) المرجع نفسه، 162/3.

(4) مصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة: **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، عني بتصحيحه وضبطه وتعليق حواشيه محمد شرف الدين بالتقايا ورفعت بيلكه الكيسي، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 1991) 34/1.

(5) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص183.

(***) كان مولى المأمون أميناً على الترجمة، حسن التأدية للمعاني وتغلب عليه الفلسفة، ولم يخدم بطبه ملكاً ولا أميراً = ابن جلجل: المصدر السابق، ص67.

(6) النديم: المصدر السابق، ص304؛ كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص282.

(7) أحمد الشطي: المرجع السابق، ص51.

لأهله[1]، وكان مهتماً بتحصيل المعارف العربية في الدين والأدب مع بعض الترجمات[2]، فيقال أن هارون الرشيد قال للطبيب جبريل بن يختيشوع وهو حاج بمكة: "يا جبريل علمت مرتبتك عندي؟ قال يا سيدي وكيف لا أعلم؟ قال له: دعوت لك والله في الموقف دعاءً كثيراً"[3]، وهذا إن دل فإنه يدل على ما بلغه الأطباء والعلماء من مكانة مرموقة عند الخلفاء.

وقد نشطت الترجمة في عصره أيام البرامكة[*] بفضل تشجيعهم العلوم، فاهتموا بها وبذلوا في ذلك مساعٍ كثيرة ليُدخلوا المعارف والعلوم وهي التي كانوا على معرفة بها قبل اتصالهم بالخلفاء[4]، وكان لهم العديد من المُترجمين الذين قاموا بترجمتها إلى اللغة العربية[5].

أما في عصر المأمون (198-218هـ/813-833م) فقد قويت حركة الترجمة من مُختلف اللغات إلى اللغة العربية في مُختلف العلوم، وبلغت مساندة المُترجمين والعلماء والأطباء بالشكل الرسمي أوجها في خلافته، حيث كان مولعاً بالعلوم شغوفاً بمناقشة المسائل الفلسفية والمسائل الدينية[6]، فقد أرسل إلى ملوك الروم يطلب منهم إرسال ما عندهم من كتب الفلسفة والطب وغيرها من المؤلفات، وأحضر لها أمهر المترجمين لترجمتها، فقامـــوا بترجمتهـــا على أحسن ما يمكن[7]، وازدهـــــــر

---

(1) أحمد يوسف القرماني: **أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ**، دراسة وتحقيق أحمد حطيط، وفهمي سعد، عالم الكتب، (بيروت، 1992) 83/2.

(2) محمد رضوان: **أسرار الأمير العاشق**، ليالي هارون الرشيد بين الحقيقة والأسطورة (القــاهرة، 1998) ص108.

(3) ابن أبي أصيبيعة: المصدر السابق، ص192.

(*) هي أسرة فارسية عريقة يرجعون إلى جدهم برمك أصلهم من مدينة بلخ ممن يتولون معبد النوبهار وبيت النار، قيل لهم البرامكة على معنى أنهم سدنة البيت وحجابه، اعتنقت هذه الأسرة الإسلام زمن الدولة الأموية، وأصبح لهم شأن كبير زمن الخلافة العباسية = ابن خلكان: المصدر السابق، 219/6. كذلك المطهر بن طاهر المقدسي: **كتاب البدء والتاريخ**، مكتبة الثقافة الدينية (د.م. د.ت) 104/6، محمد دياب الأتليدي: **إعلام الناس بما وقع للبرامكة من بني العباس**، دار صادر (بيروت، 1990) ص237، محمد فريد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، 153/2.
وبرمك أو برموك ليس باسم ولكنه لقب كبير سدنة معبد النوبهار وهو سمة عامة لكن سدنته ومن أجل ذلك سُميت البرامكة وفي الأرجح أنه معبد بوذي = شاكر مصطفى: **دولة بني العباس**، وكالة المطبوعات (الكويت، 1973) 456/1-457.

(4) نافع توفيق العبود: **في تاريخ الترجمة عند العرب**، مجلة المؤرخ العربي، العدد العاشر، الأمانة العامـــة لاتحاد المؤرخين العرب (بغداد، 1974) ص149.

(5) النديم: المصدر السابق، ص304-305.

(6) سماح سامي: المرجع السابق، ص68-69.

(7) النديم: المصدر السابق، ص304-305.

فــي عصـــــــره "بيــــت الحكمة"[*] ازدهاراً كبيراً وبمرور الوقت أصبح أكبر وأعظم مركز ثقافي[1].

والجدير بالذكر أن العناية بالترجمة لم تكن مقصورة على الخلفاء أو الوزراء في العصر العباسي، بل اهتم بها أيضاً ذوو اليسار ممن كان لهم اهتمام بترجمة العلوم إلى اللغة العربية[2]، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: محمد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر[**] المنجم، الذين بعثوا إلى بلاد الروم من يقوم بإحضار الكتب والعلوم القديمة، فجاؤوهم بأظرف الكتب وأغرب المصنفات في مختلف العلوم من طب وفلسفة وموسيقى وهندسة[3]، وقاموا باستدعاء المترجمين من مختلف الأماكن لترجمتها ومنحوهم الأموال الكثيرة في سبيل ذلك[4]، فقد كانوا يعطون لمن يقوم بالترجمة في السفر الواحد خمسمائة دينار مقابل الترجمة والملازمة[5].

لقد استطاع علماء العرب والمسلمين أن يضيفوا إلى الطب الكثير من اكتشافاتهم، والتي كانوا السبَّاقين إلى معرفتها وإضافة إلى ذلك اهتموا بالجانب الإنساني من الطب، حيث كانوا أيضاً السبَّاقين إلى إنشاء المشافي[6] والتي تطورت مع الطب وانتشرت في جميع أنحاء الدولة الإسلامية[7].

تكاثرت المشافي باسم البيمارستانات في جميع أنحاء الدولة الإسلامية بعد القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[8].

---

(*) بيت الحكمة أو (خزانة الحكمة) كانت أكبر مكتبة في العصر العباسي أسسها الخليفة هارون الرشيد، وكان بها العديد من العلماء من مختلف الثقافات لترجمة الكتب اليونانية، ولها رئيس له أعوان، وكانت الكتب اليونانية فيه تترجم وتنسخ، وفي عصر الخليفة المأمون تسع بيت الحكمة وازدهر. للمزيد ينظر: أحمد أمين: المرجع السابق، 61/2-66.

(1) عامر النجار: المرجع السابق، ص57.

(2) نافع العبود: المرجع السابق، مجلة المؤرخ العربي، ص153.

(**) هم بنو موسى أبناء شاكر ثلاثة إخوة اشتهروا بعلم الحساب والهيئة، وكانوا يشرفون على حركة الترجمة وجلب المخطوطات من آسيا الصغرى = ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، هامش 260/1.

(3) النديم: المصدر السابق، ص304. كذلك القفطي: المصدر السابق، ص208.

(4) النديم: المصدر السابق، ص304.

(5) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص260. كذلك جرجي زيدان: المرجع السابق، 170/3.

(6) فتحي علي يونس: **أثر العرب والمسلمين في الحضارة الأوروبية**، مطــابع ســجل العــرب (القــاهرة، 1996) ص13.

(7) عبدالغني ماجد السروجي: **تاريخ طب الأسنان**، وأصول مزاولة المهنة، المطبعــة الجديــدة (دمشــق، 1986) ص35.

(8) عباس محمود العقاد: **أثر العرب في الحضارة الأوروبيـــة**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيـــع (القاهرة، 1998) ص37.

وكان أهم ما تميزت به الحضارة الإسلامية إنشاء تلك المشافي لتقديم الرعاية الصحية والخدمة لكافة أفراد المجتمع في الدولة الإسلامية[1].

وهكذا يتضح لنا الدور الذي قام به بعض الخلفاء العباسيين في النهوض بالترجمة ومن بينها الكتب الطبية التي لها أهمية في دراسة الطب وتدريسه بالمشافي فيما بعد. وأصبح القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي العصر الذهبي للطب العربي، وظهر فيه العديد من الأطباء الذين صححوا العديد من النظريات وابتكروا ما هو جديد في مجال العلوم الطبية.

(1) كرم أحمد: المرجع السابق، ص601.

## المبحث الثالث

## بداية نشأة المشافي في المشرق العربي الإسلامي

إذا كان المُستشفى مكاناً للعلاج ورعاية المرضى، فإن الرسول (r) يعتبر أول من قام بإنشاء مُستشفى وذلك حينما خصص خيمة في مسجده في غزوة الخندق[*] لعلاج الجرحى[1].

فقد جاء عن الرسول (r) بأنه عندما أُصيب سعد بن مُعاذ في أكحله، ضرب الرسول (r) خيمة في المسجد ليعوده من قريب[2].

وبذلك تعتبر هذه الخيمة أول مُستشفى حربي ومُتنقل أُقيم في الإسلام[3]، حيث أن أغلب المؤرخين المُسلمين يعتبرون نواة هذه المشافي في الإسلام تلك الخيمة التي أمر الرسول (r) بإقامتها في غزوة الخندق[4]، والتي قامت على غرارها المشافي الحربية[**] فيما بعد.

وقد سار الخلفاء على نهج الرسول (r) في توفير الخدمات للجرحى في الفتوحات الإسلامية، والتي توسعت فيما بعد، وتطلب ذلك إنشاء مختلف أنواع المشافي وشهد عصر الدولة الأموية بداية لبناء هذه المشافي[5]، أما أول مُستشفى ثابت أقيم في الإسلام، فهو الذي بناه الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك (86-96هـ/705-714م)

---

(*) وتُعرف أيضاً بغزوة الأحزاب، وكانت في شهر ذي القعدة، السنة الخامسة من الهجرة = الواقدي: المصدر السابق، 440/1-441. كذلك محمد بن سعد منيع الزهري: **كتاب الطبقات الكبير**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، (القاهرة، 1200) 62/2.

(1) يوسف محمود: **الإنجازات العلمية في الحضارة الإسلامية**، دار وائل، (عمان، 2004) ص153.

(2) أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: **العقد الفريد**، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية (بيروت، 1983) 393/3. كذلك البخاري: المصدر السابق، **كتاب الصلاة**، باب الخيمة في المسجد للمرضى وغيرهم، رقم الحديث 463، 100/1، الفاسي: المصدر السابق، 351/1.

(3) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص9-10. كذلك عبدالله السيد: المرجع السابق، ص24-25، أحمد فؤاد باشا: **أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 2007) ص139.

(4) محمود الحاج قاسم محمد: **الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به**، مكتبة الإرشاد (بغداد، 1974) ص109.

(**) انظر ص 33-34 من هذه الرسالة.

(5) تحسين أحمد جهاد: **الموجز في تأريخ الصيدلة**، العلمية للنشر والتوزيع (عمان، 2006) ص162.

ووضع فيه الأطباء[1]، وخصص لهم مرتبات[2]. ويؤكد القلقشندي أيضاً بأن أول من اتخذ المشافي في الإسلام للمرضى الوليد بن عبدالملك[3]، فقد كان عصر الوليد عصر مجد وعظمة للدولة الأموية، فقد اتسعت فيه أطراف الدولة العربية، وبرزت فيه مواهب قواد العرب، وارتقت الفنون وازدهرت العمارة[4].

فقد وصلت الفتوحات الإسلامية في عصره ذروتها من أسبانيا غرباً إلى وسط آسيا والسند (باكستان حالياً) شرقاً، فكان من الطبيعي أن يزداد عدد المشافي، حتى أصبح لكل مدينة كبيرة مُستشفى خاص بها[5].

كذلك كان له اهتمام بالضعفاء من الناس، فقد أعطى كل مقعد خادم، وكل ضرير قائد، وأمر بحبس المجذومين في دور خاصة بهم، حتى لا يختلطوا بالناس، وأجرى عليهم وعلى العُميان الأرزاق[6]، فقد كان له اهتمام بأصحاب العاهات[7].

وعندما تحدث ابن جُبير عن رحلته التي زار فيها دمشق في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي وصف البيمارستان فقال: "... وبها مارستان قديم وحديث[*]، ... وهذا القديم غربي الجامع المكرم"[8]. وأيضاً عندما يصف الجامع الأموي بدمشق يقول بأنه له باب غريب يُعرف بباب البريد[9]، كذلك ذكر ابن أبي أُصيبعة بيمارستان باب البريد عندما ترجم للطبيب عزالدين[**] السويدي[10] إلا أن

---

(1) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، مطبعة بريل (ليدن، 1983) 348/2. كذلك المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 405/2؛ الفاسي: المصدر السابق، 350/1 أو Kawakffa & other: op. cit., p. 30.

(2) المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 405/2؛ كذلك الفاسي: المصدر السابق، 350/1.

(3) أبو العباس أحمد القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1992) 431/1.

(4) علي إبراهيم حسن: **التاريخ الإسلامي العام**، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، د.ت) ص313.

(5) Kawakffa & other: op. cit., p. 30.

(6) اليعقوبي: المصدر السابق، 348/2. كذلك الطبري: المصدر السابق، 496/6، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي: **لطائف المعارف**، تحقيق إبراهيم الأبياري، حسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية (د.م، د.ت) ص 18، المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 405/2، جلال الدين عبدالرحمان بن أبي بكر السيوطي: **تاريخ الخلفاء**، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، مكتبة نزار مصطفى الباز (الرياض، 2007) ص192.

(7) الثعالبي: المصدر السابق، ص18.

(*) يقصد البيمارستان النوري.

(8) أبو الحسن محمد بن أحمد بن جُبير: **رحلة بن جُبير**، دار صادر (بيروت، د.ت) ص255.

(9) ابن جُبير: المصدر السابق، ص242.

(**) ينظر ترجمته في ص117 من هذه الرسالة.

(10) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص759.

المصادر لم تذكر بيمارستان بهذا الاسم، والراجح أنه هو نفسه البيمارستان الصغير الذي عُرف بالقديم أيضاً لتمييزه عن البيمارستان النوري الكبير في دمشق لأنه من خلال وصف ابن جبير بأن الجامع الأموي له باب يُعرف بباب البريد يقع في جهة الغرب والبيمارستان الصغير أيضاً يقع في جهة الغرب قبلة الجامع الأموي. ولم يذكر إلا هذين البيمارستانين وإن عزالدين السويدي عمل طبيباً في هذا البيمارستان والبيمارستان النوري، والبيمارستان الصغير كان يعمل حتى عصر نور الدين وهذا على الأرجح نفس البيمارستان.

وبعد ذلك تتابع إنشاء المشافي حيث شمل جميع البلدان الإسلامية في الشرق والغرب في جميع عصورها، وذلك باعتبارها جزءً أساسياً من رعاية شؤون الرعية بمختلف أديانها وأعراقها، وقد قام بها الرسول (**r**) بنفسه[1].

وبلغت أعلى درجات من التقدم والتطور في عصر الدولة العباسية، ومع توسع الدولة وما لحقها من تطور اجتماعي واقتصادي كان لابد من التوسع في إنشاء الكثير منها، وإتباع نظام أكثر تطوراً في إدارتها وتوفير كل ما تحتاج إليه من إمكانيات[2].

وكانت البدايات بسيطة وبإمكانيات متواضعة، ثم بعد ذلك تطورت وازدهرت، بفضل العوامل التي كان لها دور في ازدهارها ورقيها، وهذا ما سيكون محور الدراسة في الفصول التالية إنشاء الله.

---

(1) يوسف محمود: المرجع السابق، ص154.
(2) تحسين جهاد: المرجع السابق، ص163.

# الفصل الثاني

# أنواع المشافي وأنظمتها وآدابها الطبية

**المبحث الأول: أنواع المشافي.**

**المبحث الثاني: أنظمة المشافي.**

**المبحث الثالث: تدريس الطب.**

**المبحث الرابع: تقاليد وآداب مهنة الطب.**

يمكن تقسيم المراحل التي مرت بها المشافي إلى عدة أقسام، وهو ما ينطبق على حياة الدولة الإسلامية، فكانت الأولى إنشائية، حيث شُرع في بناء المشافي مُنذ العصر الأول للدولة العربية الإسلامية، وبلغت أوج ازدهارها من حيث التجهيز والخدمات والعدد في فترة ازدهار الحضارة، ثم انحدرت بتقهقر تلك الحضارة وضعفها، حتى تحولت مع قلة الرعاية والدعم المالي والمعنوي إلى بيوت وملاجئ للمجانين[1].

وقد تكامل إنشاء المشافي في العقد الثاني من حكم الدولة العباسية فكانت هناك مشافٍ عامة وأخرى خاصة، بكل أنواعها المعروفة في ذلك الوقت، وأيضاً كان هناك مشافٍ مُتنقلة وهي بمثابة مستوصفات[*] التي تواجدت في الأماكن العامة لعلاج المُصابين في المناطق المزدحمة وتقديم الخدمات لهم من علاج وأدوية، إضافةً إلى الدور والملاجئ الخيرية التي كانت موجودة في بداية عصر الدولة العباسية[2].

وكانت المشافي في بداية عصرها متواضعة، ثم ازدهرت مع التطور الحضاري وأصبح لها نظام دقيق تسير عليه[3].

---

(1) محمد نزار خوام ومحمد عفت عبدالله وحسن إبراهيم الشوري: **تاريخ العلاج والدواء** في العصور القديمة – العصر الإسلامي – عصر النهضة في أوروبا، دار المريخ (الرياض، 1990) ص75-76.

(*) مفردها مستوصف، وهو مكان للاستشارات الطبية على اختلاف أنواع الأمراض وهو مستشفى صغير، تابع لمعهد أو مؤسسة أو جمعية أو نحوها = **المنجد الأبجدي**: دار المشرق، (بيروت، 1986) ص948. كذلك جبران مسعود **الرائد**، ص1311.

(2) خير شواهين: **دور العلماء العرب في نهضة الحضارة الغربية**، دار المسيرة (عمان، 2007) ص135.

(3) محمد كامل حسين: **الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب**، د.ن (القاهرة، د.ت) ص227.

# المبحث الأول

## أنواع المشافي

لقد عرف العرب المُسلمون أنواعاً عديدة من المشافي، وكان بعض الخلفاء والحكام والأمراء والأغنياء يخصصون جزءً من ممتلكاتهم، للإنفاق عليها وهي التي عُرفت باسم الأوقاف[*] في ذلك الوقت[1]. ومن المعروف أن هذه الأوقاف بمعناها الدقيق شُرعت في الإسلام لتكون صدقة جارية، وهي بذلك قامت بأداء رسالة ضخمة في رعاية المؤسسات الاجتماعية الخيرية[2]. ولهذا كان يُعالج فيها جميع المرضى من أغنياء وفقراء مجاناً – في أغلب المشافي – وكانت تُقدم لهم الأغذية والأدوية المناسبة، وفقاً لما يحدده الطبيب المُعالج، وبعض المشافي خصصت مبلغاً يُدفع للمريض عند تماثله للشفاء ومغادرته للمستشفى ليصرف بها خلال فترة النقاهة، لأنه خلال هذه الفترة لا يستطيع العمل، وذلك في مدة يحددها له الطبيب[3].

إن تأسيس المشافي لم يكن وقفاً على الخلفاء والسلاطيـــن والأغنياء فقط، بل أيضاً نجد أن الأطباء كان لهم دور في تأسيسها وقد تولى إدارتها كبار القوم، كما أشرفت عليها الدولة أيضاً وكان المتولي لأمرها يطلــــع باستمرار على أوضاعهـــا وسير أمورهـــا مـــن وقت لآخر وزيارتها ويتفقد أحوال المرضى بها ليطمئن على أوضاعهـــا[4]. ومثالاً على ذلك، فقد رُوي ثابت[*] بن سنان بن قرة[**] عن والده، إنه

---

(*) مفردها وَقْفَ وهو بمعنى حبس الدار أو نحوها في سبيل الله = جبران مسعود: **الرائد**، ص871. وفي الاصطلاح الفقهي هو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة، وهو على نوعين أهلي ويقصد به وقف المرء على نسله أو ذريته أو أقاربه أو أولاده أو بعضهم، وخيري وهو الوقف على جهة بر معروفة مثل المساجد والمدارس والملاجئ والمستشفيات وغير ذلك = للمزيد ينظر يحيى محمود بن جنيد الساعاتي: **الوقف والمجتمع** نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي، مؤسسة اليمامة الصحفية (الرياض، 1417هـ) ص 10 وما بعدها

(1) هاني المبارك وآخر: المرجع السابق، ص104. أو .Porman and other: op. cit., p. 97

(2) سعيد عبدالفتاح عاشور وعبدالحميد سعد زغلول وأحمد مختار العبادي: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية**، منشورات ذات السلاسل، (الكويت، د.ت) ص281.

(3) هاني المبارك وآخر: المرجع السابق، ص104.

(4) زيغريد هونكة: **شمس العرب تستطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوربا**، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي راجعه ووضع حواشيه، مارون عيسى الخوري، دار الجبل، (بيروت، 1993) ص230، 232.

أرسل إلى الوزيـــر علي بن عيسى[***]، رسالة يخبره فيها بأن دخل البيمارستان قد قل كثيراً، وأن المرضى به يعانون من شدة البرد وقلة الطعام والعقاقير وما يلحق بهم من ضرر، ويسأله عن سبب نقصان النفقة عن البيمارستان لعدة شهور متتابعة وطلب منه أن يرسل إليه حُجة ذلك الأمر، كما طلب منه الاعتناء بأمر البيمارستان ورعايته حق رعاية[1]. وهذا إن دل فإنه يدل على مدى متابعة وعناية المُهتمين بأمر المشافي والمسئولين عنها كأنها جزءً من ممتلكاتهم الشخصية يخافون عليها، ويسعون في المحافظة عليها ومتابعة دخلها وكيفية صرفه ومحاسبة القائمين عليها، ومتابعة أحوال

---

(*) هو ثابت بن سنان بن قرة الحراني، كان طبيباً حاذقاً وبارعاً في الطب عالماً بأصوله، وله من الكتب: كتاب التاريخ وذكر فيه الحوادث من سنة (29هـ/649م) إلى سنة وفاته وقد اختلف المؤرخين في تاريخ وفاته ويتفق كل من القفطي وابن أبي أصيبعة بأنه مات سنة (363هـ/973م) أما النديم وابن صاعد الأندلسي فيتفقان بأنه توفى سنة (365هـ/975م) وأنا أرجح هذا الرأي لسببين: الأول لأن هذين المصدرين أدق وأقرب من الناحية التاريخية، وثانياً لأن القفطي رغم مخالفته لهذا الرأي إلا أنه ذكر في نهاية ترجمته لثابت على لسان ابن أخته هلال بن المحسن الصابئي بأنه توفى يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر ذي القعدة سنة (365هـ/975م) مما يؤكد ذلك بحكم أنه قريبه ومعاصراً له = النديم: المصدر السابق، ص360. كذلك ابن صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص37، القفطي: المصدر السابق، ص77، ابن أبي أصيبعة: المصر السابق، ص304، 307.

(**) للإطلاع على آل قرة ينظر كل من:

أ-النديم: المصدر السابق، ص331-332.

ب-ابن صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص37.

ج- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص295-307.

(***) هو أبو الحسن علي بن عيسى بن داود الجراح، ولد سنة (245هـ/859م)، كان ورعاً تقياً عفيفاً ويحب أهل العلم وكثير البر والمعروف وتولى الوزارة للخليفة العباسي المقتدر بالله (295-320هـ/907-932م) مرتين، وكان سياسي مؤرخ ووزير وله في الكتب جامع الدعاء، وتوفى سنة (334هـ/945م). للمزيد ينظر: محمد بن علي بن طباطبا المعروف بالطقطقي: **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، عُني بنشره محمود توفيق الكتبي، المطبعة الرحمانية (القاهرة، د.ت) ص195-196. كذلك أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي: **تاريخ مدينة السلام** وأخبار مُحدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وواريديها، حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 2001) 459/13-462، ياقوت الحموي: **معجم الأدباء** إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 1993) 1823/4-1826، عمر كحالة: **معجم المؤلفين** تراجم مُصنفي الكتب العربية، مؤسسة الرسالة، (بيروت، 1993) 483/2.

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص301-302.

المرضى لأجل توفير الخدمات والرعاية لهم.

**1- المشافي المُتنقلة:**

كانت المشافي العربية الإسلامية بالمشرق العربي الإسلامي بصفة عامة على نوعين: منها المُتنقل ومنها ما هو ثابت، والثابت على نوعين، منها ما هو خاص ببعض الأمراض والآخر عام لجميع الأمراض.

ولقد كان أول مستشفى مُتنقل في الإسلام كان في عصر الرسول (**r**) هو الخيمة[1]، وبعد ذلك توسع الخلفاء والملوك حتى أصبح البيمارستان المُتنقل مجهز بكل ما يحتاج إليه المرضى في ذلك الوقت من أطعمة وأشربة وملابس وأطباء وصيادلة، فقد كان يُنقل من مكانٍ لآخر حسب الظروف الصحية، وذلك في الأماكن التي لا يوجد بها مشافٍ ثابتة[2]. فقد عُرف هذا النوع من المشافي في الدولة الإسلامية بالمشرق العربي وهو مُستشفى صغير مستكمل كافة عناصره، وبه كل التجهيزات التي يحتاجها المرضى[3] وكان أول هذه المشافي المُتنقلة في الدولة العباسية ذلك الذي أُنشيء في عصر الخليفة المقتدر بالله لتصل فيه الخدمات الصحية لكل أطراف الدولة وذلك برسالة أرسلها الوزير علي بن عيسى الجراح إلى الطبيب سنان بن ثابت في سنة كثرت فيها الأوبئة والأمراض بإنفاذ أطباء يتنقلون في السواد[*] لأنه لا يوجد أطباء حيث أنه لا يخلو من المرضى، وطلب منه إرسال أطباء وخزانة أدوية (بمعنى صيدلية) لتنتقل في تلك الأماكن والإقامة فيها لمدة محدودة إلى حين علاج من بها من المرضى، ثم ينتقلون إلى غيرها من الأماكن، وعندما وصل إلى منطقة الغالب على أهلها اليهود أرسل إليه يخبره بمعالجتهم أم لا، فرد عليه الوزير، بأن يُقدم علاج المُسلمين على أهل الذمة[**]،

---

(1) مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص144.

(2) مؤنس محمود غانم: **البيمارستانات في التاريخ العربي ونظام العمل بها**، مجلة تاريخ العرب والعالم، العددان الثاني والثالث والستون، المجلد السادس، دار النشر العربية (بيروت، 1984) ص66. كذلك محمد رضا البغدادي: **تاريخ العلوم وفلسفة التربية العلمية**، دار الفكر العربي (القاهرة، 2003) ص52.

(3) محمد نزار خوام وآخرون: المرجع السابق، ص79.

(*) يقصد به ضياع العراق التي افتتحها المُسلمون في عصر عمر بن الخطاب (**y**). وسُمي بذلك لسواده بالزروع والنخيل إذا خرجوا من أرضهم ظهرت لهم خضرة الزروع والأشجار فيسمونه سواداً = ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 272/3. كذلك عبدالقادر الخلادي: المرجع السابق، هامش 294/4.

(**) وهم أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى.

وأن يُوصي أصحابه بالتنقل في الأماكن التي بها الأمراض(1).

ويُفهم من ذلك بأن سكان السواد أيضاً كان لهم نصيب من الرعاية الصحية والاحترام وأن الخدمات الصحية كانت من حق الجميع.

وكان أهل الذمة أيضاً ممن يُقيمون في تلك المناطق خارج مدينة بغداد يُعاملون في مشافيها معاملة المُسلمين من علاج وأخذ الأدوية(2).

ومع مرور الوقت تطورت المشافي المحمولة وأصبحت تصحب الخلفاء والملوك والسلاطين في تنقلاتهم وفي مختلف الظروف(3)، وكان أهم هذه المشافي ما يأتي:

أ – **مشافي الجيوش**: وهي التي ترافق الجيوش في حالات السلم والحرب، ويكون بها مجموعة من الأطباء والصيادلة والغلمان، وكل ما يلزم المريض من وسائل الراحة، ومع مرور الوقت وتطور الحياة كان الجرحى يُحملون على محفات(4).

ومن أمثلة هذه المشافي ما ذكره بعض المؤرخين، فالطبيب أبو الحكم عبدالله بن المظفر الباهلي(*)، كان طبيب للمُستشفى الذي يحمله أربعون جملاً وهو المستصحب في معسكر السلطان محمود السلجوقي(**)، إضافة إلى غيره من الأطباء (6).

ولقد اضطر الخلفاء والسلاطين إلى إنشاء مشافٍ محمولة بسبب تواصل

---

(1) القفطي: المصدر السابق، ص132-133. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص301.

(2) آدم متز: **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري**، ترجمة حميد عبدالهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، (القاهرة، 1967) 92/1.

(3) عمر فروخ: المرجع السابق، ص293.

(4) سيد أمير علي: **مختصر تاريخ العرب**، ترجمة منير البعلبكي، ، دار صادر (بيروت، 1967) ص369.

(*) هو أبو الحكم عبدالله بن المظفر بن عبدالله الباهلي، طبيب وأديب يُعرف بالمغربي، أصله من مدينة المرية بالأندلس، ومولده ببلاد اليمن، وقد قدم إلى بغداد واقام بها مدة، وتوفى سنة 549هـ وقبل السنة التي قبلها بمدينة دمشق = ابن خلكان: المصدر السابق، 123/3-124. كذلك أحمد بن محمد المقري: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت، 1988) 133/2.

(**) محمود السلجوقي: هو أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن الب أرسلان السلجوقي، أحد الملوك السلاجقة المشاهير، تولى المُلك بعد وفاة والده سنة (512هـ/1118م) في أثناء خلافة المستظهر بالله (487-512هـ/1094-1118م) وكان يميل إلى أهل الخير والعلم، وضعفت سلطته آخر أيامه سنة 525هـ/1130م = ابن خلكان: المصدر السابق، 182/5-183.

(5) المصدر نفسه، 123/3-124.

الحروب في الدولة الإسلامية(1).

ب- **مشافي السبيل**: فقد عرف العرب المُسلمون هذا النوع من المشافي وأدركوا قيمتها وأهميتها، حيث أن الحج إلى الأراضي المقدسة، أو قوافل التجار، عبر مسافات طويلة، كان أفرادها في حاجة إلى رعاية خشية التعرض للإصابة، والحاجة إلى المساعدة، ولهذا فقد زودوا تلك القوافل ببعثات طبية بها أطباء وغلمان لمساعدتهم(2).

كذلك تذكر بعض المصادر التاريخية العديد من الذين قاموا بالأعمال الخيرية، والإنفاق على مشافي السبيل ومثالاً على ذلك خاتون السفرية، حظية السلطان ملكشاة(*)، التي كانت كثيرة الإحسان والصدقات ولها العديد من المبادرات والأعمال الخيرية فكانت لها في كل عام سبيل يخرج مع الحجاج(3).

**2- المشافي الثابتة**:

وهي مشافي ثابتة البناء لا تُنقل من مكانها، وانتشرت في العديد من المُدن الإسلامية وخاصة العواصم الكبرى، حيث كان يُقام في أغلب المُدن مُستشفى(4)، والتي سوف استعرض نماذج منها.

وكانت المشافي الثابتة تنقسم إلى نوعين منها ما هو عام ومنها ما هو خاص وهي:

- **المشافي العامة**: في كل مدينة مُستشفى، وقد يكون في المدينة الواحدة عدة مشافٍ، وكان كل مريض يحتاج إلى معالجة يُقبل في ذلك المُستشفى بصرف النظر عن دينه أو لونه أو جنسه، ذكراً كان أم أنثى، وكان إيرادها كثيراً وينفق عليها

---

(1) أحلام استيتية: المرجع السابق، ص66؛ كذلك رسمية شكور: المرجع السابق، ص227.

(2) عمر فروخ وماهر عبدالقادر وحسان حلاق: **تاريخ العلوم عند العرب**، دار النهضة العربية (بيروت، د.ت) ص510.

(*) ملكشاه: هو أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق المُلقب جلال الدولة السلجوقي، تولى المُلك بعد وفاة أبيه، وكان أحسن الملوك سيرة، حتى لُقب بالسلطان العادل، وكانت له العديد من الانتصارات في الحروب ويحب العمائر فبنى وعمَّر العديد منها = ابن خلكان: المصدر السابق، 5/283-284.

(3) ابن كثير: المصدر السابق، 16/254.

(4) عمر كحالة: **العلوم العملية**، ص105-106. كذلك حكمت نجيب عبدالرحمان: **دراسات في تاريخ العلوم عند العرب** (الموصل، 1977) ص73. رحاب عكاوي: المرجع السابق، ص159.

بسخاء[1] وذلك لأن الأوقاف الإسلامية كان على عدة أنواع ومنهــا هــذه التــــي تُصرف على الأعمال الإنسانية كبناء المشافي[2]. وكان هذا المال يســد حاجــــات المشافــي من أغذية وأدوية وكساء وأجور الأطباء والخدم، وكانــت إدارة هـــذا الوقف تُسند لموظف كبير خاضع لرقابة دقيقة[3].

- **المشافي الخاصة**: ووهي التي تختص بأمراض معينة من أهمها:

**المجاذم والملاجئ الخيرية**: انطلاقاً من فكرة عزل أصحاب الأمراض المعدية عن بقية الناس[4] تولدت لدى العرب المُسلمين فكرة إنشاء هذا النوع من المشافي الخاصة والعناية بها انطلاقاً من تأكيد الرسول (**r**) عليها، فلقد ورد في صحيح مُسلم عن عمر بن الشريد عن أبيه قال: "كان في وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه النبي (**r**): "إِنَّا قَدْ بَايَعنَاكَ فَارْجِعْ""[5]. وهذا يمثل في تغلب العقل على العاطفة، والمنطق العلمي على المجاملات[6]. وقد أمر الخليفة أبو جعفر المنصور ببناء مُستشفى للعُميان ومأوى للمجذومين وملجأ لإقامة العجزة في مدينة بغداد[7].

كما ساهم أيضاً الخليفة المهدي (158-169هـ/775-785م) في القيام بالأعمال الخيرية، بإقامة ملاجئ للمرضى، وأجرى على العُميان والمجذومين والمرضى الأرزاق[8].

فهذه الدور والملاجئ الخيرية شُيدت خصيصاً للمُقعدين والعجزة والمكفوفين

---

(1) أمين خيرالله: المرجع السابق، ص71. كذلك ناجي معروف: **أصالة الحضارة العربية**، مطبعة التضامن (بغداد، د.ت) ص349.

(2) محمد أحمد دهمان: **في رحاب دمشق** دراسة من أهم أماكنها الأثرية ومقالات من أهم حوادثها المجهولة وأبحاث ثقافية، دار الفكر (دمشق، 1982) ص308.

(3) أمين خيرالله: المرجع السابق، ص72-73.

(4) عمر فروخ وآخرون: المرجع السابق، ص510.

(5) مُسلم: المصدر السابق، **كتاب السلام**، باب اجتناب المجذوم ونحوه، رقم الحديث 2231، ص945.

(6) علي أحمد بربور ونزار أحمد الفروج وعلي فرحان الجراد ورامي الحاج علي: **الطب الوقائي في الإسلام**، منشورات جامعة دمشق (دمشق، 1992) ص50.

(7) إبراهيم أيوب: **التاريخ العباسي السياسي والحضاري**، الشركة العالمية للكتاب (بيروت، 1919) ص272.

(8) المطهر المقدسي: المصدر السابق، 96/6. كذلك ناجي معروف: المرجع السابق، ص345.

وكان الصرف عليهم من الأوقاف الخاصة بها[1].

أ- **مشافي الأمراض العقلية[*] والنفسية[**] وغيرها**: سبق العرب غيرهم في معالجة المصابين بالأمراض العقلية والنفسية، واتبعوا في ذلك أساليب فريدة على أيدي أطباء مُختصين[2]. وكان للأطباء المُسلمين اهتماماً بالمُصابين بالأمراض العقلية، باعتبار أن الحفاظ على هؤلاء من أسمى المقاصد[3]، وعالجوهم بطرق مبتكرة[4]، وبُدء في إقامة مشافٍ لهم مُنذ القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، لعجزهم عن القيام بحاجاتهم بأنفسهم، وأن من واجب الدولة أن تقوم بخدمتهم، وعلاوة على المشافي الخاصة بالمرضى العقليين، فقد كان لهم أماكن مخصصة لمعالجتهم في المشافي العامة، حيث كان لهم قسم خاص لمعالجتهم فيها، حيث أفردت لهم غُرف خاصة لها نوافذ مشبكة بقضبان حديدية[5].

---

(1) محمود محمد: **الموجز لما أضافه العرب في الطب**، ص116. كذلك سلمان الكروي وآخر: المرجع السابق، ص302.

(*) الأمراض العقلية: هي تخلف النمو العقلي أو الذكاء عن الحد الذي يصل إليه الطفل السوي في مرحة الطفولة المبكرة = عبدالمجيد عبدالرحيم: **تنمية الأطفال المعاقين**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة، 1997) ص131.

(**) الأمراض النفسية: هي التي ترجع لأسباب نفسية بحتة بمعنى أنها أمراض وظيفية، وتُعرف بالأمراض العصابية = عبدالفتاح محمد العيسوي: **تاريخ الطب النفسي عند العلماء المُسلمين**، دار النهضة العربية (بيروت، 1993) ص145.

وعُرِّفت أيضاً بشكل أكثر وضوحاً بأنها اضطراب وظيفي في الشخصية يبدو في صورة أمراض نفسية وجسمية مختلفة، ويؤثر في سلوك الشخص فيعوق توافقه النفسي ويعوقه عن ممارسة حياته السوية في المجتمع الذي يعيش فيه = حامد عبد السلام زهران: **الصحة النفسية** والعلاج النفسي، عالم الكتاب (القاهرة، 1994) ص10.

(2) رشيد حميد حسن الجميلي: **حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة**، مطابع الكتاب (طرابلس، 1982م) ص342.

(3) حمادة حسن: المرجع السابق، ص74؛ كذلك قدري طوقان: المرجع السابق، ص22.

(4) حسين موراني وعبد الحليم منتصر: **قراءات في تاريخ العلوم عند العرب**، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل، د.ت) ص62؛ كذلك رشيد الجميلي: المرجع السابق، ص345.

(5) أمين خيرالله: المرجع السابق، ص69. كذلك فيكتور الكك: "**المستشفيات** معالم بارزة في تاريخ الحضارة العربية"، مجلة الفيصل، العدد السابع عشر، المجلد الثالث عشر، دار الفيصل الثقافية (الرياض، 1980) ص76، سمير الجمال: المرجع السابق، 209/3.

وانتشرت مشافي الأمراض العقلية في العالم الإسلامي وعُومل فيها المرضى معاملة حسنة ورحيمة، وعُولجوا فيها بالرقي والفصد والحجامة والعسل[1]، كما اهتم الأطباء المُسلمون بمداواتهم ومعالجتهم سريرياً ونفسياً، ومن مظاهر تلك العناية توفير الأغطية والكسوة والفحم لهم للتدفئة، بالإضافة إلى تخصيص الأطعمة المناسبة، وتوفير متطلباتهم، وكذلك الاهتمام بنظافتهم وإسماعهم القرآن الكريم بصوت حسن[2].

ومن يُطالع المصادر العربية التي تناولت معالجة هذه الأمراض يتعجب، ويُعجب من طرق العلاج المُبكر والاهتمام بهذه الأمراض، وألفوا العديد من الكتب في هذا المجال التي تناولت أسبابها وطرق علاجها، إضافة إلى المصادر التاريخية التي تناول العديد من القصص التي تروي كيفية علاج المرض بعدة وسائل.

وقد روي ابن أبي أصيبعة في كتابه "**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**" بعض نماذج من الحالات التي عالجها الأطباء منها على سبيل المثال: أن شخصاً مريضاً ببغداد قد تعرض لعلة الماليخوليا[*]، وكان يعتقد أن على رأسه دناً[**]، وهو لا يفارقه أبداً، وكلما مشى كان يتحايد المواضع ذات الأسقف القصيرة، ويمشي برفق ولا يجعل أحد يقترب منه حتى لا يميل الدن أو يسقط (حسب اعتقاده) وعالجه بعض الأطباء ولكنه لم يشف، وانتهى أمره إلى الطبيب أوحد الزمان[***] فرأى أنه

---

(1) عبدالرؤوف ثابت: **الفصام أسبابه وأنواعه**، مجلة الفيصل، العدد التاسع عشر، المجلد السبعون، دار الفيصل الثقافية (الرياض، 1978) ص37.

(2) إبراهيم خليل السامرائي: **دراسات في تاريخ الفكر العربي**، جامعة الموصل (الموصل، د.ت) ص311-312.

(*) الماليخوليا ويقال لها أيضاً "المالنخوليا Melancholia"، وهي مرض عقلي خاص، وصفه المميز أن يكون المُصاب به كئيبا حزيناً، ولكنه لا يصاب بهذيان أو جنون، فهذا المرض أحياناً يكون وراثياً، أو ناشئاً عن ضعف المجموع العصبي البطني، وتارة أخرى يكون سبباً في الأحوال الطارئة على الشخص كحزنٍ، واهتمام وإفراط عقلي = محمد فريد وحدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، 419/8. كذلك جابر عبدالحميد جابر وعلاء الدين كفافي: **معجم علم النفس والطب النفسي** إنجليزي عربي، وزارة النهضة العربية (القاهرة، 1992) 2130/5.

(**) الدَّنُّ: وعاء ضخم للخمر أو نحوها جمعها دنان = جبران مسعود: **الرائد**، ص365.

(***) أبي البركات هبة الله علي بن ملكان يهودي الأصل أقام ببغداد وأسلم بعد ذلك، وكان في خدمة الخليفة العباسي المستنجد بالله (555-566هـ/1669-1170م) وله عدة مؤلفات منها: كتاب الإقراباذين،

لا يمكن أن يبرأ إلا بالأمور الوهمية، وطلب من أهل المريض أنه عندما يكون في الدار يأتوا به إليه، وبعد ذلك أمر أحد غلمانه بأنه عند دخول المريض والحديث معه، وأشار إلى الغلام بإشارة بينهما، أنه يضرب بخشبة فوق رأس المريض على مسافة منه كأنه يريد كسر الدن الذي يزعم أنه فوق رأسه، وأوصى غلاماً آخر، وقد أعد معه دناً في أعلى السطح، أنه عندما يضرب الغلام الأول الدن المزعوم أن يرمي هذا الغلام الدن من أعلى السطح، وبدأ الطبيب بالحديث معه وأنكر عليه حمله للدن وأشار إلى الغلام من غير علم المريض، وقال له بأنه لابد من كسر الدن ليريحه منه، فقام الغُلام الأول بإدارة الخشبة وضرب بها فوق رأس المريض بنحو ذراع، وعند ذلك رمى الغُلام الآخر الدن من على السطح، فتكسر الدن قطعً كثيرة، فلما رأى المريض أن الدن قد تكسر، ولم يشك بأنه الذي كان على رأسه حسب زعمه، وأثر فيه الوهم وبرأ من علته[1].

أما بالنسبة **للأمراض النفسية والعصبية**[*]: فلم تقتصر مهمة الأطباء المسلمين على المعالجة الجسدية فحسب، بل كان لهم أيضاً اهتمام بالناحية النفسية للمريض، فكانوا على اهتمام بالأعراض التي يتعرض لها، من غم وحزن وفرح وغضب، وغير ذلك مما يساعدهم على تشخيص حالة المريض ومعرفة شكواه[2]. وكان ممن اختم بالنواحي النفسية الرازي[**] وهذا ما ميزه عن أطباء عصره[1]، وفضل

---

ورسالة في العقل وماهيته وغيرها من المؤلفات، وعاش حوالي ثمانين سنة = ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص374، 376. كذلك ابن خلكان: المصدر السابق، 74/6.

(1) ابن أبي أصيبعة المصدر السابق، ص374-375.

(*) هي التي ترجع إلى أسباب عصبية، أي عضوية جسمية = عبدالرحمان العيسوي: **تاريخ الطب النفسي**، ص145.

(2) أحمد عبد الباقي: المرجع السابق، ص525.

(**) هو محمد بن زكريا الرازي، ولد بالري ونشأ بها ثم انتقل إلى بغداد، وكان كريماً باراً بالناس، رؤوفاً بالفقراء والمرضى، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته حيث كان بين سنة 311هـ/923م وبين سنة 320هـ/932م، إلا أنه قد نشرت مقالة لروسكا عن البيروني الذي وضع فهرست كتب الرازي المأخوذة من المخطوط بليدن، تحدد وفاة الرازي بالدقة في 5 شعبان سنة 313هـ/925م. للمزيد ينظر ترجمة كل من:

ابن جلجل: المصدر السابق، ص77-79 وهامش رقم 77/28، النديم: المصدر السابق، ص356-357، ابن صاعد: المصدر السابق، ص52-53، القفطي: المصدر السابق، ص178-182، ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص414-421، ابن خلكان: المصدر السابق، 157/5-159، ابن العبري: المصدر

النواحي النفسية في العلاج، ودرس الاضطرابات العصبية، وقرر أن العوامل العقلية والنفسية لها تأثير على جسم الإنسان، ويتم معالجتها بالأساليب النفسية[2]. وقدم العديد من الأفكار والنظريات مكتشفاً لبعضها ومطوراً لبعضها الآخر[3]، ونادى بضم الوسائل النفسية إلى التداوي بالعقاقير لزيادة مفعولها، وإزالة الخوف عن المريض قائلاً بأن أحسن العلاجات وأنجحها التي تقوم على تغذية قوى المريض النفسانية والروحية، وتشجيعه ليتمكن من مقاومة المرض، وتجميل محيطه، وجمعه بالناس الذين يحبهم[4]، ويجب إيهام المريض بالصحة، وإن كان الواقع غير ذلك، لأن مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس[5].

وعرف الأطباء المُسلمون هذه الأمراض وقاموا بمعالجتها، وقد فسروا كثيراً من الاضطرابات التي تُصيب الناس وخاصة الشباب في سن المراهقة[*] Adolescence، في ضوء العوامل النفسية وما يرتبط فيها بالغريزة الجنسية[6].

وتنبه أيضاً إلى أن العامل النفسي له تأثيره على صحة المريض، وفي إحداث المرض، حيث أنه يرى أن سوء الهضم، قد يكون ناتج عن أسباب نفسية[7].

---

السابق، ص158، طاش كبرى زادة: المصدر السابق، 328/1؛ ماجد مصطفى: **موسوعة العباقرة العرب**، دار الأمل للنشر والتوزيع (الجيزة، 2006) ص51-55.

(1) علي عبد الله الدّفاع: **إسهام علماء العرب المُسلمين في الصيدلة**، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1987) ص201.

(2) حسين حماد: المرجع السابق، ص73.

(3) جليل كمال الدين: **ابن سينا عالماً نفسياً**، مجلة العلوم، العدد الأول، السنة الثالثة، دار العلم للملايين (بيروت، 1958) ص32.

(4) حميد موراني وآخر: المرجع السابق، ص62؛ كذلك رشيد الجميلي: المرجع السابق، ص345.

(5) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص420؛ كذلك شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري: **مسالك الأمصار في ممالك الأمصار**، مخطوط بدار الكتب الوطنية بالقاهرة، تحت رقم (56005) الجزء السابع، ورقة 128.

(*) وهي المرحلة من البلوغ الجنسي حتى النضج، وتقع ما بين سني العشرات إلى أوائل العشرينات من العمر = عبدالرحمان العيسوي: **قاموس مصطلحات علم النفس والتربية**، الدار الجامعية (د.م، 1987) ص12.

(6) سعيد عاشور وآخرون: المرجع السابق، ص125؛ كذلك بشير رمضان التليسي وجمال هاشم الدويبي: **تاريخ الحضارة العربية الإسلامية**، دار المدار الإسلامي (بيروت، 2002) ص296.

(7) جلال محمد موسى: **الطب والأطباء**، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد التاسع، وزارة الإعلام (الكويت، 1978) ص76.

كما أن حُنين[**] بن إسحاق في كتابه "المسائل في الطب" قال: "ما الذي تفعله الأحداث النفسانية في البدن؟ إن فيها ما يحرك الحرارة ويخرجها إلى ظاهر البدن إما دفعة وإما قليلاً قليلاً، إما دفعة فالغضب وإما قليلاً قليلاً فاللذة، ومنها ما يقبض الحرارة إلى الداخل ويخمدها إما دفعة وإما قليلاً إما دفعة فالجزع وإما قليلاً قليلاً فالحزن، ومنها ما يحرك الحرارة الغريزية مرة إلى داخل ومرة إلى خارج مثل الهم والخجل"[1].

وهناك قصة أوردها ابن أبي أُصيبعة تدل على مدى اهتمام المُسلمين في المشرق العربي الإسلامي بمعالجتهم لمثل هذه الأمراض.

فقد ذكر حادثة محظية الرشيد التي تعرضت لشلل عصبي، حيث عالجها ابن بختيشوع من ذلك، فقد قامت برفع يدها فبقيت منبسطة لا يمكن ردها، وقام الأطباء بعلاجها بالأدهان وغيرها، ولم يوفقوا، فاستدع الخليفة هارون الرشيد طبيبه جبرائيل بن بختيشوع لمعالجتها، فطلب من الخليفة إلا يسخط عليه عند قيامه بحيلة،ن فطلب منها أن تخرج أمام الجميع، وحين رآها الطبيب نكس رأسه، ومسك بثوبها كأنه يريد كشفها، فانزعجت لذلك، ومن شدة الحياء، استرسلت أعضائها وبسطت يدها إلى أسفل، ومسكت بثوبها، فقال للخليفة بأنها قد شفيت فطلب منها الخليفة أن تبسط يدها ففعلت. فتعجب لذلك هو والحضور وأمر لجبرائيل بخمسمائة ألف درهم وجعله رئيس الأطباء[2].

وهذا إن دل فإنه يدل على ما توصل إليه العرب والمُسلمون من معرفتهم بعلم النفس Psychology وتأثير كل من الفرح والحزن والغضب واللذة على النفس البشرية إما سلباً وإما إيجاباً وقد أبدع حُنين في وصف الحالة النفسية للنفس البشرية.

---

(*) هو أبو زيد حُنين بن إسحاق العبادي، طبيب مشهور، فصيحاً باللغة العربية واليونانية، قام بترجمة العديد من المؤلفات اليونانية، وتوفى حوالي سنة 260ه = النديم: المصدر السابق، ص352؛ كذلك بن خلكان: المصدر السابق، 2/217-218، القفطي: المصدر السابق، ص117-119؛ إيتان الطيناش: **علم الأدوية المفردة في الطب الإسلامي**، ترجمة عبد الكريم أبو شويرب، العدد التاسع، كلية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 1992) ص651.

(1) حُنين بن إسحاق: **المسائل في الطب**، دار الكتاب المصري (القاهرة، 1978) ص251.

(2) القفطي: المصدر السابق، ص94؛ كذلك ابن أبي أُصيبعة: المصدر السابق، ص188؛ أمين خيرالله: المرجع السابق، ص120-121.

وهكذا فقد أدرك علماء الطب العربي الإسلامي بالمشرق أثار الحالة النفسية والعصبية للإنسان وما تفعله من تأثير على أعضاء جسمه وهذه تعتبر بعض الشواهد التي تدل على إبداعهم في هذا الجانب.

وقد ألف العرب المُسلمون مجلدات تناولت تلك المواضيع، وفيما يخص الأمراض العقلية والنفسية والعصبية وعلاجاتها، فقد ألف الطبيب أبو بكر الرازي كتاباً بعنوان "الطب الروحاني في إصلاح الأخلاق" تحدث فيه عن معالجة النفس البشرية من الهوى وإصلاحها من المفاسد والرذائل(1)، ويعتبر الرازي أول من وضع أصول علم الطب النفسي(2). وأن أهمية حالة المريض العقلية، هي حقيقة ثابتة عند علاج أي مرض وأولاها أهمية بالغة عند علاج مرضاه(3)، وقد ألف إسحاق بن عمران(*) كتاباً عن المالنخوليا(4) وكان ابن جُميع(**) الطبيب الشهير أول من استعمل العلاج النفساني وألف في ذلك كتاباً سماه "كتاب الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد"(5).

- **مشافي السجون**: لم يكن اهتمام المُسلمين فقط مُنصب على رعاية المرضى ومعالجتهم خارج السجون، بل أيضاً كان للمساجين نصيبهم من الرعاية الطبية والاهتمام. وكان وزير الخليفة المقتدر بالله علي بن عيسى الجراح هو أول من رأى ضرورة معالجتهم، فلقد أدرك ذلك حين تفقده السجون وأيقن بأنه من الضروري

---

(1) محمد بن زكريا بالرازي: "**الطب الروحاني في إصلاح الأخلاق**"، مخطوط بدار الكتب الوطنية تحت رقم 2241، ورقة 8

(2) أحمد باشا: المرجع السابق، ص133.

(3) Porman and other, op. cit., p. 48.

(*) هو إسحاق بن عمران طبيب مُسلم بغدادي الأصل، دخل أفريقيا في أيام زيادة الله بن الأغلب يعرف بسم الساعة وكان بينه وبين زيادة الله عدة أمور جعلته ينقم عليه فأمر بفصد ذراعية فسال دمه إلى أن مات = ينظر ابن صاعد الأندلسي: المصدر السابق، ص60-61. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص478-479.

(4) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص479.

(**) هو الشيخ الموفق هبة الله بن جُميع الإسرائيلي، ولد ونشأ بمدينة الفسطاط بمصر وخدم الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي وله العديد من المؤلفات. ينظر ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص576-579.

(5) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص579.

معالجة من بها من المرضى ورعايتهم من الناحية الإنسانية[1]، وكتب رسالة إلى الطبيب سنان بن ثابت مطالباً فيها أن يُخصص أطباء لمعالجة المساجين وتوفير الأدوية لهم والأطعمة المناسبة وكل ما يحتاجون إليه [2].

- **مشافي الإسعاف:** وهي التي كانت تُقام في الأماكن العامة والتي يزدحم فيها الناس كالمساجد وغيرها، فقد كانت تزود بالأطباء والصيادلة لمعالجة المرضى والمصابين[3]، وقد ذكر المقريزي أن أحمد بن طولون[*] هو أول من أنشأ مثل هذا النوع، فعندما بنى جامعه الشهير سنة (265هـ/878م) عمل في مؤخرته ميضأة[**] وخزانة شراب (صيدلية) وفيها جميع الأدوية والأشربة ورتب لها خدم وأعوان وبها طبيب يجلس كل يوم جمعة لمعالجة من يُصاب من المصلين[4].

---

(1) عمر فروخ وآخرون: المرجع السابق، ص510. كذلك سلمان الكروي وآخر: المرجع السابق، ص294.

(2) القفطي: المصدر السابق، ص132-133. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص301، عبدالقادر الخلادي: المرجع السابق، ص294.

(3) مؤنس غانم: المرجع السابق، مجلة تاريخ العرب والعالم، ص66.

(*) هو أبو العباس أحمد بن طولون، تركي الأصل ولد سنة 220هـ، وتولى مصر في سنة (254هـ/868م) وكان شجاعاً كريماً عادلاً، محباً لأهل العلم، وقام بتمصير البلاد أثناء إمارته لها وتوفى سنة (270هـ/883م) = أبو محمد عبدالله بن محمد المديني البلوي: **سيرة أحمد بن طولون**، مكتبة الثقافة العربية (القاهرة، د.ت) ص33-34. كذلك ابن خلكان: المصدر السابق، 173/1، عبدالرحمان بن محمد بن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة، دار الفكر (بيروت، 2001) 385/4-395.

(**) الميْضَأَة أو الميْضَاءَة: جمعها مواضئ وهو الموضع الذي يتوضأ فيه، أي يُغتسل ويتنظف بالماء للصلاة = لويس معلوف: **المنجد في اللغة**، ق1003/2؛ كذلك جبران مسعود: **الرائد**، ص783.

(4) المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 405/2. كذلك جمال الدين أبي المحاسن ابن تغري بردي: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر** والقاهرة، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت، 1992) 14/3.

# المبحث الثاني
# أنظمة المشافي

كان العمل في المشافي الكبرى، يسير حسب نظام وترتيب دقيقين:

أ- **أقسام المُستشفى**: ينقسم إلى قسمين مُنفصلين أحدهم للذكور والآخر للإناث، وكان لكل قسم من تلك الأقسام قاعات لمختلف الأمراض – قاعة للأمراض الباطنية وقاعة للجراحة وقاعة للكحالة (أمراض العيون) وقاعة للتجبير، وكانت لكل واحدة من القاعات عدة أقسام، قسم للمبرودين (أي المصابين بالتخمة والإسهال)، وقسم للأمراض العقلية وغيرها من الأقسام، وكان لكل قسم من هذه الأقسام خدم وفراشون من الرجال والنساء يقومون بخدمة المرضى وتقديم الطعام لهم[1]. والقاعات بصفة عامة جيدة البناء وواسعة ومليئة بالأسرة التي يرقُد عليها المرضى ونظافة المُستشفى تحتل المكانة الأولى من هذا النظام، حيث يوجد في كل قسم من هذه المشافي حمامات واحد للرجال والآخر للنساء، وكان لكل قسم مفتشون على النظافة ومراقبون للأموال[2].

ب- **إدارة المُستشفى**: كان للمُستشفى مُدير إذا كان سريانياً يسمى "ساعور" ومعناها بالسريانية متفقد المرضى، وإذا كان مُسلماً فكان يُطلق عليه "رئيس الأطباء" وهو الذي يُشرف على الأطباء ويأذن لهم بممارسة الطب[3]، وهو يختص أيضاً بالمرور على المرضى ومعه الأطباء، وكان كل ما يُكتب للمريض من العناية والأدوية يُنفذ في الحال[4]. كما كان للمُستشفى ناظر يُشرف على إدارة الأموال والأوقاف التابعة له[5]. وأن النظر في إدارة البيمارستان يُعد من الوظائف الديوانية (الفترة التي عاصرها المؤلف) والنظر فيه يختص به نائب السلطان يفوض الأمر فيه إلى من يرى فيه الكفاة من أصحاب الأقلام[6]، وإن الوظائف الكبرى بدمشق هي أعلى الوظائف وأن النظر فيها

---

(1) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص18-19. كذلك عمر كحالة: **العلوم العملية**، ص106، أحمد باشا: المرجع السابق، ص140.

(2) مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص147. كذلك خليل السامرائي: المرجع السابق، ص513.

(3) عمر كحالة: **العلوم العملية**، ص106-107.

(4) محمد كامل حسن: المرجع السابق، ص229.

(5) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص22. كذلك محمد خوام وآخرون: المرجع السابق، ص77.

(6) القلقشندي: المصدر السابق، 184/4.

من أصحاب السيوف وأكبر الأمراء بمصر[1]. كما أن لكل قسم من أقسام البيمارســتان رئيس، فهناك رئيس للطب ورئيس للجراحة، ورئيس للكحالة وأن هذا النظام الموجــود بدمشق موجوداً أيضاً بمصر[2].

أما عن **نظام دخول المشافى**، فكان في أغلبها مجاناً للجميع لا فرق فيه بين غني وفقير، وذلك في أغلب المشافي – وكان هناك طريقتان للعلاج – الأولى تتمثل في **العلاج الخارجي**: بمعنى أن المريض بعد أن يُفحص يُصرف له الدواء من الصيدلية ليتعاطاه في منزله، أما **نظام المعالجة الداخلي**: فإنه بعد فحص المريض وإن مرضه سيء يستدعي الدخول فإنه يُرسل إلى القاعة الخاصة بمرضه، ويبقى تحت إشراف الأطباء حتى يشفى[3]، وكان يخصص له سرير، ثم يعطى الدواء الذي يحدده له الطبيب والغذاء المناسب لحالته[4]، وكان الأطباء يعملون في المشافي بالمناوبة، فمثلاً الطبيب جبريل بن بختيشوع، كانت نوبته في الأسبوع يومين وليلتين[5]، ولم يكونوا يغفلون النظر في أبوال المرضى، فكان كل مريض يُحضر معه قارورته، ويسمون الاستنتاج في نظر البول التفسرة، فلم يكن هناك طبيب يعالج مريض دون أن ينظر إلى قارورته[6].

وكان يُخصص لكل قسم من أقسام المُستشفى طبيب أو اثنان بحسب اتساعه وكثرة من به من المرضى، وكان إذا استدعى الحال في حالة يصعب علاجها يُستدعى طبيب من قسم آخر للإستشارة[7].

وفي فترة النقاهة يدخل المريض إلى غرفة الناقهين وهي التي كانت تخصص للذين تماثلوا للشفاء، ولا يستدعي حالهم علاج وبانتظار خروجهم، حيث يتناولون الأطعمة والأشربة المختلفة بإشراف رئيس الأطباء[8].

---

(1) المصدر نفسه، 38/4.

(2) المصدر نفسه، 194/4.

(3) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص31. كذلك عمر كحالة: **العلوم العملية**، ص108، رسمية شكور: المرجع السابق، ص229-230.

(4) مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص197.

(5) القفطي: المصدر السابق، ص103.

(6) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص34-35. كذلك عمر كحالة: **العلوم العملية**، ص109.

(7) عمر كحالة: **العلوم العملية**، ص109.

(8) سليم الحسنية: المرجع السابق، ص41.

إن أهم ما يساعد الطبيب على نيل ثقة مريضه فيه، هو جانب البشاشة والوداعة التي يتميز بها الطبيب، فكثيراً من الأطباء كانوا يعالجون مرضاهم بأخلاقهم الطيبة وفألهم الحسن، وهم في الغالب الأطباء الذين نالوا رضى الناس وإقبالهم، ولم يقف اهتمام المُسلمين عند هذا الحد، بل بلغوا في العناية بالصحة مبلغاً كبيراً[1].

**ج- أجور الأطباء**: كانت أجور الأطباء تختلف من مكانٍ لآخر ومن زمن لآخر، فلقد كانوا يتحصلون من الخلفاء والأمراء والملوك على المرتبات العالية والمكافآت الكثيرة والنعم الوافرة، إضافة إلى علوفة الدواب التي يركبونها[2]. فمثلاً جبريل بن بختيشوع، كان يأخذ نظير علاجه للعامة، كل شهر عشرة آلاف درهم، ونظير علاجه للخاصة، كل سنة خمسون ألف درهم وثياب بقيمة ألف درهم، ولفصد الخليفة هارون الرشيد مائة ألف درهم، وعلاجه كذلك بنفس القيمة، ولعلاج أصحابه وأهله وما فيه من قيمة الكسوة وأجرة الطبيب والدواب أربعمائة ألف درهم، وله من البرامكة كل سنة ألف ألف وأربعمائة ألف درهم[3]، وإن كانت هذه الأرقام أو بعضها مبالغ فيها مقارنة بقيمتها في تلك الفترة، فإن ذلك لا يمنع أن يكون الأطباء يتمتعون بسخاء الخلفاء والحكام وأن يلقوا منهم كل تقدير وإكرام خاصة أن تلك الفترة كانت فيها الخلافة تنعم بالرخاء الاقتصادي وأهم من ذلك تشجيع الخُلفاء والحُكام للعلم واهتمامهم بالطب والأطباء.

وكان الشيخ السديد[*]، طبيباً للخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله (496-524هـ/1102-1129م) وقد تولى رئاسة الطب، وذكر أنه حصل في أثناء معالجته لأحد الخلفاء على ثلاثين ألف دينار سوى ما كان له في المجلس من أواني الفضة والذهب والتي وهبت كلها له[4].

---

(1) عبدالله بن العباس الجراري: **تقدم العرب في العلوم والصناعات** وأستاذيتهم لأوروبا، دار الفكر العربي (القاهرة، 1961) ص58.

(2) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص28.

(3) القفطي: المصدر السابق، ص99-100. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السباق، ص198-199.

(*) هو الشيخ السديد أبو منصور، كان عالماً بالطب وخبيراً بأصوله وفروعه، لخدمة الخلفاء الفاطميين ونال منهم الأموال والنعم الكثيرة وحظي عندهم، وتوفى بالقاهرة سنة 592هـ/1195م = ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص572، 576.

(4) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص572.

ويروى أن سيف الدولة الحمداني(*)، إذا أكل طعاماً وقف على مائدته أربعة وعشرون طبيباً، وكان منهم من يأخذ رزقين(**) (بمعنى مرتبين) لأجل قيامه بعملين، ومنهم من يأخذ ثلاثة أرزاق لقيامه بثلاثة أعمال، وكان من ضمنهم عيسى النفيسي، فكان يأخذ ثلاثة أرزاق، واحد للترجمة من اللغة السريانية إلى اللغة العربية والمرتبين الآخرين بسبب عملين آخرين[1]، ومن الواضح وجود مبالغة في عدد الأطباء إلا أنه يدل على مدى تركيز واهتمام الخلفاء والأمراء وغيرهم بالصحة وتقديرهم للأطباء.

وعندما تولى صلاح الدين(***) المُلك بالقاهرة، كان يتفقد الطبيب الشيخ السديد، بالأنعام الكثيرة والهبات المتواترة، وكان يعطيه أيضاً مرتباً، مدة مقامه بالقاهرة إلى أن توجه إلى الشام، وكان يستطبه ويعمل بوصفاته، وظل رئيساً للأطباء حتى وفاته[2]. وأيضاً عندما أراد طبيب يُقال له أبو الفرج النصراني، وقد كان في خدمة صلاح الدين، تزويج بناته، طلب من صلاح الدين مساعدته في تجهيزهن فأعطاه ثلاثين ألف درهم،

---

(*) هو أبو الحسن علي بن عبدالله بن حمدان، صاحب حماة، ولد سنة 301هـ/913م، وكان مضرباً للمثل في شجاعته، توفى بالفالج، وقيل بعسر البول سنة 356هـ/966م = الذهبي: **نزهة الفضلاء**، 1165/2-1166.

(**) الرَّزْقُ ما يُنْتَفَعُ بِهِ، والجمع الأَرْزاقُ، وَالرَّزْقُ العْطَاءُ = أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: **لسان العرب**، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد حسب الله هاشم ومحمد الشاذلي، دار المعارف (القاهرة، 1981) 1637/3. كذلك محمد بن أبو بكر الرازي: **مختار الصحاح**، عُني بترتيبه محمد خاطر، مراجعة لجنة مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1976) ص241.

(1) القفطي: المصدر السابق، ص166.

(***) صلاح الدين الملك الناصر يوسف ابن الأمير نجم الدين أيوب بن شاه الدويني، ولد بتكريت سنة 532هـ/1137م، وكان شجاعاً حازماً ذو هيبة، مجاهد في سبيل الله قام بالعديد من المعارك والفتوحات، ومنها حطين الشهيرة سنة 583هـ/1187م التي فتح فيها القدس، وتوفى بقلعة دمشق سنة 589هـ/1193م = ابن خلكان المصدر السابق، 139/7. كذلك بهاء الدين بن يوسف بن تميم بن شداد: **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية** "سيرة صلاح الدين" تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1994) ص31 وما بعدها، شهاب الدين أبو محمود بن تميم المقدسي: **مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام**، تحقيق أحمد الخطيمي، دار الجيل، (بيروت، 1994) ص367، 375. حمزة بن أحمد بن عمر المعروف بابن سباط الغربي: صدق الأخبار **تاريخ ابن سباط** عني به وحققه عمر عبدالسلام تدمري، جروس برس (طرابلس، 1993) 207/1.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص574.

وعندما علم بذلك الطبيب ابن المطران(*) تأثر من ذلك، فبعث له صلاح الدين أيضاً مثل هذا المبلغ(1).

وكـــــان لرضي الدين الرحبي(**) رزقيـــــن واحـــــد نظيـــــر عملــــه فـــــــي قلعـــــــة صـــــــلاح الديــــن والآخـــــر نظيـــــــر عملـــــه فـــــي البيمارستـــــــان فكـــــان رزقـــــه فـــــي الشهـــــر ثلاثيـــــن دينـــــار(2). وبعد وفاة صلاح الدين وتولي أخوه الملك العادل(***) أبوبكر بن أيوب ظل يتقاضى ما كان يتقاضاه في حياة صلاح الدين، وبقي على ذلك إلى أن توفي وتولى من بعده ابنه الملك المعظم(****) عيسى، فأجرى له خمسة عشر دينار، نظير عمله في البيمارستانات فقط، وبقي على تلك الحال إلى أن توفى(3).

وعندما مرض الملـــــــــــك الكامل(*****) ابن الملـــــــــــك

---

(*) ينظر ترجمته ص111 من هذه الرسالة.

(1) ابن أبي أصيبيعة: المصدر السابق، ص652

(**) ينظر ترجمته في ص112 من هذا الرسالة.

(2) ابن أبي أصيبيعة: المصدر السابق، ص673.

(***) هو أبو بكر محمد بن أبو الشكر أيوب بن شاذي بن مروان، كان ملكاً حسن السيرة حازماً في الأمور تقياً، ولد بدمشق في شهر محرم سنة 538هـ وقيل 540هـ، وتوفى في السابع عشر من جمادي الآخر سنة 615هـ، ودفن بالقلعة المنصورة ثم نُقل إلى تربته بالمدرسة العادلية الكبيرة = ابن خلكان: المصدر السابق، 74/5-78. كذلك ابن كثير: المصدر السابق، 71/17-72.

(****) هو عيسى بن الملك العادل سيف الدين أبو بكر أيوب، كان شجاعاً مهيباً حازماً، محباً للعلم، توفى يوم الجمعة في ذي الحجة، سنة 624هـ/1226م = ابن خلكان: المصدر السابق، 494/3-495. كذلك الصفدي: المصدر السابق، 165/23-166، شهاب الدين أبو محمد عبدالرحمان بن إسماعيل المعروف بأبو شامة المقدسي: **تراجم رجال القرنين** السادس والسابع، المعروف بالذيل على الروضتين، عرف الكتاب وترجمه للمؤلف وصححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري، عني بنشره وراجع أصله ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني، دار الجبل (بيروت، 1974) ص152. ابن سباط: المصدر السابق، 291/1.

(3) ابن أبي أصيبيعة: المصدر السابق، ص673.

(*****) هو محمد بن محمد بن أيوب بن شادي بن مروان، حكم مصر أربعين سنة شطراها في أيام والده، كان ملكاً حازماً، حسن التدبير، محباً للعلماء ومجالستهم، أنشأ دار الحديث بالقاهرة، وتوفى سنة (636هـ/1238م) ودفن بقلعة دمشق إلى أن نُقل إلى تربته = أبو شامة: المصدر السابق، ص166. كذلك أبو الفداء: المصدر السابق، 62/6-63.

العادل، وكـــــــــــان سلطان مصـــــــــــر في ذلك الوقت عالجه مهذب الديـــــــــــن الداخـــــــــــوار[******]، إلى أن برء وحصـــــــــــل له مـــــــــــن الذهب والخلع[*] الكثيرة من الثياب، وولاه السلطان في ذلك الوقت رئاسة الطب بمصر والشام[1].

بلغ بعض الأطباء من التكريم درجة التوقيع عوضاً على الخليفة [2] فكان داود[**] بن ديلم، وهو من الأطباء المتميزين ببغداد، قد خدم الخليفة العباسي المعتضد بالله (279-289هـ/892-902م) وكان طبيبه الخاص، فكانت التوقيعات تخرج بخطه لمكانته عنده، وكان يُحسن إليه كثيراً ويُنعم عليه[3].

ورغم كل ما ذكر، فإنه لا يمكن إغفال أن بعض الأطباء يعملون في المشافي احتساباً لوجه الله، وقد بلـــغ بعض الأطباء من الغنى ورغد العيش درجة كبيرة جداً[4].

مما سبق يتبين أن الأطباء كانت لهم مكانة مرموقة عند الخلفاء والسلاطين وقد كانوا يخصصون لهم مرتبات عالية جداً إضافة إلى المكافآت الكبيرة والهدايا الفاخرة والثمينة نظير معالجتهم لهم، مما كان سبباً في ثراء أولئك الأطباء إضافة إلى توليهم المناصب الكبرى في نيابة عن الدولة إلى درجة أن منهم من كان يوقع نيابة عن الخليفة ومنهم من تولى رئاسة الطب، والجدير بالذكر أن الخلفاء والسلاطين لم يميزوا بينهم من ناحية الديانة فلم يكن هناك فرق بين الطبيب المُسلم والنصراني أو غيره إلا في الكفأة في الطب.

---

(******) ينظر ترجمته ص112 من هذه الرسالة.

(*) كانت تستعمل كلمة يُخلع عليه عندما يتولى أحدهم منصباً يوليه إياه السلطان، وكان يلازم ذلك زي يلبسه في حينه = المقريزي: **دُررُ العُقُود الفريدة** في تراجم الأعيان المفيدة، حققه وعلق عليه محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 2002) 17/4.

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص730-731.

(2) محمود محمد: **السلوك الطبي**، مجلة تاريخ العرب والعالم، ص36.

(**) داود بن ديلم: كان من الأطباء المتميزين، خدم الخليفة المعتضد بالله واختص بخدمته، ويتردد إلى دوره، وكان يُحن إليه كثيراً، وتوفى ببغداد يوم السبت لخمس خلون من شهر محرم سنة (329هـ/940م) = ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص315-316.

(3) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص315-316.

(4) عمر كحالة: **العلوم العملية**، ص108.

**محتويات المشافي:**

لقد أُلحقت بالمشافي الكبرى في المشرق العربي الإسلامي عدة مرافق ذات ضرورة وأهمية من قبيل:

أ- **خزائن الشراب (الصيدلية):** فقد كانت الأدوية تُباع في دكاكين العطارين التي تكتظ بها المُدن الإسلامية بالإضافة إلى الصيدليات، وقد أنشئت أول صيدلية منذ عصر الخليفة أبو جعفر المنصور، في مدينة بغداد سنة (149هـ/766م)[1]. ثم تلتها العديد من الصيدليات في المُدن الإسلامية يعمل بها صيادلة عرفوا بالعطارين أو العشابين، ولم تكن الصيدلة منفصلة في بداية العصر الإسلامي عن الطب، فقد كان الطبيب صيدلانياً في نفس الوقت، يقوم بإعداد الأدوية حسب معرفته وخبرته، وبقيت على هذا الحال حتى القرن الثالث الهجري – الثاني عشر الميلادي، عندما تطورت مهنة الصيدلة[*]، وأصبح على الطبيب أن يُلم بها، حيث أن الأدوية لم تُعد مفردة فقط، بل دخلت عليها الأدوية المركبة، كما أصبح تحضير الأدوية لا يحتاج فقط إلى الخبرة، بل الوقت والمُعدات اللازمة لتحضيرها، كما تحتاج أيضاً إلى مكانٍ مناسبٍ[2].

وقد كان الصيادلة يستوردون الأعشاب والعقاقير من أصل نباتي وحيواني من البلاد التي تتوفر فيها، وعرفوا خصائص العديد من المواد وأهميتها في معالجة الأمراض، مثل القرفة وجوز الطيب والصندل والكافور، والتمر الهندي والسنامكي، وكذلك مركبات الزيت والأفيون[**]، فقد كانت معروفة عندهم، قبل اشتغالهم بالصيدلة[3].

---

(1) زيغريد هونكة: المرجع السابق، ص329. كذلك أحمد عبدالرازق أحمد: **الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى "العلوم العقلية"**، دار الفكر العربي (القاهرة، 2003) ص200.

(*) هو علم باحث عن التمييز بين النباتات المشتبهة في الشكل ومعرفة منافعها وجيدها ورديئها وخواصها = طاش كبرى زادة: المصدر السابق، 348/1..

(2) علي الدفاع: المرجع السابق، ص137. كذلك تحسين جهاد: المرجع السابق، ص165.

(**) عقار مخدر وهو العُصارة المُستخرجة من الحبات غير الناضجة لنبات الخشخاش، ويرجع أثره أو مفعوله إلى محتوى المورفين وهو يزيل الألم ويُشعر صاحبه بالنشوة والانتعاش، وله تأثير في جلب نوم عميق لمستخدمه وسهل إيقاظه = جابر عبدالحميد وآخر: **معجم علم النفس**، 2511/5.

(3) عفاف الرشيدي الخضر: **الطب العربي من 1000 سنة**، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد الخامس، السنة الأولى، دار السياسة للصحافة والنشر (بيروت، 1979) ص46.

وكانت الأدوية في صيدليات المشافي توضع في قوارير مكتوب عليها أسماؤها الطبية، إضافة إلى المواد المخدرة أيضاً كانت في قوارير تحمل أسماءها والتي كانت تُستعمل لإزالة الألم أو تخفيفه، مثل: الأفيون والحشيش(*)، والزؤان(**)، والتِرياق(***) المقاوم للسموم وغيرها من العقاقير[1].

لقد وصف ابن جُبير في رحلته، الصيدلية إبان زيارته لبيمارستان صلاح الدين الأيوبي فذكر أنه يحتوي على صيدلية بها العديد من الأدوية والعقاقير علـــى اختلافها[2].

ولم يكن وجود الصيدليات مقصورً على المشافي فقط أو الأماكن العامة، بل تعداها إلى قصور الخلفاء والسلاطين، فقد ذكر ابن أبي أصيبعة، أن أبا قريش عيسى، كان صيدلانياً يجلس على موضع نحو باب قصر الخليفة المهدي ببغداد آنذاك[3]. ولقد وصف لنا القلقشندي أحد القصور الفاطمية فقال: "كان فيها من أنواع الأشربة والمعاجين النفيسة والمربيات الفاخرة وأصناف الأدوية والعطريات الفائقة التي لا توجد إلا فيها، وفيها من الآلات النفيسة، والآنية الصيني من الزبادي(****) والصحون والبراني(*****) والأزيار(******) ما لا يقدر عليه غير الملوك"[4].

هكذا يتضح أن قصور الخلفاء أيضاً لم تخلو من وجود الصيادلة والصيدليات التي تحتوي على جميع الأدوية والأشربة، والأدوات الخاصة بها.

---

(*) وهو الذي يستعمله البعض للتخدير، وهو عصارة القنب الهندي وهو مُخدر ومُفقد للإحساس = محمد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، 447/3.

(**) وهي حبة تكون في الحنطة، وهي تُسْكِرُ وتُسمى أيضاً الدمنة = ضياء الدين أبي عبدالله بن أحمد المالقي المعروف بابن البيطار: **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، مكتبة المثنى (القاهرة، د.ت) 134/2.

(***) الترِياق: بكسر التاء، دواء السُموم، لفظ فارسي مُعرب والعرب تُسمي الخمر ترِياقاً وتِرياقة، لأنها تُذهب من الهم = الرازي: **مختار الصحاح**، ص1107.

(1) عفاف الرشيدي: مجلة تاريخ العرب والعالم، المرجع السابق ص46.

(2) ابن جُبير: المصدر السابق، ص26.

(3) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص215.

(****) مفردها الزُّبْدِيةُ وهي وعاء من الخزف المحروق المطلي بالميناء يخثر فيها اللبن = مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، ص285.

(*****) البْرِنّية وهي إناء من خزف = الرازي: **مختار الصحاح**، ص50.

(******) مفردها زَيرُ، وهو الدَّن = ابن منظور: **لسان العرب**، 1898/3.

(4) القلقشندي: المصدر السابق، 476/3. كذلك المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 420/1.

وصيدليات المشافي كان يعمل بها صيادلة أكفاء يقومون بتحضير الأدوية وإعدادها، ويشرف عليهم رئيس يسمى شيخ الصيادلة[1]، ولم تقتصر جهود العلماء المُسلمين على تضمين مؤلفاتهم الطبية بأبحاث الأدوية والإقراباذين، بل شهد القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي[2] تأليف أول إقراباذين عربي خالص. وهو "الإقراباذين الكبير" على يد سابور بن سهل[*]، الذي ظهر في عصر الخليفة العباسي المتوكل (232-242هـ/846-861م) فقد كان عالماً بقوى الأدوية المفردة وتركيباتها، وظل معمولاً به في جميع الصيدليات إلى حين ظهور إقرابادين أمين الدولة [**] بن التلميذ[3].

ولا يمكن أيضاً إغفال الصيدليات[***] في المشافي المُتنقلة والتي كانت أيضاً مجهزة بكل ما يحتاج إليه المرضى في ذلك الوقت.

ب- **خزائن الكتب الطبية (المكتبات)**: وهذا من أهم ما ينبغي توفره في المشافي ، فقد اهتم المُسلمون اهتماماً كبيراً بإنشاء المكتبات، والتشجيع على البحث والتأليف، في مختلف فروع الطب ومجالاته المتعددة كتحضير الأدوية واستخدام العلاجات لهذه الأمراض وطرق الوقاية منها[4] بالإضافة إلى المكتبات العامة، فقد ظهرت مكتبات المشافي التي لم تكن مكاناً للعلاج فقط، بل كانت أيضاً مكاناً للدراسة النظرية والتدريب العملي[5]، ومن أشهر مكتبات المشافي، تلك التي وجدت في بيمارستان أحمد بن طولون

---

(1) أحمد عبدالرازق: **الحضارة الإسلامية**، ص200.

(2) المرجع نفسه، ص188.

(*) هو طبيب نصراني، كان متميزاً في الطب – صاحب بيمارستان جنديسابور، وله العديد من المؤلفات منها قوى الأطعمة ومضارها، وتوفى سنة (255ه/86م) = النديم: المصدر السابق، ص355؛ كذلك القفطي: المصدر السابق، ص141؛ ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص230.

(**) ينظر ترجمته، ص89 من هذه الرسالة.

(3) النديم: المصدر السابق، ص355. كذلك القفطي: المصدر السابق، ص141، ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص230، الصفدي: المصدر السابق، 47/15.

(***) راجع ص 35-36 من هذه الرسالة.

(4) مفتاح محمد دياب: **مكتبات المستشفيات والمراكز الصحية**، دار الصفاء (عمان، 2006) ص15 - 16.

(5) ربحي مصطفى عليان: **المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية**، دار الصفاء (عمان، 1999) ص141-142. كذلك عبدالستار الحلوجي: **لمحات من تاريخ الكُتب والمكتبات**، دار الثقافة (القاهرة، 1990) ص55.

بالقاهرة(****). فقد ورد ذكرها في روايتين فذكر المقريزي أن هذه المكتبة كان فيها من الكتب ما يزيد عن مائتي ألف مجلد في مختلف فروع العلم(1)، بينما ذكر ابن تغري بردي في كتابه النجوم الزاهرة بأنه كان فيها ما يزيد عن مائة ألف مجلد في سائر العلوم(2). وإن كانت هذه الأرقام مبالغ فيها، حيث أنه من المرجح أنهم ذكروا أرقاماً تقريبية لكثرة ما بها من كتب وبالتالي لا يمكن التسليم بقبولها – ولاختلاف الفترة الزمنية بين الروايتين – فالكتب في زيادة ونقصان، وإن دل هذا فإنما يدل على ما كانت تحويه هذه المكتبات من الأعداد الضخمة من الكتب في شتى العلوم، واهتمام المُسلمين بإنشاء المكتبات الطبية وتزويدها بالكتب.

كما أن من أشهر المشافي التي بها مكتبة تحتوي على أعداد ضخمة من الكتب البيمارستان العضدي(*) ببغداد والبيمارستان النوري بدمشق(3)، الذي أوقف عليه السلطان نور الدين زنكي العديد من الكتب الطبية وضعت في خورستانين(**)(4).

وتعتبر المشافي أكثر الأماكن التي تحتوي على مكتبات طبية حافلة بالعديد من الكتب، وذلك لأنها كانت بمثابة مدارس لتدريس الطب بها(5). وبصفة عامة فقد كانت المكتبات الإسلامية بجميع أنواعها العامة والخاصة، المدرسية والطبية وغيرها من المؤسسات العلمية حريصة على تقديم كل ما يحتاج إليه روادها من كتب، ودراسة وإطلاع في ذلك الوقت(6).

---

(****) يُقال لها القاهرة المعزية نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمي الذي بُنيت لهُ، بناها القائد جوهر لمولاه سنة (358هـ/968م) عند وصوله من المغرب إلى مصر واستيلائه عليها = الحموي: **معجم البلدان**، 301/4.

(1) المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 409/1.

(2) ابن تغري بردي: المصدر السابق، 106/4.

(*) ينظر ص85-88 من هذه الرسالة.

(3) ربحي عليان: المرجع السابق، ص142.

(**) الخورستان هو المدخل = بول غليونجي: المرجع السابق، هامش 83/1.

(4) مفتاح محمد دياب: **مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية** (بنغازي، 1992) ص96.

(5) السيد السيد النشار: **تاريخ المكتبات في مصر العصر المملوكي**، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة، 1993) ص101.

(6) مفتاح دياب: **مقدمة في تاريخ العلوم**، ص96.

# المبحث الثالث

# تدريس الطب

وصل المستوى العلمي والتطبيقي للطب في زمن الخلفاء العرب المُسلمين – العصر العباسي (من القرن الثالث إلى القرن السابع الهجري/التاسع إلى الثالث عشر الميلادي)، حداً لم يُحرزِه من قبل، فقد ظهرت فيه عدة أماكن لتدريس الطب بأساليب جديدة وروح إنسانية مبتكرة[1]. حيث أن الفترة السابقة لظهور الإسلام، كان تدريس الطب في مدرستي الإسكندرية وجنديسابور، وكان التدريس يتم فيهما وفقاً للطريقة اليونانية، من حيث قراءة المعلومات وتفسيرها والتعليق عليها، فصارت هاتان المدرستين نقطة البداية، بمعنى أن تعليم الطب في بداية العصر الإسلامي كان يتم بطريقة بدائية حيث كان كل مُعلم يُعلم تلميذاً أو اثنين، والأرجح أن هذا كان في بيت المعلم والتطبيق في بيت المريض، ولما كَثُرَ الطلاب، اضطر المعلمون إلى إعطاء دروسهم في أماكن أوسع، فانتقلوا إلى إحدى أركان المساجد، حيث تُقام في نفس الوقت دروس علوم الدين في ركن آخر من المسجد[2].

وكانت مدرسة الإسكندرية حتى زمن الحكم الأموي لا تزال تعمل بتدريس الطب، وكان من أطبائها في ذلك الوقت، عبدالملك بن أبجر الكناني، الذي كان من ضمن من تعلم الطب فيها، فلما استخلف عمر بن عبدالعزيز استدعاه إلى مدرسة أنطاكية بالشام فكانت أول مدرسة لتعليم الطب في المشرق العربي الإسلامي[3].

وكان أكثر تلاميذ المدارس الطبية يدرسون الفلسفة وعلم النجوم قبل تعلم الطب، وقد يتعلمونهما معاً في آن واحد، وبقي كثير من الفلاسفة العرب حتى القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي يزعمون أن الطب ليس بحد ذاته علماً، بل هو صناعة، وقد ثار بعض الأطباء العرب على هذه الآراء ورأوا أن بقاء الطب مرتبطاً بالفلسفة

---

(1) سامي حمارنة: **الصناعة الطبية في العصر الإسلامي الذهبي**، مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، المجلد العاشر، وزارة الإعلام (الكويت، 1979) ص395.

(2) كمال السامرائي: **تعليم الطب في العصور الإسلامية** "مقالة وردت ضمن أبحاث المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي" المنعقد بالكويت خلال الفترة من 6 إلى 12 يناير (الكويت، 1981) ص315.

(3) المرجع نفسه، ص315.

لابد أن يعيق تقدمه وتطوره، وعملوا على فصل هذه العلاقة[1]. ومع أن الأطباء المُسلمين مارسوا الطب إلى جانب علوم الشريعة والفلسفة والكيمياء والصيدلة، فقد عرفوا أيضاً مبدأ التخصص في المعالجة واتسع المجال لممارسة الطب داخل المشافي[2].

**أماكن تدريس الطب:**

**1- التدريس بالمشافي الكبرى:**

وبما أن الطب علم تطبيقي لا يسهل ممارسته إلا بمشاهدة حالات المرضى ومعرفة شكواهم وأمراضهم، وتجريب الأدوية عليهم، لذلك لا يعترف بوجود أماكن لتدريس الطب قبل استحداث المشافي[3]. فقد كانت بعض المشافي معاهد لتدريس الطب، وكان تدريسه فيها على أيدي كبار الأطباء[4]، لأن مهمة المشافي لم تكن مقتصرة على مداواة المرضى، بل كانت أيضاً في نفس الوقت مدارس علمية لتدريس الطب وتخريج الأطباء في جميع تخصصاتهم[5]. وكانت التجربة العملية تسير مع العلم جنباً إلى جنب، والتجارب تتم على أسرة المرضى، فأصبحت في أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، بحالة جيدة تتوفر فيها التسهيلات التي يحتاجها المريض من طعام وشراب وأدوية، ثم تحولت بعد ذلك إلى مدارس لتعليم الطب، وتخريج الأطباء، وأمكنة للاستشفاء، فجمعت بذلك بين ممارسة الطب، وبين معالجة المريض[6]، وبذلك تكون دراستهم الطبية نظرية وعملية[7]. وكان كبار الأطباء يعقد مجالس عامة لتدريس الطب، وكانت هذه الاجتماعات تُعقد في المشافي الكبرى الموجودة في المُدن الرئيسية في العالم العربي، وخاصةً البيمارستان العضدي في بغداد والنوري بدمشق، والبيمارستان الناصري بالقاهرة[8].

---

(1) كمال السامرائي: المرجع السابق، ص319.

(2) مرسي عرب: المرجع السابق، مجلة المؤرخ العربي، ص100.

(3) كمال السامرائي: **تعليم الطب**، أبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، ص315.

(4) هاني المبارك وآخر: المرجع السابق، ص105.

(5) أحلام استيتية: المرجع السابق، ص67؛ كذلك سليم الحسنية: المرجع السابق، ص16.

(6) سليم الحسنية: المرجع السابق، ص16؛ كذلك رشيد الجميلي: المرجع السابق، ص343.

(7) هاني المبارك وآخر: المرجع السابق، ص105.

(8) أحلام استيتية: المرجع السباق، ص67-88.

فعلماء المُسلمين الذين استفادوا من كتب اليونان وما حققوه من نتائج في علم الطب، لم يلبثوا أن فاقوا أساتذتهم، فجمعوا ما جاء في كتب اليونان من معلومات، وصححوا ما جاء فيها من أخطاء، وأضافوا الكثير إلى الطب، علماً وعملاً، وكان منهجهم على أساس التجربة والمشاهدة، فألحقوا دراسة الطب بالمشافي ليتمكن المُعلِمون والمُتعلِمون من تشخيص الحالات المرضية ومتابعتها، والوقوف على تطور المرض وأعراضه، وإجراء الفحوص اللازمة – وفي جميع الحالات يبدأ المعلم بالوقوف على حالة نبض المريض، ويفحص بوله، وبعد ذلك يكتب له نسخة (أي تقرير بحالته الصحية) ويضع له نظاماً معيناً يتبعه في الأكل والشرب والحركة والراحة، وإذا انتقل علاج المريض من طبيب إلى آخر، وجب على الطبيب الثاني الإطلاع على تقرير حالة المريض والأدوية التي تعاطاها[1].

وكان للطبيب الحرية التامة في العمل والتجريب واستنباط أساليب العلاج المناسبة وكانت التجارب تسجل في كتب خاصة عُرفت باسم المجربات ليقرأها الأطباء والتلاميذ[2] فكان لابن أبو البيان المدور[*] مجرباته في الطب[3]، وكان يوسف الساهر[**] كناش وهو من قام بتجريبه في علاج المرضى[4]. وأيضاً كان لابن العين زربي[***] مجرباته في الطب[5] ولابن أبو الفضائل الناقد[*] مجرباته في الطب[1].

---

(1) سعيد عاشور وآخرون: المرجع السابق، ص121.

(2) عبدالرحمان الكيالي: **ثقافة الأطباء عند العرب**، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد الرابع والثلاثين، مطبعة الترقي (دمشق، 1959) ص565. كذلك عمر كحالة: **العلوم العملية**، ص109-110.

(*) هو أبو البيان بن المدور لُقب بالسديد وأصله يهودي، طبيباً خبيراً بالطب، خدم الخلفاء الفاطميين في آخر دولتهم، وبعدها خدم السلطان صلاح الدين= ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص579.

(3) المصدر نفسه، ص 579.

(**) اسمه يوسف ويُعرف بالساهر، كان خبيراً بالطب وكان في عصر الخليفة المكتفي بالله (289-295هـ/901-907م) = النديم: المصدر السابق، ص356. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص278، ابن العبري: المصدر السابق، ص154.

(4) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص278.

(***) هو الشيخ موفق الدين عدنان بن خضر بن منصور من أهل عين زربة، أقام ببغداد مدة من الزمن، واشتغل بالطب والعلوم الحكمية، ثم انتقل من بغداد إلى مصر وخدم الخلفاء الفاطميين وأقام فيها إلى حين وفاته، وله العديد من المؤلفات منها: الكافي في الطب، شرح كتاب الصناعة الصغير لجالينوس، وتوفى بالقاهرة سنة (548هـ/1153م) = ابن أبي أصيبعة: المصدر نفسه، ص570-571.

(5) المصدر نفسه، ص580.

أما بالنسبة لأهم الجوانب التي كان يُدرس بها الطب بالمشافي في المشرق العربي الإسلامي بشكل عام فقد كانت كالآتي:

**أ- الجوانب النظرية:**

ويقصد بها كتب الطب النظرية، فقد قسم الأطباء المُسلمون هذا النوع إلى: (أ) معرفة الأمور الطبيعية، (ب) معرفة الأمور التي ليست بطبيعية، (ج) الأمور الخارجة عن الطبيعة[(2)].

فهذه الأقسام وما يتفرع منها هي المجال الذي كان على طالب الطب دراسته وإتقانه في الجانب النظري، والتي أكد عليها أغلب أطباء في كتبهم العلمية، وهو أمر ليس بالسهل، إذ على الطالب مداومة القراءة والإطلاع، ومُلازمة الأطباء، وإذا لم يأخذ كفايته من الجانب النظري، فإنه ليس بالسهل مباشرته للطب عملياً، فهو يحتاج إلى كثرة الإطلاع، ولا يقتصر على اليسير منها وإنما الوقوف على الأصول والفروع لهذا العلم، ودراسة كل عضو من أعضاء جسم الإنسان، ودراسة الكتب التي تختص بذلك[(3)].

وكان تدريس العلوم الطبية لا يسير على نمطٍ واحد في المشرق العربي الإسلامي، فالأطباء الذين برزوا خلال القرون الخمسة الأولى من الهجرة، كان تعليمهم يعتمد على كُتب الأوائل ومناهجهم، ولاسيما كتب جالينوس ومنهجه، وكان الأغلب منهم يعتمدون في تعليمهم للطب على الكتب التي كان أطباء مدرسة الإسكندرية يُدرِسون به. ومنذ بداية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، بدأ كبار الأطباء المُسلمين في المشرق العربي الإسلامي بإهمال كتب أبقراط وجالينوس[(*)] الطبية، وطرق أطباء الإسكندرية، في تعليم الطب لظهور الموسوعات الطبية ومناهجها التعليمية الجديدة التي

---

(*) لُقب بالمهذب، طبيب يهودي شهير بالطب، وخاصة طب العيون، توفى سنة (584هـ/1188م) = ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص580.

(1) المصدر نفسه، ص580.

(2) علي بن عباس المجوسي: **كامل الصناعة الطبية**، مطبعة بولاق (القاهرة، 1924هـ) 14/1.

(3) مزيران سعيد عسيري: **تعليم الطب في المشرق الإسلامي نظمه ومناهجه حتى نهاية القرن السابع الهجري** (مكة، 1417ه)، ص26-27.

(*) وهو قلاوديوس جالينوس من أهل مدينة بُرغَمُش، أو برغامس شرق القسطنطينية، ولد بها سنة 130م، برع في الطب والفلسفة، شرح كتب أبقراط، وله الكثير من المؤلفات في العديد من العلوم، وتوفى حوالي سنة 200م = ابن جلجل: المصدر السابق، هامش رقم 41/15-42.

أثبتت تفوقها العلمي والتنظيمي على كتب القدماء، مما أعلن عن ظهور مدرسة طبية جديدة لتعليم الطب وهي المدرسة الطبية الإسلامية[1].

وكان لزاماً على طالب الطب دراسة عدة موضوعات وإتقانها وهي:

– معرفة فرق الطب: وذلك بمعرفة كل فرقة ووجهة نظرها لتحديد منهجه الدراسي على ضوء إحدى هذه الفرق. وهذه الفرق هي فرقة أهل التجربة، فرقة أهل النظر والقياس، وفرقة أهل الحيل[2].
– معرفة الأركان أو الاستقصات[**] التي يتركب منها بدن الإنسان وغيره من الكائنات، وهذه الأركان هي: النار، والهواء، والماء، والتراب[3].
– معرفة الأخلاط[***] وتقسيماتها: وهي الدم والبلغم والمرة الصفراء والمرة السوداء، ولكل من هذه الأخلاط صفات معينة، من الكيفيات الأربعة التي تدل على الحرارة والبرودة والجفاف والرطوبة[4].
– معرفة الأمزجة وأنواعها: وهي البسيط والمركب والمعتدل[5].

كما يجب على طالب الطب معرفة أعضاء جسم الإنسان وإحصاؤها وخلقتها وتشريحها، والوقوف عليها بالحس والمشاهدة، لمعرفة ارتباط كل عضو بالآخر، وكذلك معرفة الصحة وعلاماتها، والقوى الطبيعية، ودورها في المحافظة على جسم الإنسان، وأيضاً الإلمام الكامل بعلم الأمراض وأسبابها وأعراضها، والتفريق بين كل مرضٍ

---

(1) مزيران عسيري: المرجع السابق، ص23.

(2) المرجع نفسه، ص27-28.

(**) الاستقصات، مفردها الاستقصى، وهو أبسط أجزاء الجسم المركب وأقلها مقداراً = المجوسي: المصدر السابق، 15/1.

(3) علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي المعروف بابن النفيس: **الموجز في الطب**، قرأه وقدم له وعلق عليه يحيى مراد، دار الكتب العلمية (بيروت، 2004) ص65. كذلك مزيران عسيري: المرجع السابق، ص27-28.

(***) أخذ العرب هذه النظرية عن أبقراط وجالينوس فشرحوها وأضافوا عليها، ثم أخذتها عنهم أوروبا، حيث ظلت هذه النظرية سائدة حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت أساس الطب عند العرب، وأخذوا عن أبقراط وجالينوس إن الصحة موقوفة على طبيعة الأخلاط، وأن عددها أربعة كعدد العناصر، وقد زاد عليها جالينوس، نظرية الأرواح الثلاثة، وأخذوا بها العرب أيضاً = أمين خيرالله: المرجع السابق، ص92.

(4) ينظر ابن النفيس: **الموجز في الطب**، ص65، 67. كذلك سامح سامي: المرجع السابق، ص223.

(5) ينظر ابن النفيس: **الموجز في الطب**، ص65. كذلك أمين خيرالله: المرجع السابق، ص94.

وآخر، وكيفية معالجته، ومعرفة الإنذار بالمرض والاستدلال عليه عن طريق النبض والبول وغيرها، وبما أنه بحاجة إلى الشق والقدح والبط والكي فلابد له من دراسة الجراحة أثناء دراسته النظرية ومعرفة آلاتها، إضافة إلى الإلمام بعلم الأغذية والأدوية المفردة والمركبة، ومنافعها وأيضاً دراسة كتب أبقراط وجالينوس(1).

أما **الكتب العربية التي كانت تُدرس في الطب** في ذلك الوقت فتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- **كتب موسوعية**: ويمثلها كتاب القانون في الطب لابن سينا(*) (375-428هـ/985-1036م)، حيث ظل هذا الكتاب مرجعاً للأطباء، وطلاب الطب مدة طويلة(2)، وقد نال هذا الكتاب من الشهرة ما لم يناله كتاباً آخر، فاختصر وشرح ووضعت عليه الحواشي والتعليقات(3).
- **كتب للتدريس العملي**: ويمثله كتاب الحاوي لأبي بكر الرازي، ويعتبر من أهم مؤلفاته، وينقسم إلى قسمين إحداهما للإقراباذين، والثاني مجموعة ملاحظات سريرية جمعها تلاميذه بعد وفاته من قيودات المُستشفى، ومن مذكراته الخاصة، وأهم ما فيه التعليقات السريرية على الأمراض وتدوين سير المرض مع العلاج المستعمل(4).

---

(1) مزيران عسيري: المرجع السابق، ص30-32.

(*) هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا، من أكبر فلاسفة المُسلمين وأطبائها من مدينة بخارى ولد سنة (375هـ/985م) تعلم القرآن والأدب في سن العاشرة، ثم تعلم المنطق والحساب والهندسة، ورغب في الطب وتعلمه وبرز فيه، وفي السادسة عشرة أخذ يعلم الناس الطب ويعالج المرضى وعندما بلغ العشرين من عمره بدأ يصنف الكتب أهمها كتاب الشفاء وكتاب القانون في الطب، وتوفى بمرض القولنج يوم الجمعة في شهر رمضان سنة 428هـ/1036م ودفن بهمذان = ينظر ترجمته في كل من:

القفطي: المصدر السابق، ص268-278؛ كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، 437-445، ابن خلكان: المصدر السابق، 157/2-162، العمري: **مسالك الأبصار**، ورقة 114/17-121، ماجد مصطفى: **موسوعة العباقرة العرب**، 15-19.

(2) عبدالمنعم الصفو: **تعلم الطب عند العرب**، "مقالة وردت ضمن أبحاث المؤتمر السنوي الثالث للجمعية السورية لتاريخ العلوم" المنعقد بجامعة حلب خلال الفترة من 12-13 أبريل (حلب، 1978)، ص274.

(3) أحمد أحمد بدوي: **الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية**، مطبعة النهضة المصرية (القاهرة، د.ت) ص311.

(4) عبدالمنعم الصفو: **تعلم الطب**، أبحاث المؤتمر السنوي الثالث للجمعية السورية لتاريخ العلوم، ص276.

- **كتب دراسية محضة**[1]: ويمثلها كتاب المسائل في الطب لحُنين بن إسحاق[2]، وهــو المدخل للطب لأنه جمع فيه جملاً تمثل أساسيات ومبادئ هذا العلم[3].

ويُعد حُنين بن إسحاق ومعاصره يوحنا بن ماسويه، هما أول من ألفا كُتباً في طب العيون لغرض التدريس، وقد جمع تلامذة هذين الأستاذين كتاباتهما وأعدوا فيها الكتب، حيث ألف يوحنا بن ماسويه كتاب معرفة **محنة الكحالين**، وقد أعده مختصراً لغرض تدريس الطلبة، ويتحدث فيه عن مبادئ أمراض العين، أما كتابه الآخر "**دَغل العين**" فقد جمع من قبل طلابه تقريباً[4]. أما كتاب "**العشر مقالات في العين**" لحُنين بن إسحاق، فهو كتاب جمع فيه حُبيش الأعسم[*] أبحاث ودراسات أستاذه حُنين التي كان يدرسها لطلابه لعدة سنوات[5].

وكانت مؤلفات المُعلمين الخاصة بالطب، متوفرة بكثرة في أسواق الورَّاقين، وكانت الكتب المتوسطة الحجم أكثر تداولاً بأيدي طلبة العلم من الكتب الضخمة ككتاب الحاوي للرازي، وكتاب الملكي للمجوسي[*]، والقانون لابن سينا، التي لم يكن يقتنيها إلا

---

(1) المرجع نفسه، ص277.

(2) النديم: المصدر السابق، ص398.

(3) عبدالمنعم الصفو: **تعلم الطب**، أبحاث المؤتمر السنوي الثالث للجمعية السورية لتاريخ العلوم، ص277.

(4) منى البزم وإبراهيم نجمة: **تدريس طب العيون في الدولة العربية الإسلامية**، المقالة وردت ضمن وقائع المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية المنعقد بجامعة دمشق خلال الفترة من 20 إلى 26 أبريل، وزارة التعليم العالي (دمشق، 1981) ص803.

(*) ينظر ترجمته في كل من:

أ- النديم: المصدر السابق، ص355.

ب- القفطي: المصدر السابق، ص122.

ج- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، 276.

(5) منى البزم وآخر: **تدريس طب العيون**، مقالة وردت ضمن وقائع المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص803.

(*) هو علي بن العباس، يُعرف بالمجوسي، كان طبيباً متميزاً في الطب، تعلم الطب على أبي ماهر موسى بن سيار المتوفى سنة (384هـ/994م)، صاحب كتاب "كامل الصناعة الطبية" المعروف بالملكي، ألفه للملك عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي ويشمل جانبي الطب العلمي والعملي = ينظر ترجمته في كل من:

ابن صاعد: المصدر السابق، ص62. كذلك القفطي: المصدر السابق، ص155-156، ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص319-320، حاجي خليفة: المصدر السابق، 1380/2.

المتمرسون في الطب، وهواة جمع الكتب[1].

**ب- الجانب العملي:**

الطب علم نظري وعملي، أباحت الشريعة تعلمه لما فيه من حفظ الصحة ودفع العلل والأمراض عن الناس[2]. وقد كانت دروس الطب العملية تُعطى في الأغلب في المشافي، حيث أن الطبيب بعد أن يفحص المرضى ويعاينهم، ويصف العلاج لكل مريض يشرح للطلبة كيفية استدلاله على المرض، بمعنى أن طالب الطب بعد أن يدرس مادته نظرياً يمارسها عملياً، بمشاهدة المرضى في المشافي ويعرف أمراضهم، ويصفه للطلبة، ثم يكتبون ما تلقوه في مذكراتهم التي كانت تُسمى في ذلك الوقت "دستوراً"[3].

وقد أكد علي بن عباس المجوسي على ضرورة تعلم الطب عملياً بجانب الطب النظري فذكر أنه ينبغي لطالب الطب أن يكون ملازماً للبيمارستانات ومواضع المرضى كثير المداولة لأمورهم وأحوالهم مع كبار الأساتذة من حُذَّاق الأطباء، كثير التفقد لأحوالهم، والأعراض الظاهرة فيهم، وقد وصف لنا ابن أبي أصيبعة كيفية ممارسته للطب عملياً مع كبار الأطباء بالبيمارستان[4].

هناك جانب مهم جداً في الطب العملي لا يمكن إغفاله ألا وهو **الطب الإكلينيكي** (السريري)، ويقصد به الملاحظات الإكلينيكية أو الوقعات السريرية، وهي عرض سير المرض من بدايته وملاحظة تطوره تدريجياً، وتدوين أي عارض يظهر على المريض بتسلسل تاريخي منتظم، حتى شفاء أو موت المريض مع ذكر العلاج الذي يتناوله المريض أثناء ذلك، وتأثيره على حالته، وتطوره بأسلوب علمي طبي قصصي، الغرض منه الفائدة التعليمية[5].

وكان أول من اعتنى بتدوين الحالات السريرية هو الطبيب اليوناني أبقراط، وقد

---

(1) كمال السامرائي: **تعلم الطب**، أبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، ص320.

(2) محمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن الإخوة: **معالم القربة في أحكام الحِسْبة** (ورد ضمن كتاب في التراث الاقتصادي الإسلامي) دار الحداثة، (بيروت، 1990) ص223. كذلك نقولا زيادة: **الحِسْبة والمحتسب في الإسلام**، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، 1962) ص100.

(3) ينظر ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص731-732.

(4) المجوسي: المصدر السابق، 9/1، أو Kawakffa and other: op. cit., p. 32.

(5) فرات فائق خطاب: **الملاحظات الإكلينيكية والحالات السريرية في كتاب الحاوي للرازي**، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الثاني، وزارة الإعلام (بغداد، 1973) ص20.

امتازت ملاحظاته بالدقة والبساطة والأسلوب العلمي البحت، ثم جاء من بعده جالينوس إلا أن ملاحظاته لم تكن في مستوى وثائق أبقراط عملياً، ولا يوجد بعد جالينوس من اهتم بتدوين الملاحظات السريرية حتى عصر أبو بكر الرازي[1]، الذي يُعتبر بحق أول من أظهر أهمية الطب السريري والنفساني وكتب عنهما باستفاضة، وساعد على تطور الطب، وأكد على أهمية التجارب الطبية، والعمل في المشافي، وقد حاول رفع مستوى التعليم الطبي برفع مستوى مزاولي مهنة الطب علمياً وأخلاقياً[2]. وقد اهتم بالملاحظات السريرية، وذلك بتدوين الملاحظات الخاصة بمرضاه لمعرفة سير المرض، وأحوال المريض في جميع ظروف حياته، ويقظته ومزاجه ومهنته، والأمراض الوراثية في أسرته، وظروفه الاجتماعية والاقتصادية، وطريقته في التغذية، مع اهتمامه بوصف العلاج والدواء، بالإضافة إلى اهتمامه بالجانب النفسي من أجل مقاومة الجسم للمرض[3].

وتبرز مقدرة الرازي الطبية في تقدمة المعرفة، وهو ما يسمى الآن بالإنذار، فيتقدم المريض ويخبر عما سيكون من المرض وهو فن قد برع فيه إلى جانب براعته في سير المرض وتدوينه، وهذه الصفة التي وجدت فيما بعد عند مشاهير الأطباء في الخلافة العباسية[4]. فلم يكن الرازي مقلداً في عمله كطبيب لهؤلاء الذين ظنوا أن قدرة الطبيب ومدى عبقريته تُقاس بمقدار فهمه واقتباسه لما كتبه الأطباء القدامى، بغض النظر عما يراه هو في الواقع بالاختبار والمشاهدة، بل انفرد برأيه وصدق في تسجيل اختباراته وتجاربه الشخصية، حيث أن كتابه الحاوي جاء حافلاً بانتقادات من سبقوه[5]، ونتيجة لمتابعته الدقيقة لحالات مرضاه، توصل إلى معرفة الكثير من الأمراض ووضع فيها رسائل كثيرة كرسالته في الجدري والحصبة ورسالته في الحصى في الكلى والمثانة[6]، فقد أكد على أن ممارسة المهنة خير مُعين

---

(1) المرجع نفسه، ص20.

(2) سامي حمارنة: **الصناعة الطبية**، مجلة عالم الفكر، ص303.

(3) أحمد عبدالحليم عطية: **دراسات في تاريخ العلوم عند العرب**، دار الثقافة (القاهرة، 1991) ص379.

(4) هاشم الوتري: **مميزات طب الرازي**، مجلة المورد، العدد الأول، المجلد الرابع، مطبعة المجمع العلمي العراقي (بغداد، 1956) ص390.

(5) سماح سامي: المرجع السابق، ص100.

(6) هاشم الوتري: المرجع السابق، مجلة المورد، ص391.

لاكتساب الخبرة والمهارة[1]. ويـــرى الرازي إن للمشافي أهمية رئيسيـــة في توفير التعريـــف العملي للطلبـــة، في مختلف التخصصات ونشر المعلومات الصحيـــة[2]، وقـــد اهتـــم كثيراً بالتجربـــة، وأكـــد على أهمية الممارسة والخبرة في العلاج، والطبيب الممارس عنده، أفضـــل ممن عرف الطب عن طريق الكتب[3].

وهناك جانب مهم يجب على طالب الطب معرفته والتدريب عليه في المشافي، ألا وهو التشريح[*]، ومعرفة الأدوات وإجراء العمليات الجراحية[4]، ولذلك فإنه خصص الجزء العاشر من كتابه "الحاوي" للتشريح ومنافع الأعضاء[5]، وقد نادى كبار الأطباء بأن يُدرس التشريح كمادة أساسية للطبيب الممارس، الأمر الذي دفع الطبيب المصري ابن جُميع[**] طلباً للسلطان صلاح الدين الأيوبي بهذا الخصوص، كما ناشد معلمي الطب أن يُكثروا من تدريب التلاميذ على التشريح في المشافي[6].

كما رأى الرازي أن طالب الطب ينبغي أن يُمتحن في التشريح أولاً فإذا لم يكن له علمٍ به فلا حاجة له به أن يمتحنه على المرض عملياً[7]. وكان الأطباء المُسلمون يؤكدون على دراسته كشرطاً أساسياً لممارسة الطب، ففي ذلك قال ابن المطران: "حاجة الطبيب إلى علم التشريح بالمباشرة يحصل له فيه معرفة جوهر كل عضو"[8]، أيضاً

---

(1) سماح سامي: المرجع السابق، ص100.

(2) سامي حمارنة: علوم الحياة "مقالة وردت ضمن كتاب **عبقرية الحضارة العربية** منبع النهضة الأوروبية، لعدد من المؤلفين، ترجمة عبدالكريم محفوظ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي (دمشق، 1982) ص297-298.

(3) أحمد عطية: المرجع السابق، ص380.

(*) وهو علم باحث عن كيفية أجزاء البدن وتركيبها من العروق والأعصاب والغضاريف والعظام وغير ذلك من أحوال كل عضو فيه = طاش كبرى زادة: المصدر السابق، ص347.

(4) مزيران عسيري: المرجع السابق، ص46.

(5) النديم: المصدر السابق، ص398.

(**) هو الشيخ الموفق هبة الله بن زين بن جميع الإسرائيلي، ولد ونشأ بالفسطاط في مصر ومن أشهر الأطباء، خدم الملك صلاح الدين أيام دولته وحظي عنده وله العديد من المؤلفات = ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص576، 579.

(6) كمال السامرائي: **تعليم الطب**، أبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، ص318

(7) يوسف محمود: المرجع السابق، ص142.

(8) أبو نصر أسعد بن إلياس بن مطران: **بستان الأطباء وروضة الأنباء**، تحقيق عبدالكريم أبو شويرب، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (طرابلس، 1993) ص119.

عندما قاموا بممارسة التشريح، عبداللطيف البغدادي في إحدى المقابر بمصر القديمة، وبيَّن إنه اكتشف خطأ جالينوس عندما مارس التشريح بنفسه[1] وقال: "فشاهدا من شكل العظام ومفاصلها وكيفية اتصالها وتناسبها وأوضاعها ما أفادنا علماً لا نستفيده من الكتب ... فمن ذلك عظم الفك الأسفل، فإن الكل قد أطبقوا على أنه عظمان بمفصل وثيق عن الحنك، وقولنا الكل إنما نعني به هنا جالينوس وحده فإنه هو الذي باشر التشريح بنفسه وجعله دأبه ونصب عليه وصف فيه عدة كتب معظمها موجود لدينا ..."[2].

هكذا انتقد قول جالينوس فيما يخص الفك السفلي وصحح خطأه عندما مارس التشريح عملياً ولم يعتمد على نظريات جالينوس.

أما إذا لم يستطع الطالب ممارسة التشريح على الأجسام البشرية فلابد من إجراء تشريحها على الحيوانات التي تشبه أعضائها بأعضاء جسم الإنسان كالقرود، وتحت إشراف حُذَّاق الأطباء[3]. كما فعل الطبيب يوحنا بن ماسويه فيذكر إنه قام بتشريح قردته، ووضع كتاباً مهماً في ذلك استحسنه أعداؤه وأصدقاؤه[4].

ومن الذين اهتموا أيضاً بالملاحظات السريرية وميزوها المجوسي[5]، وأيضاً الطبيب موفق الدين يعقوب بن سقلاب[*]، كان أيضاً يهتم بمتابعة حالة المريض سريرياً، حيث كان شديد الملاحظة فيما يشكو منه المريض، وما يلاحظه عليه من أعراض، فكان في معالجته الكثير من الدقة ومبنية على الاستفسار والملاحظة[6].

هكذا كانت التجربة تسير مع العلم جنباً إلى جنب، والتحقق من النظريات على أسرة المرضى، فقد اتبع المُسلمون في تدريس الطب طريقة علمية، تقتضي على طلاب الطب أن يدخلوا مع المرضى في احتكاكٍ دائم ومثمر، فيقابلوا ما درسوه نظرياً بما

---

(1) توفيق الطويل: المرجع السابق، مجلة عالم الفكر، ص253.

(2) موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي: **رحلة عبداللطيف البغدادي في مصر أو كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر**، أشرف على هذه الطبعة وقدم لها عبدالرحمان عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.م، 1998) ص149-150.

(3) مزيران عسيري: المرجع السابق، ص47.

(4) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص250.

(5) أحمد الشطي: المرجع السابق، ص77.

(*) ينظر ترجمته ص118-119 من هذه الرسالة.

(6) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص798.

يشاهدونه بأعينهم، وبذلك تخرجت طبقة من الأطباء لم يشهد العالم لهم مثيل، في ذلك الوقت[1].

**2- التدريس في مدارس خاصة:**

تدريس الطب لم يكن دائماً تابعاً للمشافي بل كانت هناك مدارس خاصة لتدريسه، فالطبيب الغني والمشهور، مهذب الدين عبدالرحيم بن علي المعروف بالداخوار[*]، والذي مات بلا عقب، أوقف منزله بدمشق ليكون مدرسة لتدريس الطب، وأوقف عليها ضياعاً والعديد من الممتلكات، ليكون إيرادها لسد احتياجات المدرسة، من رواتب للمُعلِمين بها، وكذلك العاملين فيها، وكان ذلك قبل سفره لخدمة الملك الأشرف[**] سنة (622هـ/1225م)، ولقد قام الطبيب شرف الدين بن الرحبي[***] بتدريس الطب فيها لعدة سنوات، ثم صار المدرس بها بعد ذلك بدر الدين المظفر بن قاضي بعلبك[****] وذلك بأمر من الملك الجواد مظفر الدين يونس[*****] بن شمس الدين محمد بن الملك العادل، حيث أرسل له منشوراً بتوليته رئاسة الطب بها وأن يدرس فيها، وذلك سنة (637هـ/1239م)[2].

واستمرت هذه المدرسة في القيام بعملها في التدريس حتى نهاية القرن الثامن

---

(1) زيغريد هونكة: المرجع السابق، ص234-235. كذلك هاني المبارك وآخر: المرجع السابق، ص106.

(*) ينظر ترجمته ص112 من هذه الرسالة.

(**) الملك الأشرف: مظفر الدين أبو الفتح موسى شاه أرمن بن العادل، بعد توليه المُلك اتخذ من دمشق مكاناً لإقامته، وكان رجلاً عادلاً محباً للعلم، تقياً، ورعاً شجاعاً، أحبته الرعية، توفى سنة (635هـ/1237م) ودفن بقلعتها ثم نُقل إلى التربة التي أنشأها له بالكلاساني في الجانب الشمالي من مسجد دمشق = ابن خلكان: المصدر السابق، 330/5-333. كذلك أبو الفداء المصدر السابق، 61/6، الذهبي: **نزهة الفضلاء**، 1541/3-1542، ابن كثير: المصدر السابق، 231/17.

(***) ينظر ترجمته، ص 114 من هذه الرسالة.

(****) ينظر ترجمته، ص114-115 من هذه الرسالة.

(*****) هو يونس بن مودود بن محمد بن أيوب، كان جواداً كلقبه، ومات سنة (641هـ/1243م) بقاسيون = ابن كثير: المصدر السابق، 270/17-271. كذلك محمد بن شاكر الكتبي: **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت، 1973) 396/4-397.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص733-734؛ كذلك عبدالمنعم الصفو: **تعلم الطب**، أبحاث المؤتمر الثالث الجمعية السورية لتاريخ العلوم، ص273.

الهجري/الرابع عشر الميلادي[1].

**3- التدريس في منازل الأطباء:**

من أفضل الحلقات العلمية تلك التي كانت تُعقد في منازل الأطباء التي يحرص على حضورها التلاميذ المميزون والنُجباء المُلازمون لمُعلِميهم[2]، ومن أولئك الذين قاموا بتدريس الطب في منازلهم الطبيب مُهذب الدين علي بن هُبل البغدادي[*]، الذي لزِم منزله آخر حياته، فقد كان علاَّمة زمانه في الطب، وكان طلبة الطب يترددون على منزله لتعلم الطب[3] وأيضاً الطبيب أبو البيان بن المدور، بعد توقفه عن عمله نتيجة لكبره وضعفه، وأطلق له صلاح الدين راتباً شهرياً بقيمة أربعة وعشرين دينار تصل إليه وهو في منزله، وبقي على تلك الحال عدة سنوات، وكان طوال تلك المدة لا يخلو منزله من طلبة الطب الذين يقوم بتدريسهم[4].

**4- مجالس وأماكن أخرى لتدريس الطب:**

هناك عدة أماكن لتدريس الطب إلا أن المصادر التاريخية عندما تذكر من يقوم بتدريسه لا تذكر تلك الأماكن، ومثالاً على ذلك يوحنا بن ماسويه الذي كان له مجلساً يُدرس فيه الطلبة العلوم القديمة ومن ضمنها الطب[5]، كذلك الطبيب أمين الدولة بن التلميذ، الذي وصل عدد الطلبة في مجلسه ما يقارب من الخمسين طالباً يدرسون عليه الطب[6]، وأيضاً أبو الفرج الطيب، الذي كان له مكان يجلس فيه مع الطلبة ليدرسهم الطب[7]، والطبيب ابن جُميع، الذي كان له مجلس عام للطلبة لتدريسهم الطب[1]، وكان

---

(1) مزيران عسيري: المرجع السابق، ص59.

(2) المرجع نفسه، ص52.

(*) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن هُبل البغدادي، كان علاَّمة زمانه في الطب، حافظاً للقرآن الكريم، ولد ببغداد سنة 515هـ/1121م، ونشأ بها، ومن أهم مؤلفاته: المختارات في الطب، وهو كتاب يشمل الجانب العلمي والعملي في الطب = ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص407-409.

(3) المصدر نفسه، ص407-408.

(4) المصدر نفسه، ص579-580.

(5) القفطي: المصدر السابق، ص248-249.

(6) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص350.

(7) المصدر نفسه، ص324.

لبعض الأطباء مجلس عام لتدريس الطب في منازلهم[2].

**أجور تعليم الطب:**

لم تشر المصادر التاريخية إلى أن تعليم الطب كان بأجرٍ يُدفع للطبيب المُعلم، حيث أنه من المُحتمل أن يكون تعليمه من أعمال البر والإحسان، كما أن تعليم أولاد الأطباء بالمجان يطبق لقسم أبقراط[3]، إلا أن ابن أصيبعة عندما يتحدث عن الطبيب علي بن رضوان[*]، كان يتكسب مرة من الطب ومرة من التعليم وغيره[4]، وقد يكون ما ذكره ابن رضوان خاص بمدارس مصر أو بعضها، خاصة أن مصر مرت بظروف معيشية صعبة في زمن هذا الطبيب، وهذا لا يعني أن المُعلمين يُعدمون من مردودات أتعابهم بشكلٍ من الأشكال[5].

---

(1) المصدر نفسه، ص576.

(2) المصدر نفسه، ص580.

(3) كمال السامرائي: **تعليم الطب**، أبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، ص321.

(*) هو أبي الحسن علي بن رضوان بن جعفر، ولد ونشأ بمصر وبها تعلم الطب، ولزم الاشتغال في هذا العلم إلى أن تميز فيه، وله العديد من المؤلفات، منها كتاب الأصول في الطب، والنافع في كيفية تعليم صناعة الطب وغيرها من المؤلفات وتوفى بمصر سنة (453هـ/1061م) = ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص561، 566.

(4) المصدر نفسه، ص561.

(5) كمال السامرائي: **تعليم الطب**، أبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي، ص321.

## المبحث الرابع

## تقاليد وآداب مهنة الطب

ترتبط مهنة الطب بجانبين رئيسيين هما جانب الأهلية العلمية التخصصية في الطب، وجانب الممارسة العملية، وذلك لأن الطب من العلوم التي تأتي بنتائجها وثمارها، نتيجة التطبيق العملي لنظرياتها وأخلاقياتها[1].

فقد أجمعت التقاليد العربية الإسلامية على احترام مهنة الطب، ورفع مكانة ممارسيها، حتى غير المُسلمين منهم، أسمى المراتب، فالرسول (**r**) دعا إلى التطبب عند الحارث بن كلدة، وخلفاء بني أمية استعانوا بأطباء نصارى لعلاجهم[2]، حيث أن العرب قد تفوقوا في وضع تقاليد تضمن أداءهم لواجباتهم على أتم وجه وتضمن للمجتمع محاسبتهم إن أخطأوا عن جهل أو عمد[3].

وقد مارس العرب المُسلمون الطب في إطار من التقاليد والنظم، فكانت هناك أسس يقوم عليها، كالتقاليد العربية الموروثة وما تتضمنه من أخلاقيات كالمروءة والشهامة، بالإضافة إلى التقاليد المأخوذة عن الأمم المجاورة، كاليونان، والفرس وغيرهم، ممن نقلوا عنهم معارفهم الطبية، وأيضاً ظهور الدين الإسلامي، وضبطه لشؤون الدولة والعلاقات بين الأفراد[4]، وكان من تقاليد الطب توارثه أباً عن جد، حيث امتازت بعض الأسر بذلك، وأشهرها أسرة بختيشوع، التي مارست الطب، أثناء فترة الخلافة العباسية[5]، وآل قرة الحراني[6] وغيرها من الأسر الطبية والتي كانت لها

---

(1) عبدالسلام بشير الدويبي: **أخلاقيات مهنة الطب الأبعاد المثالية والمضامين**، مجلة الإخاء، الهلال الأحمر الليبي (طرابلس، 1991) ص3.

(2) محمد حسين: المرجع السابق، ص238.

(3) مرسي عرب: المرجع السابق، مجلة المؤرخ العربي، ص101.

(4) محمد حسين: المرجع السابق، ص236-237. كذلك إسماعيل سرور: **تقاليد وآداب المهنة الطبية** بين قسم أبقراط وقسم ابن رضوان، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد التاسع عشر، المجلد الثاني، دار النشر العربية (بيروت، 1990) ص35-36.

(5) محمد حسين: المرجع السابق، ص237. كذلك إسماعيل سرور: **تقاليد وآداب المهنة**، مجلة تاريخ العرب والعالم، ص37.

(6) النديم: المصدر السابق، ص331-332. كذلك ابن صاعد: المصدر السابق، ص37. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص295-307.

مكانتها وشهرتها في الطب لفترة طويلة من الزمن.

اكتسب الطب أهمية خاصة في تاريخ تطور العلوم، والمهن الإنسانية، ليس لكونه مهنة للارتزاق فقط، بل لما فيه من صالح الإنسان، وتخفيف ألمه، وتقليل احتمالات إصابته بالمرض وتقديم العلاج المناسب له، ووضع مصلحته فوق كل اعتبار، لأنها مهنة شريفة، تاجها الأخلاق الفاضلة، ونتاجها رفاهية الإنسان وسعادته[1].

والمسئولية الطبية لم تكن معروفة في الشريعة الإسلامية فحسب، بل لما فيها من القواعد الدقيقة ما يجعل تنظيمها في جوهره أقرب ما يكون إلى أحدث ما وصلت إليه أرقى الشرائع المدنية في العصر الحديث[2].

وقد وضع علماء الإسلام الأسس المتينة لمراقبة الأطباء والصيادلة ومن في حكمهم ووضعوا الأنظمة الدقيقة التي تنظم عملهم[3].

**أولاً: صفات الطبيب:**

هناك بعض الصفات الأخلاقية التي تمس عمل الطبيب أكثر من غيره، ويجب عليه دائماً أن يتذكر حكم الإسلام فيها[4]، ومن تلك الصفات:

1- غض البصر: قال الله تعالى: **[قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ...]** [5]. فلا يجوز أن يكون الترخيص بالإطلاع على عورات الناس عند الضرورة مبرراً للتخلي عن الحياء الواجب على المُسلم، وعلى الطبيب ألا يطلع إلا على ما هو ضروري[6].

2- لا يجوز للطبيب إخبار المريض بخطورة مرضه، ولو كان ميئوساً منه، بل عليه أن

---

(1) عبدالسلام الدويبي: المرجع السابق، مجلة الإخاء، ص3-4.

(2) محمود الحاج قاسم محمد: **السلوك الطبي** للأطباء العرب المُسلمين، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد الثالث والسبعين، المجلد السادس، دار النشر العربية (بيروت، 1984) ص26.

(3) حبيب مصطفى عزالدين: **صفحات من الحضارة الإسلامية الحِسْبَة على الأطباء والصيادلة**، مجلة الثقافة العربية، العدد مائتان وأربعة وثمانون، ص61.

(4) محمود محمد: **السلوك الطبي**، مجلة تاريخ العرب والعالم، ص30.

(5) سورة النور، من الآية 29.

(6) محمود محمد: **السلوك الطبي**، مجلة تاريخ العرب والعالم، ص30.

يطيب نفس المريض ويرفع من معنوياته[1].

3- وعلى الطبيب أن يحفظ المريض بمرض معدٍ، لمنع الضرر عن المُسلمين[2] مقتــدياً بالرسول (r) حيث قال: "لا يُورِدنُ مُمْرِضُ عَلَى مُصح"[3].

4- يجب على الطبيب أن يتخلق بخُلق الإسلام، بحكم إنه معرض للإطلاع على أسرار المريض، فيجب عليه ستر المؤمن، وحفظ سره، وإذا استشاره المريض يجب عليــه أن يلتزم بالأمانة في إبداء المشورة، ويحافظ على ما أُستشير فيه[4] امتثالاً لحــديث الرسول (r): "المُسْتَشَارُ مُؤتَمَن"[5].

5- فحص الطبيب لمريضة يجب أن تحضره ممرضة، أو أحد محارمها[6].

6- ألا يُقدم الطبيب على ممارسة الطب إلا عندما يكون مطمئن لمقدرته عليها[7]. وفــي هذا الجانب ما ذكره الطبيب العربي الكندي[*] فقد قال: "وليتــق الله المتطبــب ولا يخاطر، فليس على الأنفس عوض"، وقال أيضاً: "وكما يجب أن يقال له أنــه كــان سبب عافية العليل وبرئه، كذلك فليحذر أن يقال أنه سبب تلفه وموته"[8].

7- أن يتوجه بعمله لله تعالى حتى يثاب عليه، ويتجنب ما حرم الله في العلاج[9].

وكان من آداب الأطباء المُسلمين التزامهم بأمر مهم، بعد تعلمهم الطب وقبل

---

(1) محمود محمد: **السلوك الطبي**، مجلة تاريخ العرب والعالم، ص30.

(2) المرجع نفسه، ص30.

(3) مُسلم: المصدر السابق، **كتاب الطب** باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا نوء ولا غول ولا يورد ممرض على مُصح، رقم الحديث 2221، ص950.

(4) محمود محمد: **السلوك الطبي**، مجلة تاريخ العرب والعالم، ص30.

(5) الترمذي: **كتاب الأدب**، باب إن المستشار مؤتمن، رقم الحديث 2822، 125/5.

(6) محمود محمد: **السلوك الطبي**، مجلة تاريخ العرب والعالم، ص30.

(7) المرجع نفسه، ص30.

(*) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكِندي، فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها، له العديد من المؤلفات في مختلف العلوم، وكانت له منزلة عظيمة عند الخلفاء العباسيين كالمأمون والمعتصم وابنه أحمد = ينظر كل من:

( أ ) النديم: المصدر السابق، ص315-330.

(ب) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص285-293.

(8) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص288.

(9) محمود محمد: **السلوك الطبي**، مجلة تاريخ العرب والعالم، ص30.

ممارستهم له، وهي القسم بالله وتأدية عهد أبقراط[*] الشهير[1].

وقد أُعجب العلماء المُسلمون بهذا العهد، وكان على كل من يرغب في ممارسة الطب، أن يستوعب ما شرطه أبقراط على نفسه وعلى من يريد أن يمارسه[2].

وانطلاقاً من حرص الأطباء على مراعاة القواعد الأخلاقية في ممارستهم للطب، وعلاقاتهم بزملائهم، وعلاقاتهم بالمرضى، والبُعد عما يسيء إلى هذه المهنة، ويتنافى مع سمو أخلاقهم وأهدافهم الإنسانية، تجلت في وضع هذا اليمين الذي يقسمه الأطباء قبل قيامهم بهذا العمل، والذي عقد الأطباء عليه الاتفاق[3].

وإذا كان أبقراط هو الذي وضع العهد للطبيب بأن يلتزم الطهارة والفضيلة، فقد التزم العرب المُسلمون بهذا العهد، بل أضافوا إليه تقنيناً أوفى[4].

فقد ذكر ابن أبي أصيبعة في كتابه "عيون الأنباء" ما قاله الطبيب المصري علي بن رضوان – أن الطبيب على رأي أبقراط هو الذي اجتمعت فيه سبع خصال[5] هي:

1- أن يكون تام الخلق، صحيح الأعضاء، حسن الذكاء، جيد الرؤية، عاقلاً ذكراً خير الطبع.
2- أن يكون حسن الملبس، طيب الرائحة، نظيف البدن والثوب.
3- أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من أمراضهم.
4- أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر مما يلتمسه من الأجرة ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء.
5- أن يكون حريصاً على التعلم والمبالغة في نفع الناس.
6- أن يكون سليم القلب، عفيف النظر، صادق اللهجة، لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل الأعلاء فضلاً على أن لا يتعرض لشيء منها.

---

(*) للاطلاع على عهد أبقراط ينظر ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص45.

(1) عبدالمهدي بواعنة: **إدارة المستشفيات والمؤسسات الصحية**، التشريع الصحي والمسئولية الطبية، دار الحامد (عمان، 2003) ص35. كذلك إسماعيل سرور: **تقاليد وآداب المهنة الطبية**، مجلة تاريخ العرب والعالم، ص39.

(2) سعيد عاشور وآخرون: المرجع السابق، ص120.

(3) عبدالمهدي بواعنة: المرجع السابق، ص22.

(4) مرسي عرب: المرجع السابق، مجلة المؤرخ العربي، ص101-102

(5) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص565.

7- أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال، لا يصف دواءً قتـالاً ولا يعلمــه، ولا دواء يسقط الأجنة، يُعالج عدوه بنية صادقة كما يعالج حبيبه[1].

وهذه الشروط أخذها ابن رضوان من قسم أبقراط، إلا أنه صاغها بأسلوب واضح وبطريقة مُرتبة، وأضاف عليها من عنده.

**ثانياً: امتحانات الأطباء والصيادلة:**

**أ- امتحان الأطباء:**

كان الأطباء في أول عصر الدولة الإسلامية يمارسون الطب بعد دراسته على أحد الأطباء النابغين والمشاهير فيه، أو دراسته من كُتب الأقدمين، أو يمارسونه أخذاً عن آبائهم، ثم يباشرون العمل[2] فلم تكن هناك قيود خاصة أو امتحانات لإعطاء تصريح لممارسته، وكان أول من نظمها وأخضعها إلى نظام خاص الخليفة العباسي المقتدر بالله، حيث أن خطأ وقع من أحد الأطباء على رجل مريض مات بسببه الرجل، فمنع الأطباء من ممارسة الطب إلا بعد امتحانهم من قِبل سنان بن ثابت، وكتب لهم رقعة بذلك بخطه، عمن يحق لهُ ممارسة الطب فامتحنهم، وصرح لكل واحد منهم أن يطبب حسب تخصصه[3].

فقد كانت الممارسة قبل ذلك متواضعة، فيها الكثير من التسامح والتساهل، إلا أن ذلك الحال لم يستمر، حيث أصبح على طالب الطب بعد أن يتم دراسته التقدم إلى رئيس الأطباء برسالة بخصوص التخصص الذي يريد الحصول على إجازة في الاشتغال به، أو لأحد مشاهير الأطباء، فيختبره الطبيب ويسأله أسئلة عن الموضوع، فإن استطاع الإجابة عليها، واجتاز ذلك الامتحان، أعطاه إجازة تسمح له بممارسة الطب، والتصرف في حدود تخصصه[4].

وقد وضعت بعض الكتب في موضوع امتحان الطبيب في ذلك الوقت، مثل كتاب "محنة الطبيب" ليوحنا بن ماسويه[5]، وكتاب "امتحان الأطباء" لحنين بن إسحاق[1]،

---

(1) ابن أبي أصيبيعة: المصدر السابق، ص565. كذلك سلمان قطاية: **الطبيب العربي علي بن رضوان رئيس أطباء مصر**، د.ن (تونس، 1984) ص57، 60.

(2) محمد حسين: المرجع السابق، ص240.

(3) ابن أبي أصيبيعة: المصدر السابق، ص302.

(4) قاسم غني: **في تاريخ الطب الإسلامي**، مجلة الرسالة، العدد سبعة آلاف وثمانمائة وواحد وثلاثون، المجلد السادس عشر، مطبعة الرسالة (القاهرة، 1948) ص761.

(5) النديم: المصدر السابق، ص426.

ثم وظف بعد ذلك كبير الأطباء أبو بكر الرازي، كتاب "رسالة في محنة الطبيب وكيف ينبغي أن يكون حاله في نفسه وسيرته وأدبه"(2).

**ب- امتحان الصيادلة:**

ذكرت بعض المصادر التاريخية بأن صيادلة العصور الوسطى، كانوا في بعض الأحيان يخضعون لامتحان، حيث تقوم الدولة بامتحانهم(3)، فقد حدث في زمن الخليفة المأمون الذي قرر إجراء امتحان للصيادلة إثر حديث له مع أحد الكيميائيين أن أشار على المأمون أن يمتحن الصيادلة فأخذ بذلك وامتحنهم(4).

وقد تكرر نفس الموقف في عصر الخليفة المعتصم بالله (218-227هـ/833-851م) حيث ذكر زكريا الطيفوري(*) بأنه عندما كان مع الأفشين(**) في معسكره، أثناء محاربتهم بابك الخرمي(***)، أمره الأفشين بإحصاء من في معسكره من التجار وحوانيتهم، فظهر أن منهم صيادلة. فأمر بأولوية ضبطهم وامتحانهم لمعرفة لمن له خبرة بالصيدلة ويخشى الله من غيره، وأذن لمن له معرفة بذلك فقط بالبقاء في معسكره، وكتب للمعتصم بأن يبعث له بصيادلة وأطباء يخشون الله ويتقونه في عملهم، فأستحسن المعتصم ذلك ووجه إليه بما طلب(5).

**ثالثاً: الحِسْبة على الأطباء والصيادلة ومن في حكمهم:**

---

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص273.

(2) القفطي: المصدر السابق، ص182. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص425.

(3) أحمد عبدالرازق: **الحضارة الإسلامية**، ص201.

(4) انظر القفطي: المصدر السابق، ص129. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص224-225.

(*) هو ولد إسرائيل متطبب الفتح بن خاقان، وكان في خدمة الأفشين = القفطي: المصدر السابق، ص128.

(**) الأفشين: اسمه حيدر بن كاوس، من أولاد الأكاسرة، نشأ ببغداد عند الخليفة المعتصم بالله وكان موصوفاً بالشجاعة وحسن الرأي والخبرة وحارب بابك وظفر به إلا أنه قد وجهت له العديد من التهم فغضب عليه، كما أتهم أيضاً بالكفر، فقام المعتصم بسجنه وصلبه ثم حرقه في شهر شعبان سنة (226هـ/840م) وقيل قطع عنه الطعام والشراب حتى مات = الذهبي: **تاريخ الإسلام**، تحقيق عمر بن عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت، 1991) 23/16-24. كذلك ابن كثير: المصدر السابق، 277/14، ابن خلدون: **العبر**، 334/3-337.

(***) بابك الخرمي: بضم الخاء وفتح الراء المشددة والميم يقال بأنه ولد غير شرعي وأمه عوراء تُعرف برمية العلجة، اعتنق مذهب الباطنية، وأخرب العديد من المُدن والحصون، وعندما تولى المعتصم بعث إليه الأفشين فقتله، وكان ذلك سنة (223هـ/837م) = ابن الجوزي: **المنتظم**، 51/11-52. كذلك الذهبي: **تاريخ الإسلام**، 11/16-12، الصفدي: المصدر السابق، 38/10-39.

(5) انظر القفطي: المصدر السابق، ص129. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص224-225.

الحِسْبة لغةً: مصدر احتسابك الأجر على الله، فقول فعلته حِسْبة وأحْتسب فيه إحتِْساباً، والإحتسابُ طلب الأجْر، والاسم الحِسْبة بالكسر، وهو الأجْرُ، والاحتساب من الحسب، والاعتداد من العد، وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله[1].

أما اصطلاحاً فهي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله[2] امتثالاً لقول الله تعالى: **[وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ]**[3].

ومن شروط المحتسب أن يكون مُسلماً، حراً بالغاً، عاقلاً قادراً[4]، وأن يكون قوله مُطابقاً لفعله، ويقصد به وجه الله تعالى، ومرضاته، خالصاً النية له، كما عليه أن يواظب على شرع الله وسنة رسوله (r) وعفيفاً من أموال الناس ولا يقبل الرشوة والهدايا[5] وأن يكون ذا رأي وصرامة، وحزمٍ في أمور الدين، عالماً بأحكام الشريعة، وعالماً بالمنكرات الظاهرة [6].

وللمحتسب سلطة تنفيذية مفوضة له، يمارس فيها عقوبات التعزيز[*]، كالردع والتوبيخ بالقول، أو بالسوط، أو بالدرة[**]، أو التشهير، بأن يلبس الشخص الملابس البالية الملونة والأجراس، ويُطاف به في الشوارع[7]. وقد كان هذا المنصب من أخطر

---

(1) ابن منظور: **لسان العرب**، 866/2.

(2) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي: كتاب **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، دار قتيبة، (الكويت، 1989) ص315. كذلك القلقشندي: المصدر السابق، 451/5.

(3) سورة آل عمران، الآية 64.

(4) ابن الأخوة: المصدر السابق، ص29.

(5) المصدر السابق، ص34، 37.

(6) الماوردي: المصدر السابق، ص316.

(*) التعزيز: عقاب المذنب أو المخالف لأمور الشرع، ويختلف التعزير بحسب الذنوب، وهو أنواع مثل: التوبيخ، الزجر، السجن، النفي، والضرب = حسان حلاق: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار النهضة العربية (بيروت، 1981) هامش رقم 67/1.

(**) الدرة: هي أداة من أدوات الضرب وتتكون من جلد البقر أو الجمل، وتُحشى بنواة التمر = ابن الإخوة: المصدر السابق، ص246. كذلك محمد زيود: **نظام الحِسْبة في الإسلام**، مجلة دراسات تاريخية، العدد التاسع والعشرين والثلاثون، السنة التاسعة، لجنة كتابة تاريخ العرب (دمشق، 1988) ص152.

(7) رحيم كاظم محمد الهاشمي وعواطف محمد العربي شنقارو: **الحضارة العربية الإسلامية**، دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية (د.م، 2003) ص67.

المناصب، وأوسعها نظراً، فكانت له مهام دينية وأدبية وعمرانية وقضائية[1].

وقد ظهر نظام الحِسْبة في الدولة الإسلامية منذ عصر الرسول (r) فكان يقوم بها بنفسه، فقد ورد عنه أنه قال: "مَنْ رَأى مْنكُمْ مُنكراً فليْغيره بيدِهِ، فَإنْ لَمْ يستطع فَبلسانِهِ، فَإنْ لَمْ يَسْتطَعْ فَبقَلبِهِ وذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمان"[2]. ومن أمثلة ذلك إنه "مَرَّ عَلَى صُبْرةِ طعامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُه بَلَلاً فَقَالَ: مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ أَفَلاَ جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاه النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيسْ منِّي"[3].

واستمر الخلفاء الراشدون يسيرون على نهج الرسول (r) فلما اتسعت الدولة الإسلامية، واستقر كثير من العرب في البلاد المفتوحة، واقتضى الأمر تنظيم الأعمال وتعيين موظفين في تلك الجهات يستمدون سلطتهم من الخليفة، توزعت أعمال الحِسْبة في عصر الخلفاء الراشدين والخلفاء الأمويين وأثناء عصر العباسيين، بين القاضي وصاحب الخراج وصاحب الشرطة، إلى أن أصبحت في موظف واحد يُطلق عليه المُحتسب[4].

ويُرجح الفقهاء هذه الوظيفة إلى بداية قيام الدولة الإسلامية، وأنها تستمد قانونها من الشريعة، كما جعلوا أساسها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[5].

ومن حيث أن الحِسْبة شملت مختلف نواحي الحياة فإن من أهم اختصاصات المحتسب فيما يتعلق بهذا الموضوع.

- **الحِسْبة على الأطباء**: كان رجال الحِسْبة يُنتخبون من بين الأشخاص الذين يوثق في دينهم وأخلاقهم، وكان عملهم في البداية مقتصراً على إسداء النصح بصورة عامـــة، وحثهم على عدم الغش والخداع، ولا يحق له أن يقاضي الناس إنما عليه أن ينذرهم بالعقوبة وأن يخبر القاضي بالمُخالفين لأوامر الدين، ولما ازداد أصـــحاب المهـــن

---

(1) أنيس الأبيض: **بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية**، جردس برس (طرابلس، 1994) ص65.

(2) مُسلم: المصدر السابق، **كتاب الإيمان**، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم الحديث 780، ص40-41.

(3) المصدر نفسه، **كتاب الإيمان**، باب قول النبي (r) من غشنا فليس منا، رقم الحديث 44، ص56.

(4) السيد الباز العريني: **الحِسْبة والمحتسبون في مصر**، المجلة التاريخية المصرية، العدد الثامن، المجلد الرابع (القاهرة، 1959) ص159.

(5) السيد العريني: المرجع السابق، المجلة التاريخية المصرية، ص157.

الطبية، وشاع الغش، أصبح من الضروري وضع حداً لذلك، وتحول نظام الحِسْبة من إسداء النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى نظام تفتيش ومحاسبة وامتحان[1].

فينبغي للمُحْتَسِب أن يُحلف الأطباء بالله، وكذلك قسم أبقراط وعلى أن لا يعطوا أحداً دواءً قاتلاً ولا مضراً، وأن يمتحنهم بكتاب يوحنا بن ماسويه المعروف بـ "محنة الطبيب"، وأيضاً كتاب جالينوس المعروف أيضاً بـ "محنة الطبيب"[2].

وقد كان على المُحْتَسِب محاسبة الأطباء كلاً في مجال تخصصه وهي كالتالي:

- **الحِسْبة على الفصاديين**: فينبغي أن لا يقوم بالفصد إلا من اشتهر بمعرفته تشريح الأعضاء، والمفاصل والعروق والشرايين[*] ومعرفة تركيبها وكيفيتها، حتى لا يؤدي بعدم معرفتها إلى هلاك المفصود[3]. وقد أكدت كتب الحِسْبة ومنها الشيرازي في كتابه "**نهاية الرتبة في طلب الحسبة**" بأنه على المحتسب أن يتأكد بأن الجراح يعرف التشريح وأعضاء جسم الإنسان[4]. ولأهمية تشريح الأعضاء وتلافي الخطر، فيجب على من يقوم بالفصد بأن يتعلمونه على أوراق السلق حتى تستقيم أيديهم[5]، وأن يأخذ عليهم العهد ألا يفصدوا إلا في الأمزجة التي اتفقوا عليها، وليحذر من يقوم بذلك إلا بعد مشاورة الأطباء[6]، أما بالنسبة للحجامة فهي ذات منفعة عظيمة، وأقل خطراً من الفصد، وينبغي على الحجام أن يكون خفيف اليد خبيراً بها[7].
- **الحِسْبة على الكحالين (أطباء العيون)**: فيجب أن يمتحنهم المحتسب بكتاب حُنين بن إسحاق (العشر مقالات في العين) فإن كان عارفاً بتشريح عدد طبقات العين السبعة

---

(1) محمد البابا: المرجع السابق، ص65. كذلك أحلام استيتة: المرجع السابق، ص69.

(2) محمد بن أحمد بن بسام: **نهاية الرُتبة في طلب الحِسْبة**، حققه وعلق عليه حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف (بغداد، 1968) ص108-109.

(*) الشريان: بفتح السين وكسرها وجمعها شرايين وهي العروق النابضة ومنبعها القلب = الرازي: **مختار الصحاح**، ص337.

(3) ينظر ابن بسام: المصدر السابق، ص110.

(4) عبدالله بن نصر بن عبدالله الشيرازي: **نهاية الرُتبة في طلب الحِسْبة**، مخطوط بدار الكتب الوطنية تحت رقم 125، ورقة 75.

(5) المصدر نفسه، ص75.

(6) ينظر ابن بسام: المصدر السابق، ص110-111. كذلك الشيرازي: المخطوط السابق، ورقة 75.

(7) ابن الإخوة: المصدر السابق، ص77.

وعدد رطوباتها الثلاث وعدد أمراضها الثلاث، وما يتفرع من هذه الأمراض، فإن كان خبيراً وعالماً بها، ومعه جميع الآلات الخاصة بجراحتها مثل صنانير السبل والظفر ودرع المكاحل، وغير ذلك سمح له بممارسة عمله[1].

- **الحِسْبَة على الجراحين**: فيمتحنهم المُحتسب بكتاب جالينوس المعروف بقطاجانس في الجراحات والمراهم، وأن يكونوا عالمين وخبراء به، مع معرفتهم بالتشريح وأعضاء جسم الإنسان، وما فيه من الشرايين والأعصاب، وإن كان طبائعياً (طبيب باطني) كان أفضل، وإن لم يكن طبائعياً، الأفضل أن يحضر معه طبائعياً، وكذلك المجبر أيضاً[2]،وقد أكد الزهراوي[*] على ضرورة أن يرتاض الطبيب علم التشريح حتى يقف على منافع الأعضاء وحياتها ومزاجاتها واتصالها وانفصالها ومعرفة العظام والأعصاب والعضلات وعددها ومخارجها[3]. ويجب أن يكون معهم دست المباضع الذي يحتوي على العديد من الأدوات ومرهمدان[*] المراهم، ودواء الكندر القاطع للدم[4].

**ب- الحِسْبَة على الصيادلة:**

تعتبر الحِسْبَة في الدولة الإسلامية، مهنة تؤثر بشكل مباشر في صحة الناس، كذلك نجد المختصين بهذا الأمر اهتموا بها اهتماماً كبيراً، نظراً لخطورة إدخال الغش

---

(1) ابن بسام: المصدر السابق، ص119. كذلك ابن الأخوة: المصدر السابق، ص227-228. نقولا زيادة: **المحتسب في الإسلام**، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، 1962)، ص101. حسان حلاق: المرجع السابق، ص81.

(2) الشيرازي: **نهاية الرُتبة**، ورقة 82-83. كذلك ابن بسام: المصدر السابق، ص122.

(*) هو خلف بن عباس الزهراوي، ولد في مدينة الزهراء بالقرب من قرطبة، وإليها نسبته، من أهل الفضل والدين والعلم، خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة، جيد العلاج، وله العديد من المصنفات في الطب، توفى سنة (427هـ/1035م) للمزيد ينظر: أحمد بن يحيى الضبي: **بُغية الملتمس في تاريخ أهل الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري (القاهرة، 1989) 357/1؛ كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص501؛ الصفدي: المصدر السابق، 231/13؛ إسماعيل باشا البغدادي: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي (بيروت، د.ت) 348/1؛ الزركلي: **الأعلام**، 310/2-311.

(3) الزهراوي: **التصريف**، المقالة الثلاثون، م7، ورقة 3.

(*) شريط من القماش يوضع عليه المرهم = ابن بسام: المصدر السابق، هامش رقم (14) ص123.

(4) ابن الإخوة: المصدر السابق، ص228. كذلك ابن بسام المصدر السابق، ص122-123.

في الدواء، لذلك قام المحتسب بدورٍ كبير في هذا الجانب[1].

ويذكر الشيرازي وابن بسام بأن العقاقير نحو ثلاثة آلاف عقار، ويتشابه بعضً منها بالآخر، بحيث تقاربها في الشكل وتختلف عنها في الفائدة، فمنها ما يصلح لمرضٍ ولا يصلح لآخر، فعلى الصيدلي أن يُقسم بالله على عدم غشه، وإن كان قد فعل وأمكنه التنبه إلى استخراج غشه فليفعل، راجياً ثواب الله تعالى[2].

فينبغي للمحتسب تخويفهم وإنذارهم بالعقوبة، وأن يحذرهم بالتعزير، ويعتبر عليهم أشربتهم وعقاقيرهم على حين غفلة[3]. فالأشربة والمعاجين والأدوية المركبة، فإن الذي يعرفها من حضر عملها وشاهد خلطها وعجنها فيجب قبل أن يبدأ في تركيبها وخلطها أن يكون بحضور محتسب له دراية بها حتى يزول الظن وترتفع الشبهة، فإن لم يحضرها المحتسب حمل منها عينة للمحتسب ليتأكد من عدم غشها، فيجب على من يقوم بعملها أن يتقي الله وألا يغش[4].

---

(1) حسان حلاق: المرجع السابق، ص77-78.

(2) الشيرازي: **نهاية الرُتبة**، ورقة 56. كذلك ابن بسام: المرجع السابق، ص85.

(3) ابن الإخوة: المصدر السابق، ص160.

(4) ابن بسام: المصدر السابق، ص93.

# الفصل الثالث

# المشافي في المشرق العربي الإسلامي

المبحث الأول: مشافي العــراق.

المبحث الثاني: المشافي مصــر.

المبحث الثالث: مشافي بلاد الشـــام.

منذ عهد مبكر كان لأهل العراق اهتماماً كبيراً بالطب وتفوقهم فيه جعل منهم أساتذة العالم لعدة قرون، بل كان لبحوثهم في الطب وطرقهم في تشخيص الأمراض وطرق العلاج، وصناعة العقاقير، والمركبات الطبية باختلافها والتشريح، والجراحة، وبناء المشافي، تأثير كبيراً لتطور الطب والجراحة[1] فقد بلغت الدولة العباسية كغيرها من الدول الإسلامية قمة الازدهار السياسي والفكري في عصرها الأول، وكان أبهى عصور بغداد في أثناء خلافة هارون الرشيد[2]، وكان عصر الرشيد يمثل العصر الذهبي للعرب، وأصبحت فيه بغداد عاصمة العلم في الثقافة والسياسة والاقتصاد، ونشطت العلوم بمختلف الوسائل وتبعه في ذلك وزراؤه بل زادوها بسطة في الأبحاث وتوسعاً في أساليب العلاج[3].

ورغم أن الطب العربي أواخر القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي كان معتمداً على المؤلفات اليونانية والهندية والفارسية بصفة عامة، إلا أنه طرأ عليه تطورات وأبحاث واكتشافات جديدة، جعلته يرقى إلى أعلى الدرجات، وأن يحتل مكانة رفيعة بين العلوم الأخرى[4]، وبدأت مرحلة النضج منذ أوائل القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي وهي الفترة التي برز فيها أطباء كبار مثل الرازي والمجوسي وابن سينا والذين اعتبروا من رواد الحضارة الإنسانية عامة إضافة إلى كونهم نوابغ الطب العربي[5]، وكان للنشاط الواسع في الحركة العلمية، خلال ذلك القرن في مجال الطب سبباً في ازدهار الطب الإسلامي على مر عصوره، وذلك بإضافتهم وتصحيح أخطاء سابقيهم، وإضافات وابتكارات جديدة[6].

بلغت المشافي الإسلامية درجة عالية من التقدم والتطور خلال عصر الدولة العباسية، ومع توسع الدولة الإسلامية، والتطور الاقتصادي والاجتماعي، كان لابد من التوسع في عمل وفتح المشافي[7] وإتباع فيها نظام أكثر تطوراً، من ناحية إدارتها، وكل

---

(1) كرم أحمد: المرجع السابق، ص585-586.
(2) رحاب عكاوي: الموجز، ص163، 165.
(3) المرجع نفسه، ص169.
(4) كرم أحمد: المرجع السابق، ص586.
(5) رحاب عكاوي: الموجز، ص195.
(6) أكرم أحمد: المرجع السابق، ص586.
(7) تحسين جهاد: المرجع السابق، ص163.

احتياجاتها من أطباء ورؤساء للمشافي وصيادلة وعمال وغيرها[1] وجعلوا منها أماكن لعلاج المرضى ولدراسة الطب[2]. وقد ازداد عددها في الدولة العباسية زيادة كبيرة وامتلأت بها المدن الإسلامية، مثل بغداد، ودمشق، والقاهرة، ومعظم أنحاء الدولة الإسلامية[3].

في هذا الفصل سوف أتناول بإذن الله أشهر المشافي في كل من العراق ومصر والشام، والتي أُنشئت خلال عصر الدولة العباسية، إضافة إلى المشافي التي وردت عرضاً في هذه البلدان أثناء وصف الرحالة للمدن، وأيضاً أثناء التراجم لبعض الشخصيات في المصادر التاريخية، سوف أذكرها حسب التسلسل الزمني والتاريخي، وذلك لعدم طمس مجهودات من قام بإنشائها.

---

(1) المرجع نفسه، ص163.

(2) جوزيف جارلند: **قصة الطب**، ترجمة سعيد عبدو، دار المعارف (د.ت، د.م) ص68.

(3) مُحمد البابا: المرجع السابق، ص55. كذلك حسان حرساني: المرجع السابق، ص24.

# المبحث الأول

# مشافي العراق

لم تظهر المشافي بكل ما تعنيه من معنى في العراق إلا بعد قيام الدولة العباسية[(1)]، كنتيجة طبيعية تدل على مدى اهتمام الدولة ببناء المشافي وإقامة المدارس الطبية بها[(2)]، فلقد كانت بالعراق العديد من أنواع المشافي، منها العامة والفرعية، وثالثة جمعت بين العلاجية والتعليمية، وقد اهتم الخلفاء العباسيين بتشييد وبناء المشافي في مدينة بغداد والأمصار الإسلامية الأخرى. فوجد العديد منها في العراق خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[(3)] ولم يُعد تشييدها مقتصراً على الخلفاء والحكام، بل شملت أيضاً رجال الدولة[(4)]. وما أن جاء القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي حتى ظهرت المشافي بالمعنى الحقيقي[(5)].

وإذا كانت المشافي قد انتشرت بكثرة في بلاد العراق فإن لمدينة بغداد كان النصيب الأكبر منها. تلك المشافي التي اشتهرت منذ عصر هارون الرشيد، وعُرفت بكفاءة أطبائها ومرافقها وخدماتها[(6)] وفيما يلي استعراض لنماذج منها.

ففي العصر العباسي الأول (132-232هـ/750-847م) فكان أشهرها:

- **بيمارستان الرشيد** وهو الذي أمر الخليفة هارون الرشيد بتشييده، فقد عَهِدَ إلى الطبيب جبريل بن بختيشوع أن يقوم بإنشائه، ففعل ذلك، وكلف الرشيد الطبيب دهشتك[(*)] من بيمارستان جنديسابور ليتولى شؤونه، إلا أنه اعتذر عن ذلك وأشار إلى الطبيب ماسويه، فقام ماسويه على ما كُلف به أفضل قيام ومن بعده تولى تلك المهمة ابنه يوحنا[(7)] فيما قام جبريل بن بختيشوع الإشراف عليه ورعايته[(8)].

---

(1) عبدالحميد العلوجي: المرجع السابق، ص135.

(2) كرم أحمد: المرجع السابق، ص586.

(3) المرجع نفسه، ص603.

(4) أحمد عبدالرازق: **الحضارة الإسلامية**، ص166.

(5) عبدالحميد العلوجي: المرجع السابق، ص135.

(6) عفاف الخضر: المرجع السابق، مجلة تاريخ العرب والعالم، ص43.

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي أطلعت عليها.

(7) القفطي: المصدر السابق، ص250-251؛ عبد الحميد العلوجي: المرجع السابق، ص136-137. مُحمـد البابا: المرجع السابق، ص58-59. أحمد عبدالرازق: **الحضارة الإسلامية**، ص164-165.

(8) القفطي: المصدر السابق، ص251. كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص178، مُحمـد البابـا: المرجع السابق، ص58.

- **بيمارستان البرامكة**: حيث ذكر النديم أثناء حديثه عن الطبيب ابن دهن(*) بأنه تولى رئاسة بيمارستان البرامكة[1] الأمر الذي يوضح أن البرامكة قد أنشأوا بيمارستان وكلفوا هذا الطبيب لرئاسته، إلا أنه لم يذكر التاريخ الذي أُنشئ فيه ولا المكان أو أي معلومات أخرى تخصه. وبذلك فإن المعلومات عنه جاءت شحيحة.
- أما العصر العباسي الثاني (232-334هـ/845-947م) وهو عصر النفوذ التركي، فكان أشهر المشافي فيه هو **بيمارستان بدر**(**) غلام المعتضد بالله نقل ابن أبي أصيبعة عن ثابت بن سنان بن قرة بأنه كان لبدر غلام المعتضد بيمارستان بالمخرم(***)، يتم الإنفاق عليه من وقف أم المتوكل على الله (232-247هـ/846-861م) فقد كان لها وقف يُصرف نصفه على نفقة البيمارستان لتوفير الفحم، والمؤن، والكسوة، والغذاء، والأدوية للمرضى وغيرها من الخدمات[2].
- **البيمارستان الصاعدي**: فقد ذكر الصابئ في كتابه "تحفة الأمراء" بأن هذا البيمارستان كان في عصر الخليفة المعتضد بالله، وكانت أرزاق الأطباء فيه وأطباء العيون ومن يخدم المرضى العقليين والبوابين والخبازين وغيرهم إضافة إلى ثمن الطعام والأدوية والأشربة في الشهر خمسة عشر دينار[3]، وإذا كان قد ذكر عدم وجود بيمارستان غيره، فإن ابن أبي أصيبعة قد أكد على وجود بيمارستان آخر في ذلك العصر وهو الذي ذُكر سابقاً (بيمارستان بدر).
- **بيمارستان علي بن عيسى الجراح**: وهو الذي اتخذه الوزير علي بن عيسى سنة (302هـ/914م) بالحربية(****)، وانفق عليه من ماله الخاص، وتولى رئاسته طبيبه

---

(*) لم أجد له ترجمة في المصادر التي أطلعت عليها.

(1) النديم: المصدر السابق، ص305. كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص178.

(**) هو مولى المعتضد ومُقدم جيوشه، كان عادلاً حسن السيرة، وطلبه المكتفى بالله (289-295هـ/901-907م) فتخوف منه وأرسل إليه أماناً وغدر به، وقُتل سنة (289هـ/901م) = الصفدي: المصدر السابق، 58/10.

(***) المُخَرَّم: وهي محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلىّ وفيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهيين، خلف الجامع المعروف بجامع السلطان وهي منسوبة إلى مخرم بن يزيد بن شريح بن مخرم الحموي = **معجم البلدان**، 71/5.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص301-302. كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستان**، ص180-181.

(3) أبو الحسن الهلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ: **كتاب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت، 1904) ص21.

(****) الحَرْبيَّةُ: محلة كبيرة مشهورة ببغداد، عند باب حرب، تُنسب إلى حرب بن عبدالله البلخي، أحد قواد أبو جعفر المنصور، وكان يتولى شرطة بغداد والموصل = الحموي: **معجم البلدان**، 237/2.

أبو عثمان الدمشقي(*)(1).

- **بيمارستان السيدة**: وهذا البيمارستان اتخذه الطبيب سنان بن ثابت للسيدة شُغب(**) أم الخليفة المقتدر بالله، بسوق يحيى(***)، بالقرب من نهر دجلة، وافتتحه في أول مُحرم سنة (306هــ/918م)، كما عمل فيه هذا الطبيب، ورتب فيه الأطباء وقبل المرضى، وبلغ الإنفاق على هذا البيمارستان في الشهر ستمائة دينار(2).

وكانت السيدة شُغب تتصدق بأغلب دخل أملاكها على الحُجَّاج في توفير أشربة وأزواد وأطباء يكونون معهم، وأيضاً في تسهيل الطرق والموارد(3).

- **البيمارستان المقتدري**: وفي هذه السنة أيضاً (يعني سنة 306هــ/918م) أشار الطبيب سنان بن ثابت على الخليفة المقتدر بالله، بأن يُنشئ بيمارستان يُنسب إليه(4) فأمر باتخاذه له(5) في المكان الذي عُرف بباب الشام(****) وسماه البيمارستان المقتدري، وكان يُنفق عليه من ماله الخاص في كل شهر مائتي دينار(6). ومن أشهر الأطباء الذين عملوه به:

**أ – يوسف الواسطي**(*****): وكان هذا الطبيب مُلازِماً للبيمارستان المقتدري ودرس

---

(*) هو أبو عثمان بن يعقوب بن سعيد الدمشقي، كان من أطباء بغداد وقام بترجمة العديد من الكُتب إلى اللغة العربية وغيرها = القفطي: المصدر السابق، ص267. كذلك ابن أبي أصيبيعة: المصدر السابق، ص316.

(1) ابن أبي أصيبيعة: المصدر السابق، ص316.

(**) هي أم جعفر الخليفة المقتدر بالله، كانت من جواري المعتضد بالله، وأعتقها وتزوجها، وكانت امرأة صالحة تحب عمل الخير، وعندما آلت الخلافة إلى ابنها المقتدر، وعمره ثلاثة عشر سنة، قامت بتوجيهه، واستولت على أمور الخلافة وظلت في توجيه شؤون الدولة إلى أن قُتل ابنها سنة (320هــ/932م). وعندما تولى القاهر بالله الخلافة (320-322هــ/932-933م) عذبها وهي مريضة إلى أن توفت وكان ذلك في جمادي الأولى سنة (321هــ/933م) = ابن تغري بردي: المصدر السابق، 272/3. كذلك الزركلي: **الأعلام**، 168/3.

(***) يقع في مدينة بغداد بالجانب الشرقي بين الرصافة ودار الخلافة، على شاطئ نهر دجلة، وهو منسوب إلى يحيى بن خالد البرمكي، اقتطعها له الرشيد، ثم صارت بعد البرامكة لأم المقتدر، ثم اقطعها المأمون طاهر بن الحسين بعد الفتنة، ثم خربت بعد مجئ السلاجقة = ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 284/3.

(2) ابن الجوزي: **المنتظم**، 178/13. كذلك القفطي: المصدر السابق، ص133، ابن أبي أصيبيعة: المصدر السابق، ص302.

(3) ابن كثير: المصدر السابق، 74/15.

(4) ابن الجوزي: **المنتظم**، 178/13. كذلك القفطي: المصدر السابق، ص133. ابن أبي أصيبيعة: المصدر السابق، ص302.

(5) شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب النويري: **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تحقيق عبالمجيد ترحيني، دار الكُتب العلمية (بيروت، 2004) 28/23.

(****) وهي محلة بالجانب الغربي من مدينة بغداد = ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 308/1.

(6) ابن الجوزي: **المنتظم**، 178/13. كذلك النويري: **نهاية الإرب**، 28/23، عبدالحميد العلوجي: المرجع السابق، ص137، عمر فروخ وآخرون، المرجع السابق، ص511.

(*****) لم أجد له أي ترجمة في المصادر التي أطلعت عليها.

عليه الطب جبريل بن بختيشوع[1].

**ب- جبريل بن عُبيد الله بن بختيشوع:** وكان هذا الطبيب على معرفة جيدة بالطب ولازم البيمارستان وله العديد من المؤلفات[2].

- **بيمارستان ابن الفرات**[*]: وهو الذي اتخذه ابن الفرات بدرب المفصل وتولاه ثابت بن سنان بأمر من الوزير خاقان[**] وذلك سنة (313هـ/925م)[3].
- **بيمارستان الأمير بجكم**[***]: ذكر ثابت بن سنان إنه عندما توفى الخليفة الراضي بالله (322-329هـ/933-940م) استدعى بجكم سنان والد ثابت ليعالجه، وليس في بدنه فقط، وإنما في أخلاقه أيضاً، وأعطاه جملة من النصائح فقام بتطبيقها[4]. وقد طلب من سنان أن يأتي إلى واسط وأمره بإنشاء دار للضيافة ففعل ذلك، وكذلك إنشاء بيمارستان في بغداد لعلاج الفقراء، وانفق عليه المال[5]. وأكرم سنان غاية الإكرام[6] إلا أن ها البيمارستان لم يتم، فقام بتجديده عضد[****] الدولة بن بويه،

---

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص210.

(2) للمزيد ينظر ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص209-214.

(*) هو أبو الحسن علي بن مُحمد بن موسى بن الفرات، من أجود الناس وأكرمهم، تولى الوزارة للمقتدر ثلاث مرات وفي المرة الثالثة قُبض عليه وقتل وذلك سنة (313هـ/925م) = ابن الطقطقي: المصدر السابق، ص193-194، كذلك الصابئ: المصدر السابق، ص84 وما بعدها.

(**) هو أبو علي مُحمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، كان وزيراً للخليفة المقتدر بالله، وكان سيئ السيرة، كثير التولية والعزل = الطقطقي: المصدر السابق، 194-195.

(3) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص304-305. كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص184، أحمد عبدالرازق: **الحضارة الإسلامية**، ص166.

(***) هو الأمير التركي بجكم أبو الخير، كان أمير الأمراء، وكان رجلاً عاقلاً يفهم اللغة العربية ولا يتكلم بها فكان ويترجم له الترجمان، استوطن مدينة واسط، وأظهر بها العدل وتولى رفع المظالم بنفسه وتوفى سنة (329هـ/940م) = الصفدي: المصدر السابق، 98/10. كذلك ابن كثير: المصدر السابق، 135/15-136، ابن تغري بردي: المصدر السابق، 314/3.

(4) القفطي: المصدر السابق، ص131. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص302-304، ابن كثير: المصدر السابق، 131/11.

(5) المصدر نفسه، ص132. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص304.

(6) المصدر نفسه، ص132.

(****) هو أبو علي الحسن بن أبو شجاع بن بويه بن مناخسروا الديلمي، المُلقب عضد الدولة، كان محباً للعلم، أول من خوطب بالملك في الإسلام، وأول من خوطب له على منابر بغداد بعد الخليفة وتوفى سنة (372هـ/983م) = ياسين خير الله العمري: **غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام**، منشورات البصري (بغداد، 1968) ص297-298. كذلك ابن خلكان: المصدر السابق، 150/4، الذهبي: **تهذيب سير أعلام النبلاء**، 1175/2-1176.

فيما بعد [1].

أما أشهر المشافي في العصر العباسي الثالث (334-447هـ/945-1055م) وهو عصر النفوذ البويهي.

فقد كان البويهيين الأوائل من أفضل الأمراء، وقد بلغت الحضارة، في عهدهم، درجة عالية من التقدم، اعتنوا بالناحية الاقتصادية بصفة عامة، وشيدوا المباني الكبرى في العديد من المدن التي خضعت لسلطانهم، واهتموا بالعلماء، كما اهتموا أيضاً بإنشاء المدارس والمشافي وغيرها، والتي كان محط إعجاب للناس[2].

- **بيمارستان معز الدولة[*] بن بويه:** فقد كتب معز الدولة بن بويه سنة (355هـ/965م) إلى طاهر بن موسى أن يبني موضع السجن الجديد بمدينة بغداد بيمارستان، وأوقف له العديد من الأوقاف، من ضياع وغيرها، تصل إلى خمسة آلاف دينار، وبدأ طاهر ببنائه، إلا أن معز الدولة مات قبل أن يتم هذا البيمارستان[3].
- **البيمارستان العضدي**: تمكن عضد الدولة البويهي خلال فترة حُكمه الطويلة والتي استمرت خمسة وثلاثين سنة، أن يُسهم في استقرار وازدهار الدولة العباسية بإنشاء المشاريع العمرانية التي قام بها، وكان أهمها هذا البيمارستان[4]. وسبق أن ذكرت بأن بجكم التركي بدأ في بناء بيمارستان ببغداد، ولكنه توفى قبل أن يتم فجدده عضد الدولة[5] وفقاً لما ذكرت المصادر.

ولأهمية هذا البيمارستان من عدة أوجه رأيت إفراده بشيء من التفصيل فيما يخص مكان تشييده ومرافقه ومحتوياته وتطويره وأبرز الشخصيات القائمة عليه.

---

(1) الصفدي: المصدر السابق، 48/10. كذلك ابن كثير: المصدر السابق، ص136.

(2) مُحمد سهيل طقوش: **التاريخ الإسلامي** (الوجيز)، دار النفائس (بيروت، 2006) ص188.

(*) هو أبو الحسين أحمد بن أبو شجاع بن بويه بن فناخسروا، ولد سنة (303هـ/915م) وكان في بداية أمره حطاباً، وشاء القدر أن يدخل بغداد سنة (334هـ/945م) لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الأولى، في خلافة المستكفي بالله (333-334هـ/944-945م) وملك العراق إحدى وعشرين سنة وإحدى عشرة شهراً وتوفى يوم الاثنين في السابع عشر من ربيع الآخر سنة (356هـ/966م) = ابن خلكان: المصدر السابق، 174/1، 176..

(3) ابن الجوزي: **المنتظم**، 175/14.

(4) إبراهيم أيوب: المرجع السابق، ص154.

(5) الصفدي: المصدر السابق، 48/10. كذلك ابن كثير: المصدر السابق، 136/15.

هذا البيمارستان عمره عضد الدولة بن بويه في الجانب الغربي من مدينة بغداد[1] وقد أُنشئ في موضع قصر الخلد[**]، واستغرق بناؤه ثلاث سنوات، ابتداء في بنائه سنة (368هـ/978م)[2] وافُتُتِح في شهر صفر، وقيل ربيع الآخر من سنة (372هـ/982م) ورتب فيه الأطباء والخُزّان والبوابون، والوكلاء والناظرون، ونُقلت إليه الأدوية والأشربة والفرش والآلات[3] وجميع ما يحتاج إليه[4] ما يقصر الشرح عن وصفه وأنفق عليه مالاً كثيراً[5] وأوقف عليه أوقافاً كثيرة، وعين فيه أربعة وعشرين طبيباً في مختلف التخصصات، من طبائعين، وجراحين، ومجبرين، وكحالين، ومن مختلف الأماكن. كما جعل فيه مكاناً لتدريس الطب[6]، إضافة إلى احتوائه على صيدلية، تحتوي على أدوية عليها رئيس يُعرف بشيخ صيدلي البيمارستان[7]، ورئيس للأطباء يُعرف بالساعور[8]، وفي الفترة المتأخرة، أُنشئ حوله سوق عُرف بسوق المارستان، ومحلة واسعة تمتد من محلة باب البصرة في الجنوب إلى محلة الشارع في الشمال، وقد شملت معظم الأراضي التي كانت فيها حدائق قصر الخلد، وقصر القرار، كما شملت مباني المنصور العتيقة بين باب خراسان ودجلة[9] كما صار لهذا البيمارستان ديوان[*]، وكان أبو سعد بن حمدون[**] ممن ولي النظر في ديوان البيمارستان[10].

---

(1) شمس الدين أبي عبدالله مُحمد بن أحمد المقدسي المعروف بالبشاري، **كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل (ليدن، 1906) ص120. كذلك ابن الأثير: **الكامل**، 57/3، القفطي: المصدر السابق، ص103، ابن خلكان: المصدر السابق، 54/4.

(**) وهو على نهر دجلة أشرف على بناءه الإمام أبو حنيفة (80-150هـ/699-767م) عند إشرافه على بناء مدينة بغداد للخليفة أبي جعفر المنصور بعد رفضه تولي القضاء، وقد فرغ من بنائه سنة (158هـ/774م) = مُحمد بن علي بن مُحمد المعروف بابن العمراني: **الإنباءُ في تاريخ الخلفاء**، تحقيق وتقديم قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية (القاهرة، 1999) ص64، 67. كذلك ابن الجوزي: **المنتظم**، 200/8-201، ابن كثير: المصدر السابق، 457/13.

(2) عبدالحميد العلوجي: المرجع السابق، ص138. كذلك عبدالله الجراري: المرجع السابق ص75.

(3) ابن الجوزي: **المنتظم**، 289/14. كذلك ابن كثير: المصدر السابق، 410/15.

(4) ابن الأثير: **الكامل**، 401/7.

(5) ابن خلكان: المصدر السابق، 54/4-55.

(6) عبدالحميد العلوجي: المرجع السابق، ص139.

(7) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص415-416.

(8) المصدر نفسه، ص415.

(9) عبدالحميد العلوجي: المرجع السابق، ص138.

(*) الدَّيْوان: جمعها دَواويْن ودَياويْن الدفتر الذي تدون فيه أسماء الجنود وأهل العطاء = جُبران مسعود: **الرائد**، ص369.

(**) هو الحسن بن مُحمد بن الحسن بن مُحمد بن علي بن حمدون، قرأ الأدب، وكان أديباً فاضلا، وكَتب كُتباً كثيرة من كُتب الحديث والتاريخ = الصفدي: المصدر السابق، 139/12.

(10) الصفدي: المصدر السابق، 139/12.

جُدد هذا البيمارستان عدة مرات، ففي سنة (449هـ/1057م) في عصر الخليفة القائم بأمر الله تم تجديد هذا البيمارستان، وكان قبل ذلك قد خلى من الأطباء والأدوية، والمرضى ينامون على الأرض، ويعانون شدة العطش، والماء غير صحي، وكان متوليه في ذلك الوقت شخص يهودي، استولى على أوقافه، فتم استخلاص هذه الأموال من أيدي الطامعين، وشُرِع في عمارته، وكان به سوق به مائة دكان، كانت قد اندثرت أيضاً، فأعيد بناؤها وعين فيه أطباء وجمع فيه جميع ما يحتاج إليه من الأدوية والأشربة والتي يعني وجودها الشيء الكثير، ووفر فيه الفرش واللُحف للمرضى والثلج والخدم والفراشين والنساء الطباخات والبوابين والحراس، وكان بجانبه بُستان فيه العديد من أنواع الثمار، وكانت السفن على بابه تحمل الضعفاء والفقراء[1].

وكان الأطباء يعملون فيه بنظام التناوب، كما وُجدِت فيه صناديق توضع فيها ثياب المرضى ومناديل، وأخرى فيها أكفان وغير ذلك[2]، وقد أصاب هذا البيمارستان خراب إثر فيضان نهر دجلة سنة (466هـ/1073م) نتيجة لسقوط أمطار غزيـرة أدت إلى وقوع سيل قوي، فدخلت المياه من شبابيك البيمارستان[3] وتعـرض أيضاً في سنة (569هـ/1173م) نتيجة لسقوط الأمطار لفترة طويلة – إلى فيضان دخل فيه الماء إلى البيمارستان فتعرض للخراب[4].

والظاهر أن أهل الخير قاموا بصيانته وإعادة تجديده. فالمصادر تذكر أنه في حدود منتصف القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي كان لهذا البيمارستان مجموعة من الأطباء، بلغ عددهم ستين طبيباً، يعالجون المرضى، ويُحضِّرون الأدوية، كما كان به بناية، عُرفت بدار المارستان، يأوي إليها المرضى العقليين[5].

لقد زار الرحالة ابن جُبير مدينة بغداد وشاهد هذا البيمارستان، فكان من جملة ما قاله عنه، وأعطى وصفاً دقيقاً له. فقال: "... وبين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان، وهي مدينة صغيرة، وفيها المارستان الشهير ببغداد، وهو على نهر دجلة، وتتفقده الأطباء كل يوم اثنين وخميس، ويطالعون أحوال المرضى به، ويرتبون لهم أخذ

---

(1) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستان**، ص189-190. كذلك عبدالحميد العلوجي: المرجع السابق، ص139، مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص148.
(2) المرجع نفسه، ص190. كذلك عبدالحميد العلوجي: المرجع السابق، ص140.
(3) ابن كثير: المصدر السابق، 16/44-45.
(4) ابن الأثير: **الكامل**، 10/52، 61.
(5) عبدالحميد العلوجي: المرجع السابق، ص139.

ما يحتاجون إليه، وبين أيديهم قَوَمة يتناوبون طبخ الأدوية والأغذية. وهو قصر كبير فيه المقاصير(*) والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكيّة، والماء يدخل إليه من دجلة"(1).

وفي سنة (626هـ/1228م) أُجريت عملية جرد لهذا البيمارستان فوجد في مخازنه من الحوائج ما يكفي المرضى لمدة سنة كما أنه استخدم سجناً لمن ينالون عقوبة(2). وعندما حاصر هولاكو(*) مدينة بغداد سنة (656هـ/1258م) اتخذ بعض قواده البيمارستان قاعدة لهجومهم(3).

والظاهر أنه أهمل وخرب بعد سقوط بغداد، وعندما زاره ابن بطوطة في سنة (727هـ/1326م) كان خراباً، فذكر أنه قصر كبير، قد خرب وبقيت منه الآثار(4).

أما بالنسبة لأشهر الأطباء الذين عملوا به فهم كالآتي:

1- **أبو الحسن علي بن إبراهيم بن بكس**: وكان ممن درَّس الطب في البيمارستان العضدي، وقد ذكره عبيد الله بن بختشيوع أنه من ضمن الأطباء الذين عملوا فيه عند افتتاحه(5). وفي ترجمة أخرى لهذا الطبيب ذكر ابن أبي أصيبعة أنه كان عالماً بالطب وقام بترجمة العديد من الكُتب إلى اللغة العربية فقط(6)، ولم يزد على ذلك شيئاً، وفي ترجمته لإبراهيم بن بكس يقول بأنه كان طبيباً ماهراً، وقام بترجمة العديد من الكُتب إلى اللغة العربية، وكان يدرس الطب في البيمارستان العضدي لما بناه عضد الدولة وله العديد من المؤلفات مثل (الإقراباذين المُلحق بالكُناش) ومقاله في (الجدري) وغيرها من المؤلفات(7). والظاهر أنه هو نفس الشخص الذي عمل

---

(*) المقاصير: مفردها مَقْصُوْرَة وهي الدار الواسعة المُحَصَّنة التي لا يدخلها إلا صاحبها = جبران مسعود: **الرائد**، ص760.

(1) ابن جُبير: المصدر السابق، ص201.

(2) عبدالحميد العلوجي: المرجع السابق، ص138، 140.

(*) هو هولاكو بن تولي فان بن جنكيز خان ملك التتار، كان طاغية ومن أعظم ملوكهم، شجاعاً حازماً مدبراً ذا سطوة ومهابة وخبرة بالحروب، وعلى قاعدة الترك في عدم التقيد بدين طاف البلاد واستولى على الممالك في أقصر مدة وافتتح العديد منها. للمزيد ينظر = الكُتبي: المصدر السابق، 240/4.

(3) عبد الحميد العلوجي: المرجع السابق، ص138.

(4) أبوعبدالله مُحمد بن عبدالله بن مُحمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة: **رحلة ابن بطوطة**، دار التراث (بيروت، 1968) ص218.

(5) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص415.

(6) المصدر نفسه، ص329.

(7) المصدر نفسه، ص329.

في البيمارستان عند افتتاحه والراجح أن باقي الاسم سقط سهواً من ابن أبي أصيبعة، ولو كان هذا الطبيب عمل هو وابنه في تدريس الطب لذكر ذلك.

2- **أبو الحسن علي بن كشكرايا**: وهو طبيب مشهور ببغداد، وله فطنة ومعرفة بعلم الطب، وله من الكُتب كُناشه المعروف بـــ "الحاوي"(1).

3- **نظيف القس الرومي**: كان من أفضل الأطباء الذين عملوا في هذا البيمارستان، وخبيراً بالعديد من اللغات، وترجمة العديد منها من اللغة اليونانية إلى اللغة العربية(2).

4- **أبو نصر الدحلي**: وكان من الأطباء المختصين بالكحالة(3).

5- **أبو الخير**: وكان من الأطباء الجراحين(4).

6- **أبو الصلت**: وكان من الأطباء الذين اختصوا بالتجبير(5).

وهؤلاء الأطباء ذكرهم ابن أبي أصيبعة على لسان عبيد الله بن يختيشوع من جملة الأطباء الذين عملوا في البيمارستان العضدي عند افتتاحه في عصر عضد الدولة.

كما عرف هذا البيمارستان عدد من الأطباء في عصور زمنية مختلفة نخصص بالحديث عنهم:

1- **أبو الفرج بن الطيب**: وهو عبدالله بن الطيب، كان يُدرس الطب في البيمارستان العضدي، ويعالج فيه المرضى، وكان من أشهر الأطباء في هذا المجال، ذا علم واسع، وله العديد من المؤلفات(6)، وتوفى سنة (425هـ/1033م).

2- **أبو الغنائم هبة الله الأثردي**: هو سعيد بن علي هبة الله أبو الغنائم الأثردي، من أشهر أطباء بغداد(7) وكان ساعوراً للبيمارستان العضدي في عصر الخليفة المقتفي بأمر الله (530-555هـ/1135-1160م)(8) ومشهور في الطب في جانبيه العلمي والعملي وله بعض من المؤلفات(9).

---

(1) المصدر نفسه، ص329.
(2) المصدر نفسه، ص316.
(3) المصدر نفسه، ص416.
(4) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص416.
(5) المصدر نفسه، ص416.
(6) المصدر نفسه، ص323، 325.
(7) المصدر نفسه، ص399. كذلك الصفدي: المصدر السابق، 154/15.
(8) الصفدي: المصدر السابق، 154/15.
(9) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص399.

3- **أمين الدولة بن التلميذ**: هو موفق المُلك أمين الدولة أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن إبراهيم بن التلميذ، طبيب نصراني متميز في عمله، وكان ساعوراً للبيمارستان حتى وفاته، ويجيد اللغة العربية والفارسية، ومُتبحراً في اللغة العربية، وتولى رئاسة الطب ببغداد، وترك العديد من المؤلفات، وتوفى في شهر ربيع الأول سنة (560هـ/1164م)(1).

4- **ابن المارستانية**: هو أبو بكر عبيد الله بن أبو الفرج علي بن نصر بن حمزة، عُرف بابن المارستانية، كان من أفضل الأطباء، كان عنده تميز وأدب، وسمع شيئاً من الحديث، وتولى نظر البيمارستان العضدي، وكتب تاريخاً لمدينة بغداد سماه "ديوان الإسلام الأعظم"، ونُدب من الديوان في شهر صفر سنة (599هـ/1202م) في مهمة خارج بغداد، وخُلع عليه خُلعة سوداء وطيلسان(*)، وفي أثناء رجوعه توفى قبل وصوله في شهر ذي الحجة من سنة (599هـ/1202م)(2).

وهناك نقطة مُهمة بخصوص الأطباء الذين عملوا في البيمارستان العضدي لا ينبغي إغفالها فابن أبي أصيبعة يذكر أن أبو بكر الرازي كان من جملة الأطباء الذين اجتمعوا على بنائه، حيث استشاره عضد الدولة في الموضع الذي يجب أن يُنشئ فيه البيمارستان، واختاره من بين خمسين طبيباً، ثم اقتصر من هؤلاء على عشرة وكان منهم الرازي وجعله ساعوراً للبيمارستان، إلا أنه في نفس الوقت يقول، بأن الذي صح عنده أن الرازي عاش في زمن أقدم من زمن عضد الدولة.

ومن جانبي أرى صواب الرأي الأخير، لعدة أسباب منها أن هذا البيمارستان كان موجوداً قبل أن يجدده عضد الدولة، والسبب الآخر أن المصادر التي ذكرت وفاة الرازي كانت محصورة ما بين سنة (311هـ/923م) وسنة (320هـ/932م) أي قبل مجيء عضد الدولة بعدة سنوات، والسبب الثالث، أن عبيدالله بن جبرائيل كان ممن عاصر عضد الدولة، وقد ذكر العديد من الأطباء الذين عملوا فيه عند افتتاحه إلا أنه لم يذكر الرازي، وهو الأولى بالتقديم. وأيضاً ذكر ابن أبي أصيبعة أن الأطباء الذين عملوا فيه كانوا أربعة وعشرين طبيباً وليس عشرة كما ذكر في بداية كلامه.

---

(1) المصدر نفسه، ص349، 355. كذلك ابن خلكان: المصدر السابق، 6/69-75.

(*) الطَّيْلسَان: والطَّلْسُان جمعها طَيَاليسُ وطَيَاليسَةٌ ضرب من الأوشحة أخضر اللون، يُلبس على الكتف، أو يحيط بالبدن، خال من التفصيل والخياطة = لويس اليسوعي: **المنجد**، القسم الأول، ص486. كذلك جبران مسعود: **الرائد**، ص528، مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، ص393.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص407.

- **بيمارستان مُحمد بن علي بن خلف**(**): وقام هذا الوزير في بداية وزارته بتعمير البلاد، ونشر العدل والإحسان، وكان مستمراً على ذلك طوال فترة وزارته[1] وبنى بيمارستان ببغداد[2] وقيل أنه قل أن عُمل مثل هذا البيمارستان[3].
- **بيمارستان خمارتكين**: وهو الذي بناه الخادم خمارتكين ببغداد، وافتتح سنة (507هـ/1113م)[4].

كانت هذه المشافي التي مر ذكرها كلها في مدينة بغداد، إلا إن باقي المُدن في العراق كان لها نصيب من بنائها، ومنها:

- **البيمارستان المؤيدي**: هذا البيمارستان بناه مؤيد المُلك أبو علي الرُّخَّجي(*)، وزير شرف الدولة(**) بمدينة واسط(***)، وفُتِح يوم الثلاثاء الخامس عشر من ذي القعدة سنة (413هـ/1022م) وحُملت إليه الأدوية والأشربة، وعين فيه الأطباء والخُزان والوكلاء، ووقف عليه العديد من الأوقاف[5]، وغير ذلك مما يحتاج إليه[1].

---

(**) هو أبو غالب مُحمد بن علي بن خلف المُلقب فخر المُلك، ولد بمدينة واسط يوم الخميس، الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة (354هـ/965م) ولي الوزارة ببغداد في عصر القادر بالله (381-422هـ/991-1030م)، وكان وزيراً لبهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة، وكان أعظم وزراء البويهيين على الإطلاق، وعلم بجوده وإحسانه العام والخاص، وقُتل مظلوماً لثلاثة بقين من ربيع الأول سنة (407هـ/1016م) = ابن الجوزي: **المنتظم**، 123/15-124. كذلك ابن خلكان: المصدر السابق، 124/5، 127، ابن كثير: المصدر السابق، 572/15، الذهبي: تاريخ الإسلام، 168/28-170، الصفدي: المصدر السابق، 88/4، ابن العماد، عبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي المعروف بابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير (دمشق، 1988) 48/5-49.

(1) ابن الجوزي: **المنتظم**، 123/15-124. كذلك الصفدي: المصدر السابق، 88/4، ابن العماد: المصدر السابق، 48/5-49.

(2) المصدر نفسه، 124/5. كذلك الذهبي: تاريخ الإسلام، 168/28.

(3) الذهبي: تاريخ الإسلام، 170/28. كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص197، عبدالحميد العلوجي: المرجع السابق، ص141.

(4) ابن كثير: المصدر السابق، 220/6.

(*) هو أبو علي الحسين بن الحسن الرُخّجي، المُلقب مؤيد المُلك، ولد بالأهواز سنة (355هـ/965م)، تولى الوزارة لمشرف الدولة بن بهاء الدولة، وتولى الأمور فأحسن تدبيرها، وكانت وزارته، سنتين ويومين، وتوفى سنة (430هـ/1028م) = الصفدي: المصدر السابق، 220/12-221.

والرُخّجي نسبة إلى الرُخَّجية، قرية قرب بغداد = ابن الأثير: **اللباب في معرفة الأنساب**، مكتبة المثنى (بغداد، د.ت) 20/2.

(**) هو الملك مشرف الدولة، أبو علي بن بهاء الدولة، أبي نصر بن عضد الدولة ابن بويه الديلمي، صاحب بغداد وغيرها من البلاد أصابه مرض حاد، فتوفى لثمان بقين من ربيع الآخر سنة (416هـ/1025م) = ابن كثير: المصدر السابق، 607/15. ابن العماد: المصدر السابق، 81/5.

(***) سُميت بواسط لأنها متوسطة بين البصرة والكوفة، وبينها وبين كل واحدة منهما خمسين فرسخاً، وبناها الحجاج بن يوسف الثقفي = ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 347/5.

(5) ابن الجوزي: **المنتظم**، 153/15. كذلك ابن كثير: المصدر السابق، 594/15، أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص198، عبدالحميد العلوجي: المرجع السابق، ص140.

- **بيمارستان مَيّافارِقين**(****): وكان سبب بناء هذا البيمارستان هو أن نصر الدولة بن مروان(*****)، لما مرضت ابنته، وكان يحبها كثيراً، قطع على نفسه، أنه إذا شفيت، يتصدق بوزنها دراهم، وعندما عالجها زاهد العلماء(******)، وشفيت أشار على نصر الدولة أن يجعل جملة هذه الدراهم التي يريد التصدق بها، أن تكون في بناء بيمارستان ينتفع به الناس، ويكون له بذلك أجراً عظيم، وسُمعة طيبة، فأمر ببنائه وأنفق عليه أموالاً كثيرة جداً، فجاء في غاية الجودة(2)، وأوقف عليه العديد من الأوقاف من ضياع وأملاك(3).

- **بيمارستان الموصل**(*): وهذا البيمارستان هو الذي بناه مجاهد الدين قايماز(**) سنة (572هـ/1176م) وأوقف عليه الأوقاف والرواتب الكثيرة، كما بُني بجانبه الجامع المجاهدي والمدرسة والرباط، وكانت جميعها بجانب بعضها البعض(4)، وكان الحسن

---

(1) ابن كثير: المصدر السابق، 594/15.

(****) مَيّافارقين: وهي أشهر مدينة بديار بكر= ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 235/5. كذلك ابن الأثير: **اللباب**، 278/3.

وتفسير مَيّافارقين بالعربية مدينة الشهداء لعظام الشهداء المنقولة إليها = عز الدين مُحمد بن علي بن إبراهيم بن شداد: **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، حققه يحيى عبادة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي (دمشق، 1978) 265/3.

(*****) هو أحمد بن مروان بن دوستك الكردي الحميدي، الملقب نصر الدولة، صاحب مَيّافارقين وديار بكر، ملك البلاد بعد أخيه، وكان رجلاً عالي الهمة، حسن السياسة، كثير الحزم، وكانت إمارته اثنان وخمسون سنة، وتوفى مقتولاً في قصره سنة (453هـ/1061م) = ابن الجوزي: **المنتظم**، 70/16-71. كذلك ابن الأثير: **الكامل**، 356/8، ابن كثير: المصدر السابق، 783/15-784، ابن خلكان: المصدر السابق، 177/1-178، الصفدي: المصدر السابق، ص115/8.

(******) هو أبو سعيد منصور بن عيسى، طبيب نصراني نسطوري، خدم بطبه نصر الدولة بن مروان وكان يحترمه ويحسن إليه ويعتمد عليه في الطب، ولزاهد العلماء العديد من الكُتب منها: كتاب البيمارستانات، كتاب في أمراض العين ومداواتها وغيرها من الكُتب = ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص341.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص341.

(3) ابن شداد: **الأعلاق الخطيرة**، 273/3.

(*) مدينة الموصل: مدينة مشهورة وإحدى قواعد بلاد الإسلام، وقيل سُميت الموصل لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق، وقيل وصلت بين دجلة والفرات، إلى غيرها من الأسباب، وهي مدينة قديمة على طرف نهر دجلة، وكان أول من عمرها وألحقها بالأمصار مروان بن مُحمد (127-132هـ/744-749م) آخر خلفاء بني أمية = ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 223/5.

(**) هو الأمير مجاهد الدين أبو منصور، الخادم الرومي والحاكم على الموصل، كان ذا رأي وعقل وكثير الصلاح، فوض إليه صاحب الموصل غازي بن مودود الأمور فتولى تدبيرها، وتوفى سنة (595هـ/1196م) = ابن الأثير: **الكامل**، 263/10. كذلك ابن خلكان: المصدر السابق، 82/4-84، الذهبي: **تاريخ الإسلام**، 194/42-196، ابن كثير: المصدر السابق، 690/16، ابن العماد: المصدر السابق، 519/6-520.

(4) ابن الأثير: **الكامل**، 263/10. كذلك الذهبي: **تاريخ الإسلام**، 194/42-196.

بن علي الشاتاني(***) ممن تولى أمر البيمارستان وأوقافه[1].

والجدير بالذكر بأن هذا الشخص لم يكن طبيب، لأنه ليس من الضروري أن يرأس البيمارستان طبيب، وإنما لابد أن يتولاه شخص ثقة ذا خُلق ودين حتى يراعي حقوق المرضى ويحافظ على أوقافه ويصرفها على كل ما يخص البيمارستان.

وقد زار هذا البيمارستان الرحالة ابن جُبير عند زيارته لمدينة الموصل وذكر أن بها بيمارستان بناه مجاهد الدين وبجانبه مدرسة[2].

- **بيمارستان حَرَّان**: ذكره ابن جُبير أثناء رحلته سنة (580هـ/1184م) عند وصفه لمدينة حران، بأن بها بيمارستان[3]، ولم يزد أي معلومات أخرى.
- **بيمارستان الرَّقّةُ**(****): وهذا البيمارستان ذكره ابن أبي أصيبعة عرضاً أثناء ترجمته لبدر الدين ابن قاضي بعلبك(*)، بأنه خدم به[4].

هكذا يتبين أن العراق شهد إنشاء العديد من المشافي وخاصة في مدينة بغداد، وكان بناؤها بشكل واسع من مختلف طبقات المجتمع من الخلفاء حتى الخدم والعبيد، إضافة إلى ظهور أشهر الأطباء الذين لمعت أسماؤهم في ذلك العصر وفي مختلف التخصصات المعروفة آنذاك، وهذا ليس بغريب على بغداد لأنها كانت في ذلك الوقت عاصمة الحضارة الإسلامية، إلا أنه بعد ذلك بدأ التطور في المشافي ينتقل إلى غيرها من المدن والحواضر الإسلامية.

---

(***) هو الحسن بن علي بن سعيد بن عبدالله الشاتاني، الملقب علم الدين، ولد سنة (513هـ/1119م) تفقه في بغداد على المذهب الشافعي وسمع الحديث، وكان يعقد له مجلس علم ووعظ، وتوفى في شعبان سنة (579هـ/1183م) = الصفدي: المصدر السابق، 109/12-110.

(1) المصدر نفسه، 109/12.

(2) ابن جبير: المصدر السابق، ص210.

(3) المصدر نفسه، ص221.

(****) الرَّقةُ: وهي مدينة مشهورة على نهر الفرات، بينها وبين حران ثلاثة أيام معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي = ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 58/3-59.

(*) مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام = الحموي: **معجم البلدان**، 453/1.

(4) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص751. كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص201-202.

# المبحث الثاني

# مشافي مصر

بالنسبة لمشافي مصر فكان بناؤها والاهتمام بإنشائها في العصر العباسي الثاني (232-334هـ/846-945م) **في عصر نفوذ الأتراك**، وكان أهمها:

1- **بيمارستان المعافر**(*): يقع في خطة المعافر التي موضعها ما بين مُصلى خولان(**) التي بالقرافة(***)، وقد بناه الوزير الفتح بن خاقان في أيام خلافة المتوكل على الله ولم يبق منه أثر الآن[1].

أما في عصر **الدولة الطولونية** (254-292هـ/868-904م) التي أسسها أحمد بن طولون، فقد شرع في القيام بالعديد من الأعمال العمرانية، والتي تعبر عن مدى اهتمامه بمصر[2] وكان أهمها:

2- **البيمارستان العتيق**: ويُعرف أيضاً بالبيمارستان الأعلى، أنشأه أحمد بن طولون سنة (259هـ/872م) وقيل سنة (261هـ/874م). وهو أول من أنشأ بيمارستان بالقاهرة[3]، في حيها الجديد المعروف بالقطائع(****)[4]، وكان بناؤه ابتغاءً لوجه الله[5] وكان مبلغ ما أنفق على تشييده ستين ألف دينار[1]، وعندما فرغ من بنائه

---

(*) وهم بنو المعافر بن يعفر بن مرة بن أُدَدَ = القلقشندي: المصدر السابق، 332/3. كذلك الزركلي: **الأعلام**، 325/2.

(**) وهم بنو خَوْلان بن عمرو بن مالك بن زيد بن عَريب = ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 407/5. كذلك القلقشندي: 332/3. المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 454/2.

(***) هي عدة مقابر وما كان منها على سفح جبل المقطم يقال له القرافة الصغرى وما كان منها بجوار المساكن يقال له القرافة الكبرى ينظر المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 442/2-444.

(1) المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 406/2؛ أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص66-67.

(2) مُحمد طقوش: المرجع السابق، ص181.

(3) ابن دقماق: المصدر السابق، 99/1؛ كذلك القلقشندي: المصدر السابق، 347/3، المقريزي: **المواعظ والاعتبار**: المصدر السابق، 405/2، ابن تغري بردي: المصدر السابق، 14/3، مُحمد البابا: المرجع السابق، ص62.

(****) وهي عدة قطع يُسكن فيها عبيد الأمير أحمد بن طولون وعساكره وغلمانه = ابن تغري بردي: المصدر السابق، 19/3.

(4) نبيلة حسن مُحمد: **محاضرات في تاريخ الشام في العصر الإسلامي**، مكتبة كريدية (أسوان، 1983) ص101.

(5) علي إبراهيم حسن: **مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1993) ص435.

أوقف عليه دار الديوان ودوره في الأساكفة، والقيسارية، وسوق الرقيق، واشترط ألا يعالج فيه جندي ولا مملوك[2].

وكان موقع هذا البيمارستان في أرض العسكر[*]، بين جامع ابن طولون، وكوم الجارح، فيما بين قنطرة السد التي على الخليج، على ظاهر مدينة القاهرة، وبين السور الذي يفصل بين مدينة القاهرة وبين السور الذي يفصل بين القُرافة وبين القاهرة[3].

أما بالنسبة لأقسام البيمارستان، فالظاهر إنه ينقسم إلى عدة أقسام، من ضمن أقسامه قسم للمرضى العقليين[4]، وجعل فيه حمَّامين أحدهما للرجال والآخر للنساء[5].

لقد وضع نظام جيد للعمل في هذا البيمارستان، فكان إذا دخل المريض تُنزع عنه ثيابه وأيضاً تُسلم منه حاجياته الخاصة وتودع جميعها عند أمين البيمارستان، ويدخل المريض إلى غرفة مجهزة، ومفروشة، ويتابع حالته الأطباء صباحاً ومساءً، ويُعطى الأدوية والأغذية الخاصة بحالته حتى يشفى، ومن علامة الشفاء في نظرهم أن أكل فروجاً ورغيفاً، أمر بمغادرة البيمارستان، وتعطى له ثيابه ونقوده، وفي حالة وفاة المريض يجهز ويكفن على نفقة البيمارستان[6].

من المهم الإشارة إلى أنه يوجد بالبيمارستان خزانة كُتب تحتوي على مائتي ألف مجلد في مختلف أصناف العلوم[7]، وإن كان هذا العدد مبالغ فيه فهو يدل على مدى اهتمام أحمد بن طولون بتوفىر الكُتب لمكتبة البيمارستان ومدى كثرة الكُتب فيها.

وأيضاً احتواءه على صيدلية فيها مختلف الأدوية والعقاقير التي لا توجد إلا في خزائن الملوك والخلفاء، كما أوقف له الأوقاف، حيث اشترى له مُستغلات تفي بعضها

---

(1) القاسم بن يوسف التجيني السبتي: **مُستفاد الرحلة والاغتراب**، تحقيق وإعداد عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب (ليبيا، د.ت) ص6. كذلك ابن تغري بردي: المصدر السابق، 16/3. كذلك ابن دقماق: المصدر السابق، 99/1. Kawakff and other: op. cit., p. 30.

(2) المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 405/2. كذلك ابن دقماق: المصدر السابق، 99/1.

(*) كان هذا الموضع يُعرف في صدر الإسلام، بالحمراء القصوى، وقد سكنتها بعض القبائل ثم دثرت عمارتها وصارت صحراء، ثم بعد ذلك نزل بها أمراء مصر من قبل الدولة العباسية، وتوالى عليها البناء إلى أن جاء أحمد بن طولون وبنى جامعه ومنذ ذلك الحين سُمي ذلك الموضع بالعسكر = المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، المصدر السابق، 264/1-265.

(3) المقريزي: **الخطط**، 405/2. كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص68-69.

(4) المصدر نفسه، 405/2.

(5) المصدر نفسه، 405/2. كذلك رسمية شكور: المرجع السابق، ص233-234.

(6) المصدر نفسه، 405/2. كذلك مصطفى طه بدر: **مصر الإسلامية** (من الفتح الإسلامي حتى زوال الدولة الأخشيدية) مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1959) 169/1. أحمد مختار العبادي: **في التاريخ العباسي والأندلسي**، مؤسسة شباب الجامعة (الاسكندرية، د.ت) ص132.

(7) المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 409/1.

بجميع احتياجاته[1]. وكان أحمد بن طولون، يركب بنفسه إلى البيمارستان كل يوم جمعة ويتفقد خزائنه ومن فيه من الأطباء، وسائر من به من المرضى، ومن المفارقات العجيبة أن أحمد بن طولون دخل ذات مرة إلى قاعة المرضى العقليين، فطلب أحدهما منه رُمانة عريشية فأمر له بها من ساعته، فعندما أُعطيت له، غافل أحمد بن طولون ورمى بها على صدره، وإثر ذلك انقطع عن زيارة البيمارستان[2].

وعندما زار الرحالة ابن جُبير مصر، امتدح البيمارستان الصلاحي[*] وذكر بأنه في الفسطاط بيمارستان آخر على مثل ذلك الرسم، يقصد به بيمارستان ابن طولون[3]. ظل هذا البيمارستان قائماً حتى عصر القلقشندي المتوفى سنة (821هـ/1418م) الذي زار القاهرة[4] إلا أنه دثر من ضمن ما دثر ولم يبق له أثر[5].

وقد رثاه الشاعر سعيد القاصْ عندما آلت الدولة الطولونية إلى السقوط في أيام تولية شيبان بن أحمد بخروجه من مصر ودخول سليمان الكاتب من قبل الخليفة المكتفي بالله (289-295هـ/901-907م) سنة (292هـ/904م) أمر بإحراق القطائع فأُحرقت ونُهب أصحابه الفُسطاط ودعى من اليوم الثاني للمكتفي بالله على المنابر[6]. فرثاها الشاعر وكان من ضمن ما رثاه البيمارستان الطولوني فقال فيه:

ولا تنسى مارستانةٌ واتساعه
وتوسعة الأرزاق للحول والشهرِ
وما فيه من قوامة وكفاية
ورِفعتهم بالمُعتفين ذوي الفقــر
فالميت المقبور حُسن جهازه
وللحي رفق في علاج وفي جبر[7].

وفي هذه الأبيات دلالة واضحة على مدى اتساع البيمارستان ووفرة الأرزاق فيه تكفي لشهر ولسنة أيضاً، ووجود الخدم والمعاونين لخدمة المرضى المتعففين الفقراء، وعندما

---

(1) البلوي: المصدر السابق، ص180. كذلك المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 420/1
(2) المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 405/2-406. كذلك أحمد عبدالرازق أحمد: **تاريخ وآثار مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي**، دار الفكر العربي (القاهرة، 2004) ص113.
(*) والذي سيأتي ذكره بشيء من التفصيل ضمن مشافي مصر.
(3) للمزيد ينظر ابن جبير: المصدر السابق، ص26.
(4) بول غليونجي: **ابن النفيس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة، د.ت) ، ص87.
(5) المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 405/2 .
(6) أبو عمر بن يوسف الكندي المصري: **كتاب الولاة وكتاب القضاة**، مطبعة الأباء اليسوعيين (بيروت، 1908) ص246، 256.
(7) الكندي: المصدر السابق، ص256.

يموت المريض يُكفن، ويجهز على نفقة البيمارستان، أما المرضى فكانوا يعاملون برفق ويعالجون على نفقة البيمارستان.

أما بالنسبة للأطباء الذين عملوا به فلم تمدنا المصادر التاريخية بأي معلومات عنهم باستثناء **مُحمد بن عبدون الجيلي**: الذي رحل إلى المشرق سنة (347ه/958م) ودخل البصرة والقاهرة، ودبر بيمارستانها، وكان متميزاً في الطب ثم رجع بعدها إلى الأندلس سنة (360هـ/970م) وخدم الخليفة المستنصر بالله (350-366هـ/961-976م) والمؤيد بالله (366-400هـ/976-1009م) بالطب[1].

وفي الواقع لم تقتصر الخدمات العلاجية في العصر الطولوني على البيمارستانات فقط، بل كان للمساجد دورها في الرعاية الصحية. فعندما شرع ابن طولون في بناء الجامع الذي حمل اسمه ألحق به خزانة شراب فيها جميع الأدوية، كما جعل عليها خادماً وطبيب جالس كل يوم جمعة لإسعاف من يتعرض لأي حادث من المُصلين[2].

أما في **عصر الدولة الأخشيدية** (323-358هـ/934-968م) فقد كثرت الثروة في يد الأمراء الحاكمين والأغنياء من الطبقة العليا من السكان، وكانت المنشآت في ذلك العصر، تنقسم إلى قسمين منها العامة التي تضم المشافي والسُبل والحمامات، والخاصة التي تشمل القُصور والدوُر والأضرِحة وغيرها[3]. وقد شهد هذا العصر ازدهاراً في تشييد العمائر في شتى ميادين الفن الإسلامي، ولكن ما جاء عن هذا العصر قليل[4].

وكان أهم بيمارستان أُنشئ في هذا العصر هو:

3- **البيمارستان الأسفل**: وكان يُعرف بهذا الاسم تميزاً له عن البيمارستان الأعلى[5]، وقد بناه كافور الاخشيدي[*]، أثناء قيامه بتدبير الأمور أثناء وصايته على أبو القاسم

---

(1) ابن صاعد: المصدر السابق، ص81. كذلك ابن جلجل: المصدر السابق، ص15، الصفدي: المصدر السابق، 169/3.

(2) المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 405/1.

(3) مصطفى بدر: المرجع السابق، ص256-257.

(4) سيدة كاشف: **مصر في عصر الطولونيين والأخشيديين** (القاهرة، 1960) ص235.

(5) ابن دقماق: المصدر السابق، 99/1؛ كذلك سيدة كاشف: المرجع السابق، ص238.

(*) هو أبو المسك كافور بن عبدالله الإخشيدي، كان عبداً لبعض أهل مصر، ثم اشتراه أبو بكر مُحمد بن طغج الإخشيد سنة (312هـ/924م) وترقى عنده وعندما توفى الإخشيد تولى كافور مصر والشام أثناء وصايته على الأمير أبو القاسم أنجور، وقام بتدبير دولته أحسن تدبير إلى أن توفى سنة (357هـ/967م) = ابن خلكان: المصدر السابق، 99/5، 105؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق، 3/4، 12.

أنوجور[**] بن الأخشيد، في مدينة القاهرة، سنة (346هـ/ 957م)[1].

وقد حبس عليه أثناء إمارته على مصر جميع ما بناه من قيسارية[*] ودور وحوانيت[**]، وكان فيه من الأزيار الصيني الكبار والبراني والقدور النحاس والهواويين[***] والطشوت[****] وغيره، ما يساوي ثلاثة آلاف دينار، وقد نُقلت إليه من البيمارستان الأعلى الذي بناه أحمد بن طولون أضعاف ذلك، إلا أنه تدهور وخلى من الأدوية والأشربة[2].

عندما تولى السلطان صلاح الدين مصر أمر بفتحه لاستقبال المرضى، وخصص لنفقاته أوقافاً بلغ إيرادها عشرين ديناراً في اليوم، والتي حبسها عليه من ديوان الأحباس، وعين فيه طبيباً وعاملاً ومشرفاً وقد استفاد منه الناس والضعفاء منهم[3].

4- **بيمارستان السقطين**: وكان هذا البيمارستان في مدينة القاهرة بالسقطيين، وإن من ضمن الأطباء الذين عملوا به شهاب الدين أبو الحجاج يوسف الكحال الذي عمل فيه كطبيب كحالاً ومُعلِماً في ذات الوقت[4].

أما بالنسبة للمشافي في عصر الدولة العُبيدية (297-567هـ/910-1171م) "الفاطمية"[*****] فلم تزودنا المصادر التاريخية بأي معلومات عنها[1]، إلا أنهم اهتموا

---

(**) هو أنوجور بن الأخشيد مُحمد بن جُفّ، الفرغاني التركي، تولى مصر بعد وفاة أبيه في يوم الجمعة لثمان بقين من ذي الحجة سنة (334هـ/946م) ولاه الخليفة المطيع لله (334-336هـ/946-974م) على مصر والشام وعلى ما كان لأبيه = ابن تغري بردي: المصدر السابق، 3/334-336.

(1) ابن دقماق: المصدر السابق، 1/99؛ كذلك المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 2/405.

(*) وهي السوق المسقوفة، وأطلقت أيضاً على الخان، أو الوكالة، وتحتوي على غرف ومخازن للتجار، ويعلو ذلك طبقات للسكن بارتفاع دورين أو ثلاثة = مُحمد حمزة إسماعيل الحداد: **السلطان المنصور قلاوون** (تاريخ – أحوال مصر في عهده – منشآته المعمارية) مكتبة مدبولي (القاهرة، 1993) هامش رقم 54/4.

(**) مفردها حانوت وهو الدكان = جبران مسعود: **الرائد**، ص292.

(***) مفردها هاون وهي كلمة فارسية معربة يقصد بها المهراس = مُحمد التونجي: **المعجم الذهبي**، ص600.

(****) مفردها طشت وهي كلمة فارسية معربة وهو وعاء كبير للغسيل. القلقشندي: الصدر السابق، 10/4. كذلك مُحمد التونجي: **المعجم الذهبي**، ص398.

(2) ابن دقماق: المصدر السابق، 1/99.

(3) ابن جبير: المصدر السابق، ص27؛ كذلك المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 1/407.

(4) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص736.

(*****) نسب الأسرة الفاطمية كان ولا يزال موضوعاً لم يتفق عليه المؤرخون، لا في الماضي ولا في الحاضر، على رأي واحد فيه، فالراوية السنية تنفي النسب العلوي للأسرة، وتعزوهم إلى الفرس، وتُرجع نسبهم إلى ميمون القداح، وتصف عُبيد الله المهدي (297-322هـ/909-933م) باليهودي أحياناً أخرى، وأهل العلم والأنساب والمحققين ينكرون هذا النسب، وعلى هذا الأساس دعت هذه المصادر الدولة الفاطمية باسم "الدولة العُبيدية". وفي المقابل تؤكد مصادر أخرى، معظمها شيعية، صحة نسب الفاطميين وترجعهم إلى مُحمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، ومع ذلك فهذه الروايات يكتنفها الغموض ويشوبها الاختلاف، وبخاصة في تسلسل الأئمة. وهكذا طرحت هذه القضية عن أصل الفاطميين وأثارت جدلاً ولم تُحسم حتى الآن. ومن جانبي أرجح صحة الرأي الأول لعدة أسباب، وهي وإن كانت هذه الدولة فعلاً علوية النسب لكان الأجدر بها أن تقتدي بسنة رسول الله (ﷺ)، على العكس فقد قام خلفائها بالطعن في الصحابة، وقتل العلماء والفقهاء والأئمة، والمُحدِثين، ونشر البدع، والإمعان في إظهار الشعائر المخالفة للسُنة، وابتداع الأعياد البدعية، وتأويل القرآن الكريم، وغير

بالطب وأغذقوا على الأطباء الأموال وأجزلوا لهم العطاء، ورُوي أن الوزير يعقوب بن كلس(*)، أقام في قصره بيمارستان وعين فيه الأطباء لفحص المرضى ومعالجتهم، ووصف ما يلزمهم من الأدوية وذلك بالمجان(2).

فقد كان الأطباء في عصر الدولة الفاطمية مُكرَمين من قبل الخلفاء، ولكن ما جاء عن هذه الفترة من معلومات ليس بكثير، فبعد سقوط دولتهم بمصر سنة (567هـ/1171م) نشطت حركة العلوم في زمن الأيوبيين، وكان للأحداث باختلافها أثرها في قيام نهضة جامعة، ولاسيما في الجانب الطبي، فالانتصارات التي حققها صلاح الدين ومناصرته للعلم والأدباء وذوي الكفاءات حفزت الهِمم على النشاط، وبلغت العلوم الطبية مبلغاً رفيعاً، وكانت مجالسهم محافل للعلماء والحكماء، واشتهر العديد من الأطباء والصيادلة، وكثرت الكُتب الطبية وازدهرت المشافي(3) وكان أشهرها:

5- **البيمارستان الصلاحي (بالقاهرة)**: وهو الذي أنشأه صلاح الدين في التاسع من ذي القعدة سنة (577هـ/1176م)(4) وأطلق عليه البيمارستان الناصري أو الصلاحي، وعُرف بالبيمارستان العتيق(5). فعندما ملك السلطان صلاح الدين مصر، واستولى على القصر الفاطمي بالقاهرة(6) أمر أن يجعل به بيمارستاناً للمرضى(1) حيث كانت

---

ذلك مما يطول شرحه. للمزيد ينظر كل من ابن الأثير: **الكامل**، 446/6-455. كذلك ابن خلكان: المصدر السابق، 117/3-119. أبو القاسم أحمد بن مُحمد بن عذاري: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج.س.كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة (بيروت، 1983) 158/1-159. المقريزي: **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق جمال الدين الشيال، دار التحرير (القاهرة، 1967)، ص22-29. أبي بكر بن عبدالله بن أيبك الدواداري: **كنز الدرر وجامع الغرر الذرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية**، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1961) 4/6-11.

(1) حسن إبراهيم: **تاريخ الإسلام**، 392/3.

(*) هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلس، ولد ببغداد وسافر به أبوه إلى الشام، ثم أنفذه إلى مصر، فاتصل بكافور الأخشيدي فولاه ديوانه بالشام ومصر، وكان يهودياً وأسلم في أيامه سنة (356هـ/966م) ثم انتقل إلى المغرب فخدم المعز لدين الله الفاطمي سنة (363هـ/973م) ولقبه بالوزير الأجل، ثم خدم العزيز بالله سنة (365هـ/975م) وترقى عنده إلى أن تولى الوزارة وبقي في خدمته إلى أن توفى = أبي القاسم علي بن منجب بن سليمان الشهير بابن سليمان الصيرفي المصري: **الإشارة إلى من نال الوزارة**، عُني بتحقيقه والتعليق عليه عبدالله مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة، 1923) 19-22. كذلك ابن تغري بردي: المصدر السابق، 160/4-161. الزركلي: **الأعلام**، 202/8-203.

(2) اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة: **الآداب والفنون في العصر الفاطمي** (الطب)، موسوعة المعرفة، 1986/12-1987.

(3) سامي حمارنة: **الصناعة الطبية**، مجلة عالم الفكر، ص316-317.

(4) المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 407/1. كذلك ابن تغري بردي: المصدر السابق، هامش رقم 1، 106/4.

(5) القلقشندي: المصدر السابق، 369/3.

(6) المصدر نفسه، 369/3.

به قاعة بناها العزيز بالله (366-386هـ/976-996م) في سنة (384هـ/994م) فجعلها السلطان صلاح الدين بيمارستاناً[2] وجعل بابه من حارة ملوخيا وموضعه الآن (عصر المؤلف) الدار المعروفة بدار غمري الحصري مع ما جاورها من الدور، وقيل أن القرآن مكتوب على جدرانها[3] لوجود طلسماً[*] بها، هذا السبب جعل صلاح الدين أن يتخذه بيمارستان[4]. وأرى أنه لا يمكن أن تكون شخصية مثل صلاح الدين معروفة بالتقوى والورع والصلاح أن يؤمن بهذه الأفكار، وإنما سبب اختياره لهذه القاعة يمكن أن يكون لاتساعها وضخامتها.

وقد بلغت نفقات هذا البيمارستان من الرباع[**] الديوانية بلغت مائتي دينار علاوة على غلات من الفيوم، وعين فيه الأطباء من مختلف التخصصات، من طبائعيين وجراحين وغيرهم، ومشرفاً وعاملاً وخدم، ووجد الناس فيه النفع والراحة[5].

أما بخصوص **أقسام ونظام هذا البيمارستان**، فقد وصفه ابن جُبير وصفاً في غاية الدقة والروعة، فذكر أنه من مفاخر هذا السلطان (يعني صلاح الدين) البيمارستان الذي بمدينة القاهرة، وأنه من أروع القصور حُسناً واتساعاً، ويحتوي على عدة أقسام، منها قسم للنساء، يوجد فيه من يقوم بخدمتهن وقسم للأمراض العقلية، يحتوي على مقاصير عليها شبابيك من حديد اُتخِذت مجالس للمرضى العقليين، وكان هناك من يتفقد أحوالهم بالبحث والسؤال والاعتناء بهم، غاية الاهتمام، كما أن السلطان صلاح الدين يسأل عنهم ويؤكد على الاهتمام بهم، كما أنه يحتوي على صيدلية بها الأدوية والعقاقير، وعليها مسئول، وغرف للمرضى بها أسرة مجهزة ومفروشة بكامل ما تحتاج إليه، وبين يدي مسئول الصيدلية خدم يتكفلون بخدمة المرضى صباحاً ومساءً، ويقدمون لهم الأدوية والأشربة،

---

(1) المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 407/1. ابن تغري بردي: المصدر السابق، 51/6.

(2) القلقشندي: المصدر السابق، 369/3. كذلك المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 407/1،

(3) القلقشندي: المصدر السابق، 369/3. كذلك المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 407/1.

(*) الطّلسمُ والطلسم خطوط وإعداد يزعم كاتبها إنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب أو لدفع أذى والشائع على الألسنة طلّسَم = أنيس إبراهيم وآخر: **المعجم الوسيط**، ص162؛ كذلك مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، ص393.

(4) القلقشندي: المصدر السابق، 369/3. كذلك المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 407/1.

(**) هي عدة مساكن علوية تحتها دكاكين ووكائل للتجارة، ولكل ربع باب يتصل مباشرة بسلم داخل وجهة البناء المشرفة على الطريق العام، وبواسطته يصعد السكان إلى مساكن الربع المخصصة لسكن العامة بالأجرة الشهرية = حياة الحجي: المرجع السابق، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 32/26. كذلك مُحمد الحداد: المرجع السابق، هامش 70/2.

(5) المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 407/1. كذلك نعمان الطيب سليمان: **منهج صلاح الدين الأيوبي في الحكم والقيادة**، مطبعة الحسين الإسلامية (القاهرة، 1991) ص431.

كلاً حسب حالته(1)، وقد استحدث به ديوان عُرف بديوان البيمارستان، يقوم بكل ما يتحدث به ناظر البيمارستان(2).

واندثر هذا البيمارستان وأصبح مكانه مجموعة من المنازل التي اتخذت من الشمال بشارع قصر الشوك(*)، ومن الشرق بكامله شارع قصر الشوك ودرب القزازين، ومن الجنوب عطفة القزازين ويتوسطها اليوم (فترة عصر المؤلف) درب علي الدين من الشرق إلى الغرب. والوصول إلى هذا الموقع من خلف دورة مياه جامع سيدنا الحسين من الجهة البحرية إلى عطفة القزازين لقسم الجمالية(3)، وقصر الشوك هو أحد أبواب القصر الكبير الشرقي(**) الذي كان يسمى باب قصر الشوك ويدخل منه إلى هذا البيمارستان(4).

أما فيما يخص بعض الأطباء الذين عملوا به فمنهم:

**أ- رضي الدين الراحبي**(***):

**ب- إبراهيم بن الرئيس ميمون:** هو أبو المُنى إبراهيم بن الرئيس موسى بن ميمون، نشأ بمدينة الفسطاط (القاهرة) كان من أشهر الأطباء، عمل في البيمارستان الصلاحي بالقاهرة، كما خدم الملك الكامل مُحمد بن أبو بكر بن أيوب، وتوفى بالقاهرة، نيف وثلاثين وستمائة(5).

**ج- موفق الدين أبو العباس أحمد بن أبي أصيبعة**(****):

**د- السديد بن أبو البيان:** سديد الدين أبو الفضل داود بن أبي البيان سليمان، ولد سنة (656هـ/1258م) بالقاهرة، كان طبيباً ماهراً يُتقن الطب نظرياً وعملياً، خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة، وكانت عنده قدرة في الاستدلال على الأمراض وتمييزه، وعمل

---

(1) ابن جُبير: المصدر السابق، ص26. كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص78-79، أحمد عبدالرازق: **الحضارة الإسلامية**، ص167

(2) القلقشندي: المصدر السابق، 34/4.

(*) يتصل هذا الشارع بشارع درب القزاز وطوله مائة وتسعون متراً، وبه حارات وعطف ودروب = علي باشا: المرجع السابق، 75/2.

(3) فؤاد فرج: **القاهرة**، دار المعارف (القاهرة، 1946) ص447.

(**) القصر الكبير الشرقي: بناه جوهر الصقلي قائد الفاطميين سنة (360هـ/970م) = أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، هامش رقم 83/3.

(4) علي باشا: المرجع السابق، 81/2. كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص79.

(***) ينظر ص 112 من هذا البحث.

(5) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص583.

(****) ينظر ص115 من هذا البحث.

بالبيمارستان الناصري لعلاج المرضى، كما خدم الملك العادل أبا بكر بن أيوب، وعاش فوق الثمانين سنة، وله العديد من المؤلفات منها كتاب "الإقراباذين" وقد اقتصر في تأليفه على الأدوية المركبة المتداول استعمالها في الصيدليات ومشافي مصر والشام والعراق[1].

هـ- **نفيس الدين بن الزبير**: هو القاضي الحكيم، نفيس الدين أبو القاسم هبة الله بن صدقة بن عبدالله الكولمي، أصله من الهند، ولد سنة (555هـ/1160م) وقيل سنة (556هـ/1161م) وكان من أصدق الأطباء ويتميز في طب العيون والجراحة، ولكنه بطب العيون أشهر، وتوفى بالقاهرة، سنة (636هـ/ 1238م)[2].

و- **علاء الدين بن النفيس**: هو علاء الدين بن أبي الحَزْم القُرشي الدمشقي الشافعي المعروف بابن النفيس، شيخ الأطباء بمصر، لم يكن في عصره من يضاهيه في الطب والعلاج والعلم، درس الطب على شيخه مهذب الدين الداخوار حتى برع فيه، وتولى رئاسة الطب في زمانه، وله العديد من المصنفات في الطب، مثل "الموجز في الطب"، و"الشامل في الطب"، وغيرها من المصنفات، وصنف أيضاً في الفقه وأصوله، وأما في الطب فقيل عنه: "ولا جاء بعد ابن سينا في الطب مثله"، وقالوا: "وكان في العلاج أعظم من ابن سينا". وتوفى في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة (687هـ/1288م) عن نحو ثمانين سنة، وكان قبل ذلك قد أوقف كُتبه وأملاكه على البيمارستان[*] المنصوري[3].

---

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص584. كذلك الصفدي: المصدر السابق، 292/13، عبدالرحمان زكي: **الأطباء في العصر الفاطمي**، مجلة منبر الإسلام، ص236.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص586.

(*) للمزيد على هذا البيمارستان ينظر كلاً من:

أ- المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 406/2-408.

ب- حياة الحجي: المرجع السابق، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ص7-35.

ج- مُحمد الحداد: المرجع السابق، ص121.

(3) تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن علي الكافي السُبكي: **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود مُحمد الطناحي وعبدالفتاح مُحمد الحلو، دار إحياء الكُتب العربية (القاهرة، د.ت) 306/5. كذلك ابن كثير: المصدر السابق، 615/17. ابن تغري بردي: المصدر السابق، 318/7. السيوطي: **حسن المحاضرة**، 444/1. ابن العماد: المصدر السابق، 701/7-702. أبو شويرب، عبدالكريم: **ابن النفيس** (مقالة وردت ضمن أبحاث الندوة الطبية العالمية عن الطفل في الطب العربي) المنعقدة بمدينة طرابلس من 5 إلى 20 مارس (طرابلس، 1982) مطابع الثورة العربية، ص469-470. أحمد عيسى: **معجم الأطباء ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء** لابن أبي أصيبعة، دار الرائد العربية (بيروت، 1982) ص293. أما في رسالة الأعضاء لابن النفيس فقد ورد اسمه على أنه علاء الدين بن أبي الحرم وليس الحزم. ينظر = ابن النفيس: **رسالة الأعضاء**، دراسة وتحقيق يوسف زيدان، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة، 1991) ص16.

واشتغل في بداية أمره كحالاً، ولكنه لم يقتصر بعد ذلك على الكحالة ومداواة العيون، بل درس التخصُصات الطبية آنذاك. وكانت بداية ممارسته الطب بشكل عام في دمشق، وتحديداً في مُستشفاها الكبير (البيمارستان النوري) ثم بعد ذلك جاء إلى القاهرة واشتغل بالطب في أكبر مشافيها ذلك الوقت، وهو البيمارستان الناصري، وعمل بالقاهرة كطبيب وفقيه ومُحدِّث ومنطقي ونحوي، وفي الطب ترقى حتى صار أنداك (رئيس أطباء مصر والشام)[1].

6- **البيمارستان الصلاحي (بالإسكندرية)**: وهذا البيمارستان أنشأه السلطان صلاح الدين الأيوبي عندما دخل الإسكندرية سنة (577هـ/1181م) وقام فيهما بالعديد من المنشآت منها هذا البيمارستان[2] ورتب فيه الأطباء لمعالجة المرضى وتفقد أحوالهم، وخدماً يتولون رعايتهم وتقديم الأغذية والأدوية المناسبة وتوفير الراحة لهم[3].

ولم تقتصر رعاية صلاح الدين على العناية بالمرضى داخل المشافي وتوفيرها وإنشائها لهم. بل شملت أيضاً رعايتهم في منازلهم وعلاجهم، حيث كان يرسل لهم الأطباء لمعالجتهم في منازلهم والذين يترفعون عن الذهاب إلى المشافي للعلاج خاصة العرب منهم، كما وفر المدارس والمساكن لمن يريد تعلم الطب أو غيره ممن يأتون من المناطق البعيدة[4].

(1) ابن النفيس: رسالة الأعضاء، ص21.
(2) أحمد عيسى: المرجع السابق، ص82.
(3) ابن جبير: المصدر السابق، ص15. كذلك نعمان سليمان: المرجع السابق، ص432.
(4) المصدر السابق، ص15-16.

# المبحث الثالث

# مشافي بلاد الشام

لم يرد ذكر للمشافي في عصر الدولة الأموية منذ أن كان بيمارستان الوليد بدمشق، إلا أن ورث العباسيون سدة الحكم في الدولة الإسلامية حيث بات واضحاً اهتمامهم بتشييد المزيد منها في بلد الشام على أيدي بعض السلاطين والأمراء وغيرهم، أما الخلفاء العباسيون فكان تركيزهم في بناء المشافي منصب على العراق وخاصة من قبل خلفائها الأوائل، أما باقي المدن الإسلامية فكان من قبل حكامهم وخاصة عند قيام الدويلات في عهد الدولة العباسية.

وكان من الطبيعي ألا تلقى مدينة كدمشق ذلك الوقت من الاهتمام والعناية كما كانت تلقاه العواصم الجديدة كبغداد، وكان لابد أن تتأثر بموجة الغضب على حكامها الأمويين زمناً طويلاً، وبعد ضعف السيادة العباسية وأخذت الأقاليم البعيدة في الاستقلال عنها، وقامت في مصر على التوالي الدولة الطولونية (254-292ه/868-905م) ثم الأخشيدية (323-358ه/935-969م) ثم الفاطمية. خضعت دمشق لتلك الدول وتلقت عن طريقها التأثير العباسي، ولم تُعمر الدولة الأولى والثانية طويلاً، فلم يكن لهما تأثير قوي في مصر والشام، أما الدولة الفاطمية فكان تأثيرها قوياً في مصر في مدينة القاهرة في الجانب الحضاري لتنافس بغداد. أما بالنسبة لدمشق فلم يكن للفاطميين أثر في الجانب الحضاري، لأن أهل دمشق لاختلاف المذهب بين الطبقة الحاكمة وأهل دمشق لم يرحبوا به وقاوموه[1].

وبعد زوال الحكم الفاطمي حكم دمشق أمراء أتراك من السلاجقة، وكان من الطبيعي أن يُحدث هؤلاء تجديداً في المدينة على النواحي الحضارية وغيرها[2]، وقد ورثت دمشق مجد بغداد الطبي، وازدهر فيها العلم خصوصاً أيام حكامها الأيوبيين الذين كان لهم اهتماماً كبيراً بالعلم عامة والطب خاصة، وجعلوا منها مركزاً مهماً لمختلف العلوم، وكونوا فيها نهضة تُعد الثانية في حضارة العرب، وظلت رغم ما سادها من

---

(1) عبدالقادر ريحاوي: **تاريخ الفن والعمارة في دمشق**، مجلة المعرفة، العدد الحادي والثلاثون، السنة الثالثة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي (دمشق، 1964) ص100-101.

(2) المرجع نفسه، ص101.

اضطراب مكاناً لحفظ العلم والعلماء ببلاد المشرق[1].

- **بيمارستان أنطاكية**: وهو الذي بناه المختار بن الحسن بن بطلان[*]، وكان أثناء ذلك يقوم بتصنيف إحدى مقالته وباشر ببناء البيمارستان بأنطاكية سنة (455هـ/1062م)[2]، ويوجد بالمدينة العديد من الكنائس وكان بطريق أحد هذه الكنائس يُشرف على المرضى بنفسه[3].

أما في عصر الدولة الزنكية فكان أشهر المشافي هي:

- **البيمارستان النوري الكبير**: عُرف عن السلطان نور الدين قيامه بأعمال الخير والإحسان وقد أطنبت المصادر في ذكر ذلك. فقد كان له اهتماماً ببناء المدارس والربط وغيرها، وأوقف عليها الأوقاف[4]، كما كان له اهتماماً بمساعدة الأيتام بالصدقات، وتعهد ذوي الحاجة والمتعففين[5].

وبنى العديد من البيمارستانات في البلاد[6]، كان أشهرها البيمارستان النوري الذي بناه بدمشق سنة (549ه/1154م)، وأوقف عليه أوقافاً كثيرة جداً[7]، على المرضى والمرضى العقليين، والعميان، وعين فيه الأطباء لمُعالجتهم[8]، ولم يعجله وقفاً على الفقراء فحسب، بل على كافة المُسلمين أغنياء وفقراء[9].

وكان سبب بنائه أنه وقع في أسره أحد ملوك الفرنجة، فطلب إطلاق سراحه مقابل

---

(1) بول غليونجي: المرجع السابق، ص79.

(*) هو أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان، طبيب نصراني من أهل بغداد، خرج من بغداد إلى الجزيرة والموصل وديار بكر، ودخل حلب وأقام بها مدة ثم خرج إلى مصر ومنها إلى أنطاكية وتوفى سنة (444هـ/1052م) وقد ترك العديد من المؤلفات منها تقويم الصحة في قوى الأغذية ودفع مضارها، وكتاب دعوة الأطباء وغيرها من المؤلفات = القفطي: المصدر السابق، ص 192، 195. كذلك ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص325، 328.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص328. كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص204.

(3) القفطي: المصدر السابق، ص194.

(4) ابن العماد: المصدر السابق، 378/6.

(5) أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، دراسة وتحقيق محب الدين أبو سعيد وعمر بن غرامة العمروي، دار الفكر (دمشق، 1997) 121/57.

(6) ابن عساكر: المصدر السابق، 121/57؛ كذلك ابن الأثير: **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**، تحقيق عبدالقادر أحمد طليمات، دار الكُتب الحديثة (د.م، د.ت) ص170؛ شهاب الدين عبد الرحمان بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة: **عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، حققه أحمد البيومي،منشورات وزارة الثقافة (دمشق، 1991) 369/1؛ ابن العماد: المصدر السابق، 378/6.

(7) أبي شامة: المصدر السابق، 369/1؛ كذلك صلاح الدين المنجد: **المشرق في نظر المغاربة الأندلسيين**، دار الكتاب الجديد (بيروت، 1963) ص36.

(8) ابن العماد: المصدر السابق، 380/6؛ كذلك ابن عساكر: المصدر السابق، 121/57.

(9) ابن الأثير: **التاريخ الباهر**، ص170.

مبلغٍ كبيرٍ، فشاور نور الدين في ذلك الأمراء، فأشاروا عليه بإبقائه في الأسر، خوفاً من شره، فلم يأخذ برأيهم، فطلب نور الدين منه إحضار الفدية، فأحضر له ثلاثمائة ألف دينار، فأطلقه، فلما وصل إلى بلده مات، فبني بجزء منه البيمارستان[1]، وبعد أن فرغ من بنائه، جعل أبو المجد بن أبي الحكم رئيساً للأطباء وجعل له راتباً وجراية[*][2].

**أما فيما يخص أقسام هذا البيمارستان،** فإن أبي أصيبعة أورد معلومات فذكر أنه قد احتوى على أقسام تخصصت في علاج المحمومين والمرضى العقليين والأمراض الباطنة[3].

لقد كان نظام العمل في هذا البيمارستان غاية في الدقة حيث كان الطبيب رضي الدين الرحبي يجلس على دكة خاصة ويكتب لمن يأتي إلى البيمارستان من المرضى للعلاج، وصفات طبية ليأخذ بها الأدوية من صيدلية البيمارستان التي يصفها له[4].

وكان الطبيب أبو المجد يتردد على المرضى المُقيمين ويتفقد أحوالهم، ويُعالج المرضى، وبين يديه القائمون على خدمة المرضى، وكان كل ما يكتبه للمريض لا يتأخر عنه ولا يتوانى، وبعد فراغه وذهابه للقلعة ومعالجته للمرضى وتفقدهم، يعود إلى البيمارستان ويجلس بالإيوان[**] الكبير بالبيمارستان، وكان مفروشاً، ويحضر كُتب الاشتغال، ويأتي إليه جماعة من الأطباء والطلبة وتجري بينهم مباحث طبية، ويُدرس الطلبة ويبقى معهم على هذا الحال لمدة ثلاثة ساعات، ثم بعد فراغه يذهب إلى منزله[5]. كذلك يروي لنا ابن أبي أصيبعة، نظام عمله بالبيمارستان فعندما يفرغ الأطباء مهذب الدين والحكيم عمران من معالجة المرضى المقيمين بالبيمارستان، يجلس مع رضي الدين فيعاين معه كيفية استدلاله على الأمراض، وما يصفه للمرضى وما يكُتب لهم، ويبحث معه في كثير من الأمراض ومداواتها[6]، كما أوقف نور الدين جملة من الكُتب الطبية، ووضعها في

---

(1) ابن العماد: المصدر السابق، 380/6.

(*) مما هو جار على العلماء وأهل الصلاح من الأغذية والكسوة ونحو ذلك من الرواتب والأراضي وما يجري مجراها مما يتوارثه الخلف عن السلف = القلقشندي: المصدر السابق، 51/4.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص628.

(3) المصدر نفسه، ص732.

(4) المصدر نفسه، ص732.

(**) الإيوان مجلس كبير على هيئة صُفَّة واسعة، له سقف محمول من الأمام على عقد، يجلس فيه كبار القوم = مجمع اللغة العربية، **المعجم الوجيز**، ص32.

(5) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص628.

(6) المصدر نفسه، ص732.

الخرستانين في صدر الإيوان[1]. وكان العلاج فيه مجاناً للفقراء وإذا اضطر الأغنياء إلى أخذ من أدويته يُسمح لهم بذلك، فكان الدواء فيه لكل مريض يقصده[2].

زار الرحالة ابن جُبير البيمارستان سنة (580هـ/1184م) فوصف كبر مساحته ومقدار الإنفاق اليومي عليه وأسلوب عمل القائمين عليه وبه خدم بين أيديهم السجلات التي تحتوي على أسماء المرضى واحتياجهم من الأغذية والأدوية، وغيرها مما يحتاجون إليه، والأطباء يبكرون إليه كل يوم، ويتفقدون أحوال المرضى، ويأمرون لهم بما يحتاجون إليه من الأدوية والأغذية، كلا حسب حالته، كما وصف قسم الأمراض العقلية وعلاجهم[3].

ويذكر أحد المؤرخين أن رجلاً أعجمياً من أهل الفضل والذوق واللطافة، كان قاصداً الحج، ودخل مدينة دمشق سنة (831هـ/1427م) ودخل البيمارستان النوري، ونظر إلى ما فيه من العناية بالمرضى وأنواع الأطعمة من دجاج وحلوى وأشربة وفواكه متنوعة، فتضاعف وتمارض، فكان رئيس الأطباء يتردد عليه ليختبر ضعفه فلما جس نبضه، وعلم حاله، وصف له من الأطعمة ما يناسبه من دجاج وحلوى وأشربة وفواكه بأنواعها، ثم بعد ثلاثة أيام كُتب له ورقة كان من معناها إن الضيف لا يقيم فوق ثلاثة أيام، فعرف إنهم فطنوا لقصده، فكان ذلك في منتهى الحذاقة والظرافة[4].

وقد تعرض هذا البيمارستان إلى زلزال في شهر شعبان من سنة (597هـ/1200م) والذي امتد إلى دمشق من مصر[5]. وعندما تولى مُلك دمشق الملك الجواد مظفر الدين سنة (635هـ/1237م) عين الطبيب بدر الدين بن قاضي بعلبك رئيساً على جميع الأطباء والكحالين، وقد اشترى دوراً كثيرة ملاصقة للبيمارستان، وأضافها إليه، وكبر به قاعات كانت صغيرة، وبناها أحسن البناء، وجعل الماء فيه جارياً فاكتمل بها البيمارستان[6].

وأيضاً ممن تولى أمر البيمارستان النوري يوسف بن أحمد بن ناصر الباعوني (ت: 980هـ/1572م) فضبط تركه ودخله ومصروفاته، واشترى أماكن وأضافها إلى

---

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص628.
(2) مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص148. كذلك عبدالغني السروجي: المرجع السابق، ص35.
(3) ابن جُبير: المصدر السابق، ص255-256.
(4) أحمد عيسى: **تاريخ البيمتارستانات**، ص210-211. كذلك مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص148-149، صلاح الدين المنجد: **مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحّالين المُسلمين**، دار الكتاب الجديد (بيروت، 1967) ص291-292.
(5) ابن تغري بردي: المصدر السابق، 157/6؛ كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستان**، 210.
(6) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص751. كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص211.

البيمارستان[1].

وأصبح نظر البيمارستان من أهم الوظائف، فكان من الوظائف الديوانية الكبيرة بدمشق، وقد صادر نائب السلطان هو الذي يتولى تفويض التحدث فيه إلى من يراه مناسب من أرباب الأقلام[2]. وفي سنة (749هـ/1348م) قام القاضي شمس الدين البهنسي الذي كان ناظراً للبيمارستان وتمكن من تكميل القاعة الشمالية القريبة من البيمارستان النوري، فجاءت في غاية الحسن والسعة[3]. وأيضاً ممن تولى تعمير هذا البيمارستان حسن بابا بن عبدالله الأمين المعروف بشوريزه حسن (ت: 1027هـ/1709م)، أحد أعيان مدينة دمشق الذي تولى وقف البيمارستان ونهض به بعد أن تدهور، وأظهره بأحسن حال[4].

وظل البيمارستان النوري عامراً يُعالج فيه المرضى إلى سنة (1317هـ/ 1899م)[5] وكان الأطباء والصيادلة به لا يقلون عن العشرين، حتى قامت بلدية دمشق بإنشاء مُستشفى الغرباء في الجانب الغربي من التكية السليمانية المطلة على المرج الأخضر، وجُمعت له الإعانات وأخذوا مبلغ من واردات دمشق وأوقاف البيمارستان النوري للإنفاق عليه، وسُمي المُستشفى الجديد فيما بعد بالمُستشفى الوطني، وأقيمت مدرسة الطب بجانبه[6]. وبذلك خلف هذا المُستشفى البيمارستان النوري، وقد جُعل مدرسة للبنات، ومازالت واجهته وبها بعض الحجرات والنوافذ في البناء القديم، ومع مرور الزمن تغيرت معالمه[7]، وقد تطور إلى عدة مرافق أخرى، وكان من أشهر المدارس الطبية الإسلامية، ورُمم في عصر المماليك[*] من قبل السلاطين: الظاهر بيبرس[**] وقلاوون[***]، وابنه الناصر مُحمد[*] في أواخر القرن السابع الهجري/الثالث

---

(1) مُحمد أحمد دهمان: على هامش **تاريخ البيمارستانات في الإسلام تحقيقات واستدراكات**، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد الثامن عشر، الجزئين الأول والثاني، مطبعة الترقي (دمشق، 1943) ص69.

(2) القلقشندي: المصدر السابق، 184/4.

(3) تقي الدين أبي بكر أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الدمشقي: **تاريخ بن قاضي شهبة**، حققه عرفان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية (دمشق، 1994) 542/2.

(4) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص212.

(5) مُحمد كرد علي: **خطط الشام**، دار القلم (بيروت، 1971) 159/5.

(6) المرجع نفسه، 159/5؛ كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص213.

(7) المرجع نفسه، 159/5؛ كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص213.

(*) المماليك: هم عبيد من الأتراك والجراكسة وغيرهم ابتاعهم وامتلكهم سلاطين مصر ليجعلوهم في عداد جنودهم، خرج منهم رجال قبضوا على ناصية الحكم وألفوا سلالتي البحريين والبرجيين = المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 236/2-244. كذلك لويس اليسوعي: **المنجد**، القسم الثاني، 512/2.

(**) هو بيبرس بن عبدالله، الملقب بالملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح الصالحي، ولد سنة (625هـ/1227م) ملك الشام وضبط الأمور وساس الملك أتم سياسة وباشر الحروب بنفسه، وأمن الناس في أيامه، توفى يوم الخميس السابع والعشرين من شهر مُحرم سنة (676هـ/1277م) = بيبرس المنصوري:

عشر الميلادي[1].

ومع بداية هذا القرن (عصر المؤلف، وهو القرن الماضي) تعددت مهام البيمارستان لغير المهام التي أنشأ من أجلها، فتحول إلى مدرسة طبية أيام الفرنسيين، وأصبح بعد ذلك مقراً لمتحف الطب والعلوم عند العرب[2]. ومن واقع ما شاهده فرج الهوني يُقدم لنا وصفاً لهذا البيمارستان.

مدخل هذا البيمارستان من الجهة الغربية، له باب ذو مصرعين من الخشب مصفحان بالنحاس، ومزخرفان بالمسامير النحاسية، في توزيع هندسي بديع، وتعلو تلك البوابة زخارف جصية[**] صممت حسب الفن السلجوقي، ويلي الباب غرفة مربعة تقوم مقام الدهليز، مزودة بإيوانيين صغيرين، شمالي وجنوبي، مسقوفين بعقد مزين بزخارف ذات أقواس، ومقرنصات[***] جصية تشابه زخارف بوابة البيمارستان، تفتح الغرفة من الجهة الجنوبية على صحن البيمارستان المستطيل الشكل وتتوسطه بركة ماء، ويحيط بالصحن أربعة أواوين تفتح على جانبي كل إيوان غرفتان، والغرف مسقوفة بالعقود المتقاطعة، وكان الإيوان المواجه للصحن تماماً يستعمل للموسيقى التي كان يستعملها المُسلمون في علاج الأمراض (حسب زعمهم)، ويستعمل أيضاً كقاعة للتدريس[3].

---

**مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية** حتى سنة 702ه، حققه وقدم له ووضع فهارسه عبد الحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة، 1993) ص12-13؛ كذلك الكتبي: المصدر السابق، 234/1، 240.

(***) هو السلطان المنصور أبو المعالي أبو بكر بن مُحمد الصالحي النجمي، أُشترى بألف دينار، ولهذا كان يقال له "الألفي" كان ملكاً عظيماً مهيباً لا يحب سفك الدماء، توفى سنة (742هـ/1341م) = الذهبي: **سير أعلام النبلاء** وبهامشه إحكام الرجال، 224/17-225. المقريزي: **المواعظ والأعيان**، 238/2-239؛ ابن قاضي شهبة: المصدر السابق، 254/2-255.

(*) هو مُحمد بن قلاوون الملقب بالملك الناصر ولد سنة (684هـ/1248م) كان ملكاً عظيماً دانت له البلاد، توفى سنة (741هـ/1340م) = النويري: **كتاب الإلمام بالإعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**، تحقيق عزيز سوريال عطية، دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد الدكن، 1970) 144/4، 155. الكتبي: المصدر السابق، 35/4، المقريزي: **المواعظ والاعتبار**، 239/2.

(1) فرج مُحمد الهوني: **تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية**، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع (مصراته، 1986) ص227.

(2) المرجع نفسه، ص227.

(**) الجِصُّ وَالْجَصُّ الذي يُطلى به الحائط من الجير = ابن منظور: **لسان العرب**، ص630؛ كذلك محمد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، 108/3؛ مجمع اللغة العربية: **المعجم الوجيز**، ص107.

(***) المقرنصات أو الدلايات هي حليات معمارية تشبه خلايا النحل، وتستعمل كوسيلة إنشائية للتدرج من شكل إلى آخر ولاسيما من السطح المربع إلى سطح دائري تقوم عليه القباب، كما تستعمل أيضاً كحليات زخرفية تشاهد في الواجهات = عبد الناصر ياسين: **الفنون الزخرفية بمصر في العصر الأيوبي**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر (الإسكندرية، 2002) ص400.

(3) فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص227-228

كما خُصِصت قاعتان للطب، إحداهما للصيدلة، وتحتوي على مجموعة من الأعشاب الطبية موضوعة في زجاجات، كُتب عليه أسماء النباتات وتوجد بها أيضاً الأدوات المستعملة للتقطير والقوارير والزجاجات والموازين، التي كانت تستعمل لوزن المقادير من الأعشاب التي تستعمل في الأدوية المركبة[1]، أما القاعة الثالثة، فقد خُصِصت للآلات وأدوات الطب، والجراحة المُستعملة في العصور الإسلامية المتتالية، كما توجد في القاعات أيضاً الأدوات المستعملة في الطب الروحاني، ومنها ثوب كُتبت عليه آيات وتعاويذ، كان يُلبس للمصابين بالأمراض العقلية قبل تطور العلاج النفسي، وأيضاً بعض الأواني المستعملة للبخورات. وتوجد أيضاً آلات أخرى تستعمل لأغراض طبية مختلفة، وتوجد خزانة بها الأدوات المستعملة في طب الأسنان، وأخرى للكحالة. كما أُعدت إحدى القاعات للأجهزة والمُعِدات العلمية المختلفة التي اُستعملت في فروع العلم الأخرى في العصور الإسلامية[2].

وقام أيضاً أحمد عبدالرازق بتقديم وصف مختصر لهذا البيمارستان حيث ذكر بأن هذا البيمارستان موجود حتى الآن في جهة الجنوب من سوق الحميدية، ومحتفظاً بالعديد من عناصره المعمارية الرائعة، مثل مدخله الذي يقابل سقيفة من المُقرنصات البديعة، وأيضاً قُبته[*] الفريدة بطرازها المعماري والمليئة بمقرنصاتها من الداخل والخارج، وأواوينه التي جُملت جدرانها بالرخام، ونوافذه ذات الزخارف الجصية والموزعة بأشكال هندسية[3].

والجدير بالذكر أن سائر المباني في سوريا، كانت الطريقة الوحيدة لسقف الغرف والأواوين كانت العقود أو الأقباء، كما استعملت المقرنصات لأول مرة كعنصر معماري وزخرفي، بينما كانت الأساليب المعروفة قبل ذلك تعتمد على استعمال المثلثات الكروية Pehdentif أو الحنايا الركنية Tromp[4].

ويجب الإشارة إلى أن دمشق عرفت خلال القرنين السادس والسابع الهجري/الثاني عشر والثالث عشر الميلادي الاستقرار السياسي والظروف الاقتصادية

---

(1) المرجع نفسه، ص228.

(2) فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص228.

(*) القُبة بناء سقفه مستدير القعر معقود بالحجارة على هيئة الخيمة جمعها قباب وقُبب = محمد وجدي: **داشرة معارف القرن العشرين**، 603/9.

(3) أحمد عبدالرازق: **الحضارة الإسلامية**، ص167.

(4) عبدالقادر ريحاوي: المرجع السابق، مجلة المعرفة، ص101.

المناسبة، وظهور العديد من المؤسسات وكثرة الأوقاف التي تدعمها، ووجود عدد من المشافي شجع مشاهير الأطباء على القدوم إلى المدينة، كما ساعد أيضاً على تكوين جيل من الأطباء قادرين على القيام بواجباتهم، خاصة أن مدينة دمشق أصبحت ذلك الوقت تزداد في الاتساع[1].

ومن أشهر الأطباء الذين عملوا به:

1- **أفضل الدولة أبو المجد**: هو مُحمد بن عبدالله بن المظفر الباهلي، من أشهر الأطباء بدمشق، تعلم الطب من والده وغيره، وكان يمارسه علماً وعملاً[2] وكان طبيب نورالدين وولاه رئاسة الأطباء بالبيمارستان النوري بعد إنشاءه، كما أنه تولي تدريس الطب فيه وتوفى سنة (570هـ/1174م) وقيل قبلها[3].

2- **مهذب الدين بن النقاش**: هو أبو الحسن علي بن أبي عبدالله عيسى بن هبة الله النقاش، ولد ونشأ ببغداد، وكان عالماً باللغة العربية والأدب، ثم سافر إلى دمشق، ومارس بها الطب، وكان له مجلساً للطب، وخدم به السلطان نورالدين زنكي، وعمل أيضاً ببيمارستانه، كما خدم السلطان صلاح الدين الأيوبي عندما ملك دمشق، وحظي عنده، وتوفى بدمشق في شهر مُحرم سنة (574هـ/1178م)[4].

3- **موفق الدين بن المطران**: هو الحكيم موفق الدين أبو نصر أسعد بن أبي الفتح إلياس بن جرجس المطران، ماهراً بالطب نظرياً وعملياً، ولد ونشأ بدمشق وكان والده أيضاً طبيباً، وخدم السلطان صلاح الدين أيام دولته، وأسلم على يده، وكان رفيع المنزلة عنده، مُكرماً له، وكان ممن عمل في البيمارستان النوري لمعالجة المرضى وتدريس الطب، وكان يهب لتلاميذه الهدايا من الكُتب عندما يقوم أحدهم بمعالجة المرضى ويُحسن إليهم، وله العديد من المؤلفات مثل "كتاب بستان الأطباء وروضة الألباء"، "وكتاب آداب طب الملوك"، و"كتاب الأدوية المفردة" وغيرها من الكُتب التي قام بتأليفها، وتوفى في شهر ربيع الأول من سنة (587هـ/1191م) بدمشق[5].

4- **ابن حمدان الجرائحي**: وهو أبو الفضل مُحمد بن عبدالكريم بن عبدالرحمان

---

(1) عماد الدين غانم: **المدرسة الطبية الدمشقية إحدى المظاهر السياسة الثقافية خلال الفترة الزنكية الأيوبية**، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة السابعة (طرابلس، 1985) ص154.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص628.

(3) المصدر نفسه، ص628؛ كذلك الصفدي: المصدر السابق، 266/3.

(4) المصدر نفسه، ص635-637.

(5) المصدر نفسه، ص651، 659؛ كذلك الصفدي: المصدر السابق، 26/9.

الحارثي، ولد ونشأ بدمشق، وكان يُعرف بالمهندس لشهرته ومعرفته بها، قبل تعلمه الطب، وكانت أكثر أبواب البيمارستان النوري من صنعه، وظل يعمل فيه حتى وفاته، وله العديد من المؤلفات، منها كتاب في الحروب والسياسة، وكتاب في الأدوية المُفردة على ترتيب الحروف الأبجدية(1).

5- **موفق الدين عبدالعزيز**: هو الشيخ العالم موفق الدين عبدالعزيز بن عبدالجبار بن أبو مُحمد السلمي، كان مُحِباً للخير مُهتماً بأمر المرضى، وخاصة لمن كان منهم ضعيف الحال، يتفقد حالهم ويُعالِجهم، ويبعث إليهم ما يحتاُجون إليه من مال وأدوية وأغذية، وبعد عمله في البيمارستان النوري، خدم الملك العادل أبوبكر بن أيوب، وبقي معه عدة سنوات، وله منزلة عالية عنده، وكان يُنعم عليه كثيراً ويُعطيه رزقاً وافراً، وظل في خدمته إلى أن توفى موفق الدين بمرض القولنج(*)، في شهر ذي القعدة من سنة (604هـ/1207م) وعمره ستين سنة ودُفن بجبل قاسيون(**) بدمشق(2).

6- **رضي الدين الرحبي**(***): يُعرف بالشيخ الحكيم، رضي الدين أبو الحجاج يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي، ولد بجزيرة ابن عُمَر(****) شهر جمادي الأول سنة (534هـ/1139م) ونشأ وأقام بها وأقام أيضاً بنصبين وبالرحبة عدة سنوات وسافر إلى بغداد، ومصر، ثم عاد إلى دمشق في سنة (555هـ/ 1160م) وأقام بها عدة سنوات لمعالجة المرضى ونسخ الكُتب، وأثناء وجوده بمصر عمل في القلعة والبيمارستان الصلاحي، وخصص له صلاح الدين مرتباً نظير عمله، وله من الكُتب "اختصار المسائل لحُنين" وقد شرع فيه ولم يُكمله، ومات في شهر مُحرم من سنة (631هـ/1233م) بمدينة دمشق(3).

7- **مُهذب الدين عبدالرحيم بن علي**: ويُعرف بالداخوار، وهو أبو مُحمد عبدالرحيم بن علي بن حامد، وُلد ونشأ بدمشق، كان علاَّمة زمانه في الطب، وتولى رئاسته في

---

(1) المصدر نفسه، ص 669.

(*) وهو وجع معوي يعسر معه خروج ما يخرج بالطبع = ابن النفيس: **الموجز في الطب**، ص223.

(**) وهو الجبل المشرف على مدينة دمشق، وفيه عدة مغاور وآثار الأنبياء، وكهوف، وفي سفحه مقبرة لأهل الصلاح = ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 295/4.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص671.

(***) نسبة إلى بني رَحبَة بطن من بطون حمير = ابن الأثير: **اللباب**، 19/2.

(****) وهي مدينة صغيرة على نهر دجلة من غربيها بساتين كثيرة = القلقشندي: المصدر السابق، 322/4.

(3) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص672، 675.

الشام ومصر، وكانت له مكانة عند الملوك، وأغذقوا عليه الأموال، وخدم الملك العادل أبكر بن أيوب بالطب، وكذلك عمل كحالاً في البيمارستان النوري، وتدريس الطبابة أيضاً، كما ولاه النظر في أمر الكحالين بإبقاء من يصلح منهم وإعطائه تصريح بذلك، وتوفى في العاشر من صفر سنة (628هـ/1230م) ولم يخلف أولاداً وأوقف داره بدمشق كمدرسة للطب(1).

8- **كمال الدين الحمصي**: هو أبو منصور المظفر بن علي بن ناصر القرشي، تعلم الطب على يد الطبيب رضي الدين الرحبي، وغيره من الأطباء وقرأ أيضاً الأدب، وكان يُحب التجارة ولا يحب أن يتكسب من الطب، وعمل في البيمارستان النوري احتساباً لوجه الله تعالى، ثم بعد ذلك قُرر له رزقاً وجراية، وبقي على هذا الحال إلى أن توفى في شهر شعبان من سنة (612هـ/1215م)(2).
9- **عمران الإسرائيلي**: وهو الحكيم عمران بن صدقة، ولد بدمشق سنة (561هـ/1165م) عمل على يد الشيخ رضي الدين الرحبي بالطب، وتميز فيه علماً وعملاً، وكان الملك العادل يصله بالأنعام الكثير، وله منه راتباً وجراية، وكان يتردد إلى الدور السلطانية بالقلعة، كذلك في أيام المعظم، وجعل له راتباً وجراية، وكان يتردد على البيمارستان لخدمة المرضى، وتوفى في مدينة حمص في شهر جمادي الأول سنة (637هـ/ 1239م)(3).
10- **سديد الدين بن رقيقة**: يُعرف بابن رقيقة وهو أبو الثناء مُحمد بن عمر بن مُحمد بن إبراهيم بن شجاع الشيباني الحانوي، ولد سنة (564هـ/1168م) كان طبيباً وشاعراً، وله معرفة بالكحل والجراحة، وقام بالعديد من الأعمال الجراحية في العين، كان يتردد على الدور السلطانية لعلاج من بها من المرضى، ثم يذهب إلى البيمارستان النوري لعلاج المرضى أيضاً، وتوفى سنة (635هـ/1234م)(4).

---

(1) المصدر نفسه، ص728، 733؛ كذلك الكتبي: المصدر السابق، 2/315-316، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي: **مرآة الجنان** وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت، 1970) 4/65-66؛ ابن العماد: المصدر السابق، 224/7.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص682.

(3) المصدر نفسه، ص696-697. كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص219.

(4) المصدر نفسه، ص703، 706.

11- **شمس الدين مُحمد الكلي**: هو أبو عبدالله مُحمد بن إبراهيم بن أبو المحاسن، كان والده أندلسياً، من أهل المغرب(*) وفد على دمشق وأقام بها، وتعلم الطب على يد الداخوار، وباشر العمل بالطب وخدم الملك الأشرف موسى ابن العادل، لم يزل في خدمته حتى توفى الأشرف ثم خدم في البيمارستان النوري لمعالجة المرضى[1].

12- **القاسم بن خليفة**: وهو والد ابن أبي أصيبعة، ولد سنة (575هـ/1179م) بالقاهرة، كان كحالاً، درس على يد الطبيب موفق الدين البغدادي(*)، واشتغل بمعسكر دمشق مع مهذب الدين الداخوار، وقام بعلاج خادم الملك العادل، فبرئ بعد أن قطع الرجاء من شفائه، فأحسن إليه الملك العادل ولازم العمل بالبيمارستان وقلعة دمشق حتى وفاته سنة (649هـ/1251م)[2].

13- **رشيد الدين علي بن خليفة**: أبو الحسن علي بن خليفة بن يونس بن أبي القاسم بن خليفة الخزرجي، ولد بحلب سنة (579هـ/1183م) ونشأ بالقاهرة، وكان حافظاً للقرآن، كان يعمل في البيمارستان النوري لعلاج المرضى، كما تعلم أيضاً الكحالة وباشر العمل بها، وأيضاً باشر الجراحة، وكان قد خدم الملك العادل بن أبو بكر أيوب، فكان يتردد إلى الدور السلطانية بالقلعة بدمشق، وخصص له رزقاً وجراية، وكان ذا مكانة عنده، وله مجلساً لتدريس الطب، وله العديد من المؤلفات منها على سبيل المثال كتاب "الموجز المفيد في علم الحساب"، وكتاب "طب السوق" ألفه للتلاميذ، وتوفى بدمشق شهر شعبان سنة (616هـ/1219م)[3].

14- **شرف الدين الرحبي**: هو شمس الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن حيدرة بن الحسن الرحبي، ولد بدمشق سنة (583هـ/1187م) وقد حذا حذو أبيه في تعلم

---

(*) عرفت بلاد المغرب منذ أقدم العصور بأسماء مختلفة وتشكل كل ما يلي مصر غرباً حتى المحيط الأطلسي وتتوسطه أفريقية واصطلح على تقسيمها ثلاثة أقسام رئيسية هي المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى = عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة الشرق (القاهرة، 1984) ص11-12.

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص755؛ كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص22، 221.

(*) هو عبداللطيف بن يوسف بن مُحمد بن علي بن سعد موفق الدين الشافعي اللغوي النحوي الطبيب والفيلسوف المعروف بابن اللباذ، ولد ببغداد سنة (555هـ/1160م) وكان عالماً بأصول الدين والنحو واللغة والطب والفلسفة، في غاية الذكاء، صنف تصانيف كثيرة في مختلف العلوم، وأقام بمصر ومات ببغداد في الثاني عشر من مُحرم سنة (629هـ/1231م) = الكتبي: المصدر السابق، 387/2،285. كذلك السيوطي: **حسن المحاضرة**، 443/2؛ ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص683، 696.

(2) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص736، 739. كذلك مُحمد البابا: المرجع السابق، ص103.

(3) المصدر نفسه، ص736، 750. كذلك الصفدي: المصدر السابق، 57/21.

الطب، ودرسه عليه، كما درسه على الشيخ موفق الدين البغدادي وتوفى بدمشق في شهر مُحرم سنة (667هــ/1268م)(1).

15- **جمال الدين الرحبي**: هو جمال الدين عثمان بن يوسف بن حيدرة، ولد ونشأ بدمشق، تعلم الطب على والده وغيره من الأطباء، وقد عمل في البيمارستان النوري لمعالجة المرضى عدة سنوات ثم سافر إلى مصر وأقام بها، لأنه كان تاجراً، ثم مرض بها وتوفى بالقاهرة في شهر ربيع الآخر سنة (658هــ/1259م)(2).

16- **بدر الدين بن قاضي بعلبك**: هو الحكيم بدر الدين المظفر ابن القاضي مجدالدين عبدالرحمان بن إبراهيم كان والده قاضياً ببعلبك، ونشأ هو بدمشق، واشتغل بالطب وقد جمع بين حدة الذكاء وغزارة العلم، وكثرة المروءة تعلم الطب على الشيخ الداخوار وبلغ في الجزء العلمي والعملي منها الغايات، كان ملازماً للداخوار ثم بعد سفر الداخوار سنة (622هــ/1225م) لخدمة الملك الأشرف موسى ابن العادل سافر معه، ثم خدم في بيمارستان الرقَّة، وعندما تولى الملك الجواد دمشق ولاه رئاسة جميع الأطباء والكحالين والجراحين في شهر صفر سنة (637هــ/1239م) وكتب له منشوراً بذلك. وخدم أيضاً الملك الصالح نجم الدين أيوب لمداواة الأسرة بالقلعة ومن بها، والتردد على البيمارستان لعلاج المرضى فيه، وكتب له هو أيضاً منشوراً برئاسته على سائر الأطباء وذلك سنة (645هــ/1247م) وخدم أيضاً من جاء من بعده ممن ملكوا دمشق مع مُلازمة البيمارستان، ولهُ من الكُتب مقالة في "خراج الرقَّة" كتاب "مفُرج النفس" ذكر فيه الأدوية القلبية بأنواعها وغيرها من الكُتب(3).

17- **ابن أبي أُصيبعة**: موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم المشهور بابن أبي أُصيبعة، ولد بمدينة دمشق حوالي سنة (591هــ/1194م) تعلم على يد والده كما عمل في البيمارستان النوري وتدرب على أشهر الأطباء وهؤلاء هم مهذب الدين الداخوار والحكيم عمران الإسرائيلي، ورضي الدين الرحبي، ورحل إلى القاهرة للاستزادة من العلم، واجتمع بالطبيب الأندلسي، ضياء الدين بن البيطار(*)، وتتلمذ

---

(1) المصدر نفسه، ص675-676.

(2) المصدر نفسه، ص682.

(3) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص751، 755.

(*) هو عبدالله بن أحمد ضياء الدين ابن البيطار الأندلسي المالقي النباتي الطبيب، كان ذكياً فطناً انتهت إليــه معرفة النبات، وتصنيفه وأسماؤه، وأماكنه، سافر إلى بلاد اليونان وبلاد الروم وأخذ عنهم ما يعرفونه عن هذا العلم، وصنف كتاب "الأدوية المفردة" وكان ثقة فيما ينقله، وكان رئيساً على كافة العشابين بمصـــر، وتــوفى

عليه كما عمل في البيمارستان الصلاحي بالقاهرة سنة (634هـ/1236م) ثم عاد إلى سوريا وقام بتدريس الطب، ثم بعد ذلك دخل في خدمة أمير صرخد(**) وقضى بها بقية حياته إلى أن توفى حوالي سنة (688هـ/1289م) واشتهر بكتابه "**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**" الذي ألفه سنة (643هـ/1245م) والذي يُعتبر من أهم المؤلفات في تاريخ الطب[1]، والمصدر الأول لتاريخ الطب الإسلامي لاحتوائه على أربعمائة ترجمة لحياة أشهر الأطباء[2].

18- **عزالدين بن السويدي**: هو أبو إسحاق إبراهيم بن مُحمد ولد سنة (600هـ/1203م) بدمشق، اشتغل بالطب حتى أتقنه، واجتمع مع أفاضل الأطباء وأكابر الحُكماء، وأخذ ما عندهم من الفوائد الطبية، مثل مهذب الدين الداخوار وغيره، ودرس الأدب وأتقن العربية وبلغ في العلوم الأدبية، وكان علاَّمة زمانه في الطب، عمل في البيمارستان النوري لعلاج المرضى، وبيمارستان باب البريد، وأيضاً قلعة دمشق، كما درس أيضاً بالداخورية، فكان له بذلك أربع مرتبات، وله من الكُتب "كتاب الباهر في الجواهر" وكتاب "التذكرة الهادية والذخيرة الكافية في الطب"[3].

19- **عماد الدين الدنيسري**: هو الحكيم والأديب عماد الدين أبو عبدالله محمد بن تقي الدين عباس بن أحمد بن عُبيد الربعي، ولد بمدينة دنيسر(*) في سنة (605هـ/1208م) ونشأ بها واشتغل بالطب وبرع فيه، واجتمع مع ابن أبي أصيبعة وسافر من دنيسر إلى مصر، ثم رجع إلى الشام وأقام بدمشق وخدم بقلعة دمشق، ثم خدم في البيمارستان النوري، وله من الكُتب "كتاب نظم الترياق الفاروقي" "المقالة المرشدة في درج الأدوية المفردة"[4]، توفى سنة (686ه/1287م).

---

بدمشق في شهر شعبان من سنة (646هـ/1248م) = الكتبي: المصدر السابق، 160/2-161، كذلك السيوطي: حسن المحاضرة، 444/1.

(**) بلد ملاصق لبلاد حوران، من أعمال دمشق، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة = ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 401/3.

(1) الصفدي: المصدر السابق، 193/7. كذلك مُحمد البابا: المرجع السابق، ص103.

(2) عبدالرحمان زكي: **الطب والأطباء في العصر الأيوبي**، مجلة منبر الإسلام، العدد التاسع، المجلد الثالث والعشرون، السنة السادسة والعشرين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة، 1388هـ) ص217.

(3) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص759، 761. كذلك الكتبي: المصدر السابق، 48/1-49.

(*) بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان، ولها اسم آخر يقال لها قوج حصار = الحموي: **معجم البلدان**، 478/2.

(4) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص761، 767. كذلك الصفدي: المصدر السابق، 163/3-164.

1- **البيمارستان النوري بحلب**: هذا البيمارستان بناه السلطان نور الدين زنكي في مُنتصف القرن الثاني عشر الميلادي، داخل باب أنطاكية، بالقُرب من سوق الهواء في محلة الجلوم الكبرى، بالزُقاق المعروف بزُقاق البهرمة(1)، وقد أوقف عليه العديد من القرى والمزارع والمحلات وقد ذكره القلقشندي عندما ذكر مدينة حلب بأن بها بيمارستان حسن لمعالجة المرضى(2).

وأيضاً عندما ذكر الوظائف الديوانية بها، ذكر البيمارستان وأن بها بيمارستانين أحداهما يُعرف بالعتيق والآخر بالجديد ولكل منهما ناظر يختص بشؤونه، وولاية كل منهما من نائب السلطان(3).

ومن الراجح أن العتيق هو الذي أنشأه نورالدين والثاني هو الجديد الذي أنشأه الأمير أرغون(*) الكاملي بحلب(4) والفترة التي عاصرها القلقشندي فترة متأخرة من عصر المماليك فمن المحتمل أن يكون هذا البيمارستان بعد زمن طويل عُرف بالعتيق.

ومكتوب على البيمارستان عند باب البهرمة جملة يُعرف من معناها أن الملك العادل نورالدين هو الذي أمر ببنائه (5). كما أن هذا البيمارستان عُمِرَ أيام الدولة الأيوبية حيث كُتب على جدران قاعة كانت للنساء بأنه عَمْره في شهر رمضان سنة (655هـ/1257م)(6) وليس هذا معناه أن صلاح الدين عاصر هذا التاريخ، حيث أن الفترة الزمنية طويلة بين فترة حكم صلاح الدين وتعميره، وإنما أيام عصر دولته، كما أنه عُمِّر أيضاً في أيام الأشرف شعبان(**)، وأنشأ به قاعة صغيرة للنساء وإيوان،

---

(1) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص224.

(2) المرجع نفسه، ص224-225.

(3) القلقشندي: المصدر السابق، 220/4.

(*) هو سيف الدين أرغون بن عبدالله الكاملي، أحد مماليك الملك الصالح إسماعيل رباه وهو صغير السن، وترقى عنده حتى صار أميراً وكان يُدعى أرغون الصغير، ولما تولى أخوه الملك الكامل (747هـ/1346م) حظي عنده، وصار يُدعى أرغون الكاملي، تولى نيابة حلب، ثم دمشق، ثم أعيد إلى نيابة حلب، إلى أن اعتقل مدة ثم أفرج عنه، وأقام بالقدس إلى أن توفى في شهر شوال سنة (758هـ/1356م) = الصفدي: المصدر السابق، 230/8. كذلك ابن كثير: المصدر السابق، 579/18. ابن تغري بردي: المصدر السابق، 256/10. ابن العماد: المصدر السابق، 316/8، علي مبارك باشا: **الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، المطبعة الأميرية الكبرى (القاهرة، 1305هـ) 55/4.

(4) المصدر نفسه، 220/4

(5) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص225.

(6) المرجع نفسه، ص226.

(**) هو ناصر الدين شعبان بن حسين بن الملك الناصر مُحمد ابن قلاوون، ولد سنة (754هـ/1353م) بقلعة الجبل، وتولى السلطة بعد أبيه سنة (765هـ/1363م) وقتل في شهر ذي القعدة سنة (778هـ/1376م) = ابن تغري بردي: المصدر السابق، 20/11، 61.

ومكتوب على الشُباك الذي على بابه أنه في سنة (840هـ/1442م) أسقفت قاعة كانت للمُسهلين بقسم (الأمراض الباطنية)(1).

وهذا البيمارستان نير وواسع وبلاطه من الرخام، كما به بركة ماء عذب يأتي إليها من قناة حبلان. ومع مرور الزمن أصبح خراباً، ولم يبق منه سوى بابه وجدران أطرافه، حيث يأوي إليه الفقراء من الناس الغرباء. وقد أُجري فيه إصلاح في القرن الخامس عشر، وتغير شكله بسبب تحويله إلى مساكن إلا أن باب الدخول إليه لا يزال (يعني فترة عصر المؤلف) على هيئته ومصراعيه الأصليين، وهو مزين بقطع مُربعة من صفائح الخشب المنقوش وأصبح في حالة من الإهمال، وأبوابه انفصلت عن مكانها والواجهة مائلة إلى اتجاه الشارع(2).

2- **بيمارستان باب البريد**: ورد عرضاً عن ابن أبي أُصيبعة أنه عمل في هذا البيمارستان في موضع ترجمته لعز الدين السويدي(3) دون ذكر أية معلومات أخرى حول إنشائه أو تحديد فترة ذلك.

3- **بيمارستان حماة**: وهو البيمارستان الوحيد في حماة، بناه نورالدين زنكي، وهو الآن (يعنى حتى عصر المؤلف) شبه مُندرِس، يتخذه بعضهم للسكن، وقد ذهبت أوقافه إلا قليلاً، ووُجدت على حجر في الجانب الغربي الأعلى للبيمارستان كتابات الأولى مؤرخة في سنة (705هـ/1305م) تدل على إبطال ما كان يؤخذ من البيمارستان بطريقة غير صحيحة.، وأن أوقافه يجب أن تُصرف على ما أوقفه الواقف عليه من السكر والأشربة، أما الكتابة الثانية فهي بتاريخ شهر مُحرم سنة (803هـ/1403م) تُفيد بتبرع مسئول مدينة حماة بمائة درهم للأجر والدعاء له(4)، وقد ذكر هذا البيمارستان ابن جُبير عندما دخل المدينة من ضمن ما ذكره عند وصفه لها(5).

4- **البيمارستان الصلاحي بالقدس**: أنشأ هذا البيمارستان السلطان صلاح الدين الأيوبي، بعد أن حرر القدس من الصليبيين سنة (583هـ/1187م)، فأقر بأن تُجعل الكنيسة والتي تقع بالقرب من حمّامه، بيمارستاناً للمرضى وأوقف عليه العديد من الأماكن،

---

(1) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص226.
(2) المرجع السابق، ص226.
(3) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص759.
(4) مُحمد علي: المرجع السابق، 5/161-162.
(5) ابن جُبير: المصدر السابق، ص231.

وفوض القضاء والنظر فيه إلى القاضي بهاء الدين بن شداد(*)، ونقل إليه العقاقير والأدوية(1)، وكان هذا البيمارستان في حارة تسمى حارة الدباغة، أدركه الخراب، وفي زلزال سنة (862هـ/1458م) اندرس أثره، وأُختلست أرضه وتصرف فيها الحكام وغيرهم من الناس بالبيع والهبة(2).

أما بالنسبة للأطباء الذين خدموا فيه:

أ- **يعقوب بن سقلاب النصراني**: وهو يعقوب بن سقلاب المقدسي المشرقي الملكي، ولد بالقدس وتعلم الطب والحكمة وأقام بها للعمل في البيمارستان إلى أن ملك الملك المعظم عيسى بن العادل أبو بكر بن مُحمد بن أيوب، فأختص بخدمته، وكان يتحقق من المرض قبل معالجته للمريض، وكان حسن المعالجة، انتقل للعمل عند الملك المعظم في دمشق، حيث ارتفعت عنده مكانته، وظل كذلك إلى أن ألم به مرض النقرس(*)، فكان ذلك سبب قعوده عن الحركة إلى حد أن المُعظم إن احتاج إليه حمله رجال إليه على محفة، وبقي على هذا الحال إلى أن مات المعظم، ومات هو بعده. ولقد وقع اختلاف بسيط في تحديد تاريخ وفاته فإذا كان القفطي قد ذكرها سنة (626ه/1228م) فإن ابن أبي أُصيبعة جعلها في سنة (625ه/1227م)(3).

ب- **رشيد الدين بن الصوري**: هو أبو المنصور بن أبي الفضل بن علي بن الصوري ولد سنة (573هـ/1177م) بمدينة صور(**) ونشأ بها ثم انتقل عنها، واشتغل بالطب على الشيخ موفق الدين عبدالعزيز، والشيخ عبداللطيف البغدادي، وتميز في مجال عمله وأقام بالقدس سنتين وعمل في بيمارستانها، وخدم الملك

---

(*) هو يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي، مؤرخ من كبار القضاة، ولد بالموصل، ومات أبوه وهو صغير، فنشأ عند أخواله بني شداد فنُسب إليهم، تفقه بالموصل وبغداد، ولما دخل دمشق دعاه السلطان صلاح الدين إليه وولاه قضاء العسكر وبيت المقدس والنظر على أوقافه واستصحبه في بعض غزواته، فدون وقائع كثيرة من أخباره، وتولى القضاء بحلب حتى وفاته سنة (591هـ/1194م) = أبي شامة: **الذيل على الروضتين**، ص163. كذلك الزركلي: **الأعلام**، 230/8.

(1) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، المرجع السابق، 230، 231.

(2) المرجع نفسه ص231-232.

(*) النقرس: يُعرف بالألم الشديد الذي يعتري إبهام الرجل والمفاصل الصغيرة لليدين والرجلين والرسغين والمرفقين، وهو شديد في بدء النوبة ثم يخف تدريجياً ويصحبه ورم وإحمرار يزداد ليلاً ويخف نهاراً ويبقى على ذلك مدة أربعة عشر يوماً في الغالب فتزول النوبة إلا في الضعفاء والذين أصيبوا بها تكراراً فإنها تبقى شهراً أو شهرين أو أكثر = للمزيد ينظر محمد وجدي: **دائرة معارف القرن العشرين**، 347/10.

(3) القفطي: المصدر السابق، ص248؛ كذلك ابن أبي أُصيبعة: المصدر السابق، ص697-699؛ الزركلي: **الأعلام**، 198/8.

(**) هي مدينة مشهورة مشرفة على بحر الشام افتتحها المسلمون أيام عمر بن الخطاب = الحموي: **معجم البلدان**، 433/3.

العادل أبو بكر أيوب في سنة (612هـ/1215م) وعندما توجه إلى مصر اصطحبه معه، وبقي إلى أن توفى الملك العادل ثم خدم بعده ابنه المعظم عيسى وأيضاً عندما ملك بعده ابنه الناصر داود(***) بن الملك المعظم، وفوض إليه رئاسة الطب، وكان له مجلساً يتردد عليه الطلبة ويشتغلون عليه، وكان يصطحب معه رسام، وأصباغ لرسم النباتات وتلوينها في كل مراحل نموها، وجعلها في كتاب، وكانت له بعض المؤلفات منها "كتاب الأدوية المفردة"[1].

5- **بيمارستان عكا**: بعد أن تم لصلاح الدين فتح القدس وتحريرها من الصليبيين، انصرف إلى مدينة دمشق وجاز في طريقه إلى عكا، وعندما وصل إليها نزل بقلعتها، ووكل لعمارتها وتجديدها إلى بهاء الدين قراقوش(*)، وجعل دار الأسقف بيمارستاناً، وأوقف عليه الأوقاف، وولى نظر ذلك لقاضيها جمال الدين(**) ابن الشيخ أبي النجيب، وبعد ذلك عاد إلى دمشق[2].

6- **البيمارستان القيمري**(***): وهذا البيمارستان يُعرف ببيمارستان الصالحية أو القيمري أنشأه سيف الدين(****) أبو الحسن القيمري بجبل الصالحية[3]. وكان هذا من أكبر حسناته، وخصص له أوقافاً[4] تفي باحتياجات معالجة المرضى وتوفير الأدوية وأجور الأطباء، وخصص لكل من يعمل به مبلغاً من المال، بالإضافة إلى

---

(***) هو داود بن عيسى بن مُحمد بن أيوب ولد بدمشق يوم السبت السابع عشر جمادي الأولى سنة (603هـ/1206م) ونشأ بها، وملكها بعد أبيه سنة (626هـ/1228م) ثم اقتصر حكمه على الكرم وأعماله ثم سلب كله، ثم تنقل في البلاد إلى أن مات في قرية يقال لها البويضاء قرب دمشق في السابع والعشرين من جمادي الأولى سنة (656هـ/1258م) = أبي شامة: **الذيل على الروضتين**، ص200. كذلك ابن خلكان: المصدر السابق، 496/3، الكتبي: المصدر السابق، 419/1، 426، الزركلي: **الأعلام**، 334/2.

(1) ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص699، 703.

(*) هو أبو سعيد قراقوش بن عبدالله الأسدي الملقب بهاء الدين، كان خادم صلاح الدين فأعتقه، ونـاب عن صلاح الدين في العديد من الأعمال، وكان شخص خيّر، وقام بالعديد من العمائر، وتوفى سنة (597هـ/1200م) = ابن خلكان: المصدر السابق، 92/4. كذلك أبو شامة: **الذيل على الروضتين**، ص19.

(**) لم أجد له ترجمة في المصادر التي تحصلت عليها.

(2) ابن كثير: المصدر السابق، 595/16-596. أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص233.

(***) نسبة إلى قيمر، وهي قلعة في الجبال بين الموصل وخلاط وهم أكراد ويُقال لصاحبها أبو الفوارس = ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، 424/4.

(****) هو الأمير سيف الدين أبو الحسن يوسف بن أبو الفوارس القيمري الكردي، أكبر أمراء القيامرة وأعظمهم مكانة وأجلهم مرتبة توفى سنة (654هـ/1256م) ودفن بالسفح في القبة التي تجاه البيمارستان = ابن كثير: المصدر السابق، 345/17. كذلك ابن تغري بردي: المصدر السابق، 35/7-36.

(3) ابن كثير: المصدر السابق، 345/17. كذلك ابن تغري بردي: المصدر السابق، 35/7. ابن العماد: المصدر السابق، 414/7

(4) المصدر نفسه، 345/17. كذلك ابن تغري بردي: المصدر السابق، 35/7.

أشياء عينية تتمثل في أنواع من الحبوب وهذه الأوقاف كانت تشمل القرى والبساتين والحوانيت والطواحين التي وقفها على بيمارستانه[1].

تعرض هذا البيمارستان للخراب من قبل التتار يوم السبت النصف من ربيع الآخر من سنة ( 69هـ/1299م) حيث خربوا عدة أجزاء منه[2].

وكان ممن قام بعمارة هذا البيمارستان الشيخ زين الدين أبو الفرج عبدالرحمان بن داود الحنبلي (ت: 856هـ/1452م)، فكان المتكلم باسم البيمارستان القيمري وقام بإصلاحه وتعميره[3] وأيضاً حسن باشا شوريز، الذي استدعاه المولى مصطفى[*****] كوجك، قاضي القضاة بدمشق لولاية البيمارستان القيمري، إلا أنه رفض ذلك في بداية الأمر، ثم قبل بشروط اشترطها، أملاها على القاضي الذي قبلها بعد ذلك، فقام بتعميره وتنمية أوقافه[4]. وكان أشهر من تولى النظر في هذا البيمارستان مُحمد بن قباء المعروف بالسكوني الدمشقي (1053هـ/1735م) مفتي الشام[5]. ومن الأطباء الذين خدموا فيه إبراهيم بن إسماعيل بن القاسم بن هبة الله بن المقداد القيسي، (741هـ/1341م)[6].

وهكذا يتبين لنا أن المشافي في بلاد مصر والشام، بلغت مستوى رفيعاً في أداء رسالتها في القرنين (السادس والسابع الهجري/الثاني عشر والثالث عشر الميلادي) وكان المسافرون والمؤرخون يعتبرونها أحد كنوز الحضارة الإسلامية، حيث أنها كانت تجتذب إليها طلاب العلم وأفضل أساتذة الطب، كما أنها كانت تتمتع بموارد كبيرة جداً ورعاية من قبل مؤسسيها[7].

وكان ابن أبي أُصيبعة أعظم مؤرخي تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، تعلم في مُستشفيين، من أعظم المشافي الإسلامية، هما النوري في دمشق والناصري بالقاهرة، قدَّم في كتابه "**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**" وصفاً رائعاً للمشافي الإسلامية في

---

(1) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص244-245. كذلك مُحمد علي: **خطط الشام**، 158/5-159.
(2) ابن كثير: المصدر السابق، 721/17.
(3) ابن العماد: المصدر السابق، 314/4. كذلك أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص235، 238.
(*****) لم أجد له ترجمة في المصادر التي تحصلت عليها.
(4) أحمد عيسى: **تاريخ البيمارستانات**، ص238.
(5) المرجع نفسه، ص245.
(6) المرجع نفسه، ص245.
(7) سامي حمارية: علوم الحياة "**عبقرية الحضارة**"، ص298.

البلدان العربية التي شهدها وما تحتويه من أنظمة ومهام[1].

(1) المرجع نفسه، ص298.

## سادساً: الندوات والمؤتمرات العلمية


- البزم، منى وإبراهيم نجمة.
- **تدريس طب العيون في الدولة العربية الإسلامية** – وقائع ومحاضرات المؤتمر العالمي لتاريخ الحضارات العربية الإسلامية المنعقد بدمشق (خلال الفترة من 20 إلى 26 أبريل 1980).
- جونز، و.ر.
- **الأوقاف، والبيمارستانات والملاحظات الأكلينيكية للمرضى.**
- أبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي المنعقد بالكويت (خلال الفترة من 12 إلى 16 يناير 1981).
- السامرائي، كمال.
- **تعليم الطب في العصور الإسلامية** – أبحاث وأعمال المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي المنعقد بالكويت (خلال الفترة من 12 إلى 16 يناير 1981).
- أبو شويرب، عبدالكريم.
- **ابن النفيس** – أبحاث الندوة الطبية العالمية عن الطفل في الطب العربي المنعقدة بطرابلس (خلال الفترة من 15 إلى 20 مارس 1982).
- الصفو، عبدالمنعم.
- **تعلم الطب عند العرب** – أبحاث المؤتمر السنوي الثالث للجمعية السورية لتاريخ العلوم عند العرب المنعقد بحلب (خلال الفترة من 12 إلى 13 أبريل 1978).

# سابعاً: شبكة الإنترنت

- http/www.h/m.hih.gov/**exlislamic-medical**/image.

# الملاحق

# ملحق رقم (1)[*]

(*) نقلاً عن رسمية شكور: مقدمة في علم الصيدلة وتاريخها، ص236-237.

# ملحق رقم (2)*

صورة لقوارير وزجاجات كانت تستعمل لأغراض مختلف وتحضير الأدوية موجود بقاعة الصيدلة

بالبيمارستان النوري بدمشق

(*) الصور التي تخص البيمارستان النوري بدمشق التقطتها للباحثة الأستاذة كريمة الحاسي في شهر ديسمبر سنة 2010، وموجودة بحوزة الباحثة.

# ملحق رقم (3)*

صورة لبعض الأدوات التي تستعمل لدق الأدوية موجودة بقاعة الصيدلة بالبيمارستان النوري بدمشق

(*) موجودة بحوزة الباحثة.

# ملحق رقم (4)*

صورة لبعض الزجاجات يوجد بها أعشاب طبية وأدوية كُتب عليها أسماؤها موجودة بقاعة الصيدلة بالبيمارستان النوري بدمشق

---

(*) موجودة بحوزة الباحثة.

# ملحق رقم (5)[*]

صورة لمجموعة أخرى من الأدوية والأعشاب الطبية موجودة في زجاجات كُتب تحتها أسماؤها موجودة بقاعة الصيدلة بالبيمارستان النوري بدمشق.

(*) موجودة بحوزة الباحثة.

# ملحق رقم (6)[*]

صورة نماذج لأدوات جراحية موجودة بقاعة الطب بالبيمارستان النوري بدمشق

(*) موجودة بحوزة الباحثة.

# ملحق رقم (7)*

صورة لتماثيل شمعية تمثل العملية الجراحية أثناء إجراءها موجودة بقاعة الطب بالبيمارستان النوري بدمشق.

(*) موجودة بحوزة الباحثة.

# ملحق رقم (8)*

صورة لكرسي طبيب الأسنان موجود بقاعة الطب بالبيمارستان النوري بدمشق

(*) موجودة بحوزة الباحثة.

# ملحق رقم (9)*

صورة لشيخ الأطباء وبعض المراجع الطبية والعلمية موجودة بمكتبة البيمارستان النوري بدمشق

(*) موجودة بحوزة الباحثة.

# مصادر ومراجع البحث

# أولاً: المصادر

**أ- المصادر المخطوطة**


- الرازي، محمد بن زكريا (ت: 313هـ/925م)
**الطب الروحاني في إصلاح الأخلاق** – مخطوط تحت رقم (2241- تصوف) محفوظ بدار الكتب الوطنية بالقاهرة.
- الزهراوي، أبي القاسم خلف بن عباس (ت: 427هـ/1035م).
**كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف**، المقالة الثلاثون، المجلد السابع، مخطوط تحت رقم (134) محفوظ بالخزانة الحسينية بالرباط.
- الشيرازي، عبدالرحمان بن نصر بن عبدالله (ت: 589ه/1193م)
**نهاية الرتبة في طلب الحسبة** – مخطوط تحت رقم (125-اجتماع تيمور) محفوظ بدار الكتب الوطنية بالقاهرة.
- العمري، شهاب الدين بن فضل الله (ت: 749هـ/1348م).
**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** - مخطوط تحت رقم (1377-تاريخ) محفوظ بدار الكتب الوطنية بالقاهرة.

**ب- المصادر المطبوعة:**


- القرآن الكريم "برواية قالون".
- بن إسحاق، حنين (ت: 260هـ/873م)
  - **المسائل في الطب**، دار الكتاب المصري (القاهرة، 1975).
- الإتليدي، محمد دياب (ت: 1100هـ/1688م).
  - **إعلام الناس بما وقع للبرامكة من بني العباس**، دار صادر (بيروت، 1990م).
- ابن الإخوة، محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت: 729هـ/1328م)
  - **معالم القُربة في أحكام الحسبة**، ورد ضمن كتاب في التراث الاقتصادي الإسلامي، تقديم عبدالحميد فايد، دار الحداثة (بيروت، 1990م).
- الإدريسي، الشريف أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن إدريس (ت: 560هـ/1160م).
  - **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 2002م).
- ابن الأثير، عزالدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم (ت: 639هـ/1232م)
  1- **التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل**، تحقيق عبدالقادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة (د.م، د.ت).
  2- **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبدالله القاضي وآخر، دار الكتب العلمية (بيروت، 1987م).
  3- **اللباب في تهذيب الأنساب**، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى (بغداد، د.ت).
- ابن أبي أصيبعة، أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (ت: 668هـ/1269م).
  - **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، شرح وتحقيق نزار رضا، مكتبة الحياة (بيروت، د.ت).
- ابن الأكفاني، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري (ت: 749هـ/1248م).
  - **إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد في أنواع العلوم**، تحقيق وتعليق عبدالمنعم محمد عمر، مراجعة أحمد حلمي عبدالرحمان، دار الفكر العربي (القاهرة، 1990).

- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت: 256هـ/869م).
- **الجامع الصحيح**، تشرف بخدمته والعناية به محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة (القاهرة، 1422هـ).
- ابن بسام، محمد بن أحمد (عاش في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي).
- **نهاية الرُتبة في طلب الحسبة**، تحقيق حسام الدين السامرائي، مطبعة المعارف (بغداد، 1968م).
- البشاري، أبو عبدالله محمد بن أحمد المقدسي (ت: 380هـ/990م).
- **كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مطبعة بريل (ليدن، 1909م).
- ابن بطوطة، أبو عبدالله محمد عبدالله اللواتي الطنجي (ت: 779هـ/1378م).
- **رحلة ابن بطوطة**، دار التراث (بيروت، 1968م).
- البغدادي، موفق الدين أبي محمد عبداللطيف بن يوسف (ت: 629هـ/1231م).
- **رحلة عبداللطيف البغدادي في مصر أو كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر**، أشرف على هذا الطبعة وقدم لها عبدالرحمان عبدالله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (د.م، 1998م).
- ابن أبي بكر الأزرق، إبراهيم بن عبدالرحمان.
- **تسهيل المنافع في الطب والحكمة**، مؤسسة الحلبي (القاهرة، د.ت).
- البلوي، أبو عبدالله بن محمد المديني (لم تُعرف سنة وفاته).
- **سيرة أحمد بن طولون**، مكتبة الثقافة العربية (القاهرة، د.ت).
- التجيني السبتي، القاسم بن يوسف (ت: 730هـ/1325م)
- **مستفاد الرحلة والاغتراب**، تحقيق وإعداد عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب (ليبيا، د.ت).
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت: 874هـ/1469م).
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت، 1992).

- الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل (ت: 429هـ/1038م)
  - **لطائف المعارف،** تحقيق إبراهيم الأبياري وحسين كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية (د.م، د.ت).
- ابن جُبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت: 610هـ/1217م).
  - **رحلة ابن جُبير،** دار صادر (بيروت، د.ت).
- ابن جلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت: 384هـ/994م).
  - **طبقات الأطباء والحُكماء،** تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية (القاهرة، 1955).
- ابن الجوزي، أبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ/1200م).
  - **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،** دراسة وتحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية (بيروت، 1992).
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت: 1067هـ/1656م).
  - **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون،** عني بتصحيحه وطبعه وتعليق حواشيه محمد شرف الدين بالتقايا ورفعت بيلكه الكيسي، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 1991).
- الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت (ت: 626هـ/1228م)
  1. **الخزل والدال بين الدور والدارات والديرة،** القسم الأول، تحقيق زكريا عبادة ومحمد أديب جمران، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، 1998).
  2. **معجم الأدباء إرشاد ألأريب إلى معرفة الأديب،** تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 1993).
  3. **معجم البلدان،** دار صادر (بيروت، 1977).
- الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالمنعم (ت: 866هـ/1461م).
  - **صفة جزيرة الأندلس،** منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الجيل (بيروت، 1988م).

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: 463هـ/1070م).
  - **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها وارديها**، حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 2001).
- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبدالله بن سعيد التلمساني (ت: 776هـ/374م).
  - **أعمال الأعلام فيمن بُويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، تحقيق ليفي بروفنسال، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 2004).
- ابن خلدون، عبدالرحمان بن محمد (ت: 808هـ/1408م).
  1- **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحاته، دار الفكر (بيروت، 2001).
  2- **المقدمة**، ضبط المتن ووضع الهوامش والفهارس، خليل شحاته، ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر (بيروت، 2001).
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد أبي بكر (ت: 681هـ/1282م).
  - **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، حققه إحسان عباس، دار صادر (بيروت، 1968).
- ابن خياط، خليفة (ت: 240هـ/854م).
  - **تاريخ خليفة بن خياط**، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة للنشر والتوزيع (الرياض، 1985).
- أبو داود، سليمان بن الأشعت السجستاني الأزدي (ت: 275هـ/888م).
  - **سنن أبي داود**، إعداد وتعليق عبيد الدعاس وعادل السيد، دار ابن حزم (بيروت، 1997).
- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد العلائي (ت: 809هـ/1406م)
  - **الانتصار لواسطة عقد الأمصار**، المكتب التجاري (د.م، د.ت).
- ابن الدواداري، أبو بكر بن عبدالله بن أيبك.

- **كنز الدرر وجامع الغرر الذرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية**، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1961).
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت: 282هـ/894م).
- **الأخبار الطوال**، مكتبة المثنى (بغداد، د.ت)
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد عثمان (ت: 748هـ/1347م)
1- **تاريخ الإسلام**، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب العربي (بيروت، 1991).
2- **سير أعلام النبلاء وبهامشه إحكام الرجال من ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، قدم له سيد حسين العفافي، حققه وخرج أحاديثه خيري سعيد، المكتبة التوفيقية (القاهرة، د.ت).
3- **نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء**، تحقيق محمد حسن عقيل موسى، دار الأندلس (جدة، 1991).
- ابن زُهر، أبو مروان عبدالملك.
- **كتاب التيسير في المداواة والتدبير**، تحقيق ميشيل الخوري، تقديم محي الدين الصبار، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الفكر (دمشق، 1983م).
- ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمر (ت: بعد 926هـ/920م).
- **صدق الأخبار تاريخ ابن سباط**، عُني به وحققه عمر عبدالسلام تدمري، جروس برس (طرابلس، 1993).
- السبكي، تاج الدين أبي نصر عبدالوهاب بن عبد الكافي (ت: 771هـ/1369م).
- **طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبدالفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية (القاهرة، د.ت).
- ابن سعيد، محمد بن منيع الزهري (ت: 320هـ/845م).
- **كتاب الطبقات الكبير**، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي (القاهرة، 2001).
- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمان بن أبي بكر (ت: 911هـ/1505م).
1- **تاريخ الخلفاء**، تحقيق حمدي الدمرداش محمد، مكتبة نزار

مصطفى الباز (الرياض، 2007).
2- **حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة**، دار الكتب العلميـــة (بيروت، 1997).
- أبو شامة، شهاب الدين ابن محمد بن عبدالرحمان بن إسماعيل المقدسي (ت: 665هـــ/1267م).
1- **تراجم رجال القرنين السادس والسابع من الهجــرة المعــروف بالذيل على الروضتين**، عّرف الكتاب وترجمه للمؤلف وصححه محمد زاهد بن الحسن الكوثري، عُني بنشره وراجع أصله ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني، دار الجيــل (بيــروت، 1974م).
2- **عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، حققــه أحمد البيومي، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، 1991م).
- ابن شداد، بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (ت: 632هـــ/1363م).
- **النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية "سيرة صلاح الدين"** تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي (القاهرة، 1994م).
- ابن شداد، عزالدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت: 684هـــ/1285م).
- **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيـــرة**، حققـــه يحيـــى عبادة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي (دمشق، 1978).
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر أحمد (ت: 548هـــ/1152م).
- **المِلل والنِحل**، تحقيق أمين علي مهنا وعلي حســن فــاعور، دار المعرفة (بيروت، 1993م).
- الصابئ، أبو الحسن الهلال بن المحسن بن إبراهيم (ت: 488هـــ/1056م).
- **تحفة الأمراء في تاريخ الـــوزراء**، مطبعـــة الآبـــاء اليســـوعيين (بيروت، 1904).
- ابن صاعد، أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي (ت: 462هـــ/1069م).
- **كتاب طبقات الأمم**، نشره وذيله بالحواشـــي ورادفـــه بالروايـــات

والفهارس الأب لويس شـــيخو اليســـوعي، المطبعـــة الكاثوليكيـــة (بيروت، 1912م).

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ/1362م).
  - **كتاب الوافي بالوفيات،** تحقيق واعتناء أحمد الأرنـــاؤوط وتركـــي مصطفى، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 2000).

- الصيرفي، أبو القاسم علي بن مُنجب بن سليمان (ت: 542هـ/1147م).
  - **الإشارة إلى من نال الوزارة،** عُني بتحقيقه والتعليق عليه عبـــدالله مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي (القاهرة، 1923).
- الضبي، أحمد بن يحيى (ت: 599هـ/1202م).
  - **بُغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأنـــدلس،** تحقيـــق إبـــراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري (القاهرة، 1989م).
- طاش كبرى زادة (ت: 968هـ/1560م).
  - **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلـــوم،** تحقيـــق كامل كامل بكري وعبدالوهاب أبو النـــور، دار الكتـــب الحديثـــة (القاهرة، د.ت).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ/922م).
  - **تاريخ الرسل والملوك،** تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعـــارف (القاهرة، 1971).
- الطقطقي، محمد بن علي طباطبا (ت: 709هـ/1309م).
  - **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية.**
- ابن عبدربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت: 327هـ/938م).
  - **العقد الفريد،** تحقيق عبدالمجيد الترحينـــي، دار الكتـــب العلميـــة (بيروت، 1983).
- ابن عبدون، محمد عبدالله النخعي أو محمد محمد بن احمد التجيني (عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي).
  - **ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب،** تحقيـــق ليفـــي

بروفنسال، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية (القاهرة، 1955).
- ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت: 685هـ/1286م).
- **تاريخ مختصر الدول**، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، 1958).
- ابن عذاري،
- **البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة (بيروت، 1983).
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي (ت: 572هـ/1176م).
- **تاريخ مدينة دمشق**، دراسة وتحقيق محب الدين أبو سعيد وعمر بن غرامة القمروي، دار الفكر (دمشق، 1997).
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (ت: 853هـ/1449م).
- **فتح الباري بشرح الإمام أبي عبدالله محمد بن أحمد البخاري**، تقديم وتحقيق وتعليق عبدالقادر شيبة أحمد، مكتبة الملك محمد الوطنية (د.م، 2001).
- ابن العماد، عبدالحي بن أحمد العكري الدمشقي الحنبلي (ت: 1089هـ/1678م).
- **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، حققه وعلق عليه محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير (دمشق، 1988).
- ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت: 580هـ/1184م).
- **الإنباء في تاريخ الخلفاء**، تحقيق وتقديم قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية (القاهرة، 1999).
- العمري، ياسين خير الله.
- **غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام**، منشورات البصري (بغداد، 1968).
- الفاسي، محمد عبدالحي الكناني الإدريسي (ت: 1382هـ/1962م).
- **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية**، منقحة باعتناء وتحقيق عبدالله الخالدي، شركة الأرقم بن أبي الأرقم (بيروت، د.ت).

- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت: 732هـ/1331م).
- **المختصر في أخبار البشر**، دار الكتاب اللبناني (بيروت، د.ت).
- ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر أحمد الأسدي الدمشقي (ت: 851هـ/1447م).
- **تاريخ ابن قاضي شهبة**، حققه عدنان درويش، المعهد الفرنسي للدراسات العربية (دمشق، 1994).
- القرماني، أحمد بن يوسف (ت: 1019هـ/1610م).
- **أخبار الدول وآثار الأُول في التاريخ**، دراسة وتحقيق أحمد حطيط وفهمي سعد، عالم الكتب (بيروت، 1992).
- القزويني، زكريا محمد بن محمود (ت: 682هـ/1283م).
1- **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر (بيروت، د.ت).
2- **عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات**، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت، 2000).
- القفطي، جمال الدين أبي الحسن بن علي بن يوسف (ت: 646هـ/1248م).
- **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، مطبعة السعادة (القاهرة، 1326هـ)
- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد (ت: 821هـ/1418م).
- **صُبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب المصرية (القاهرة، 1992م)
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أحمد (ت: 750هـ/1349م).
1- **الطب النبوي**، خرج أحاديثه وعلق عليه محمد محمد تامر ومحمد السعيد محمد، دار التقوى (الإسكندرية، 1999).
2- **مختصر كتاب زاد المعاذ في هذي خير العباد مختصر الطب النبوي**، اختصار وتقديم طارق أبو هشيمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 2008).
- الكتبي، محمد بن شاكر (ت: 764هـ/1362م).
- **فوات الوفيات والذيل عليها**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت، 1973).

- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ/1372م).
  - **البداية والنهاية**، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان (الجيزة، 1998).
- الكندي، أبو عمر بن يوسف المصري (ت: 350هـ/961م).
  - **كتاب الولاة وكتاب القضاة**، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت، 1908).
- ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت: 750هـ/694م)
  - **سُنن ابن ماجة**، دار الجيل (بيروت، 1998).

- المجوسي، علي بن عباس (ت: خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي).
  - **كامل الصناعة الطبية**، مطبعة بولاق (القاهرة، 1294هـ).
- المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي (ت: 845هـ/1445م).
  1- **إتعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، تحقيق جمال الدين الشيال، دار التحرير (القاهرة، 1967).
  2- **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، حققه وعلق عليه محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 2000).
  3- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، مؤسسة الحلبي (القاهرة، د.ت).
- المسعودي، علي بن الحسن (ت: 346هـ/957م)
  - **مُروج الذهب ومعادن الجوهر**، اختار النصوص وقدم لها وعلق عليها قاسم وهبي، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، 1988).
- المقدسي، شهاب الدين أبي محمود بن تميم (ت: 765هـ/1363م)
  - **مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام**، تحقيق أحمد الخطيمي، دار الجيل (بيروت، 1994).
- المقدسي، المطهر بن طاهر (ت: 380هـ/990م).
  - **البدء والتاريخ**، مكتبة الثقافة الدينية (د.م، د.ت).
- مُسلم، أبو الحسن مُسلم بن الحجاج القيشري النيسابوري (ت: 261هـ/874م).

- **صحيح مُسلم**، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع (القاهرة، 2005).
- المقري، أحمد بن محمد (ت: 1041هـ/1631م).
- **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر (بيروت، 1988).
- ابن المطران، أبو نصر أسعد بن إلياس (ت: 587هـ/1191م).
- **بُستان الأطباء وروضة الألباء**، تحقيق عبدالكريم أبو شويرب، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية (طرابلس، 1993).
- المنصوري، بيبرس (ت: 725هـ/1324م).
- **مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ**، حققه وقدم له ووضع فهارسه عبدالحميد صالح حمدان، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة، 1993).
- النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق (ت: 380هـ/990م).
- **الفهرست**، تحقيق رضا – تجدّد (طهران، 1971).
- ابن النفيس (ت: 687هـ/1288م).
1- **رسالة الأعضاء**، دراسة وتحقيق يوسف زيدان، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة، 1991).
2- **المُوجز في الطب**، قرأ وقدم له وعلق عليه يحيى مراد، دار الكتب العلمية (بيروت، 2004).
- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت: 732هـ/1331م).
1- **الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية**، تحقيق عزيز سوريال عطية، مطبعة دائرة المعارف العثمانية (حيدر آباد الدكن، 1970).
2- **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تحقيق عبدالمجيد ترحيني، دار الكتب العلمية (بيروت، 2004).
- الواقدي، أبو عبدالله محمد بن عمر (ت: 206هـ/822م).
- **كتاب المغازي**، تحقيق مارسدن جونس (لندن، 1966).
- اليافعي، أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (ت: 768هـ/1366م).

- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبـــر مـــن حـــوادث الزمان**، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات (بيروت، 1970).
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح (ت: 282هـ/895م).
- تاريخ اليعقوبي، مطبعة ليدن (بريل، 1883).

# ثانياً: المراجع

أ- **الكتب العربية:**


- الإمام، أبو نصر بن عبدالله.
  - تحذير البشر من أصول الشر، دار الآثار (صفاء، 2004م).
- الأبيض، أنيس.
  - بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، جردس بـــرس (طـــرابلس، 1994م).
- أحمد، أحمد عبدالرازق.
  - تاريخ وآثار مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، دار الفكر العربي (القاهرة، 2004م).
  - الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى "العلـــوم العقليـــة"، دار الفكر العربي (القاهرة، 2003)
- أحمد، كرم حلمي فرحات.
  - التراث العلمي للحضارة الإسلامية في الشام والعراق خلال القرن الرابع الهجري، مكتبة زهرة الشرق (القاهرة، 2004م).
- أستيتية، أحلام.
  - تاريخ الصيدلة، دار المستقبل (عمان، د.ت).
- أمين، أحمد.
  - ضحى الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1997م).
- أيوب، إبراهيم.
  - التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالميـــة للكتـــاب (بيروت، 1991م).
- البابا، محمد زهير.
  - تاريخ وتشريع وآداب الصيدلة، مطبعة طبرين (دمشق، 1975م).
- باشا، أحمد فؤاد.
  - أساسيات العلوم المعاصرة في التراث الإسلامي، الهيئة المصـــرية العامة للكتاب (القاهرة، 2007م).

- باشا، علي مبارك.
- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، المطبعة الأميرية الكبرى (القاهرة، 1305هـ).
- باقر، طه.
- موجز في تاريخ العلوم والمعارف، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية (د.م، د.ت).
- بدر، مصطفى طه.
- مصر الإسلامية (من الفتح الإسلامي حتى زوال الدولة الأخشيدية)، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1959م).
- بدوي، أحمد أحمد.
- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية، مطبعة النهضة المصرية (القاهرة، د.ت).
- البدو، أكرم حسين.
- المسؤولية الطبية للمستشفيات الخاصة، دار الحامد (عمان، 2003م).
- بربور، علي أحمد وآخرون.
- الطب الوقائي في الإسلام، منشورات جامعة دمشق (دمشق، 1992م).
- البستاني، بطرس.
- أدباء العرب في الأعصر العباسية حياتهم – آثارهم – نقد آثارهم، دار مارون عبود (د.م، 1979م).
- البغدادي، إسماعيل باشا.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي (بيروت، د.ت).
- البغدادي، محمد رضا.

تاريخ العلوم وفلسفة التربية العلمية، دار الفكر العربي (القاهرة، 2003م).

- بروفنسال، ليفي.
- حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرطوط، دار مكتبة الحياة (بيروت، د.ت).
- بواعنة، عبدالمهدي.
- إدارة المستشفيات والمؤسسات الصحية التشريع الصحي والمسئولية الطبية، دار الحامد (عمان، 2003م).
- التليسي، بشير رمضان وجمال هاشم الدويبي.
- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار المدار الإسلامي (بيروت، 2002م).
- جارلند، جوزيف.
- قصة الطب، ترجمة سعيد عبدو، دار المعارف (د.م، د.ت).
- الجراري، عبدالله بن العباس.
- تقدم العرب في العلوم، والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا، دار الفكر العربي (القاهرة، 1961م).
- الجمال، سمير يحيى.
- تاريخ الطب والصيدلة المصرية في العصر الإسلامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 1999م).
- الجندي، أنور.
- صفحات مضيئة من تراث الإسلام، دار أبو سلامة للطباعة والنشر (1983م).
- الجميلي، رشيد حميد حسن.
- حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة، مطابع الكتاب (طرابلس، 1982).
- الجواد، سي.
- تراث فارس، اشترك في كتابته وأشرف على نشره أ. ج. أريري، ترجمة محمد كفافي وآخرون، دار إحياء الكتب العربية (د.م، 1959م).

- جهاد، تحسين أحمد.

- الموجز في تأريخ الصيدلة، العلمية للنشر والتوزيع (عمان، 2006م).

- الحداد، محمد حمزة إسماعيل.

- السلطان المنصور قلاوون (تاريخ أحوال مصر في عهده – منشآته المعمارية، مكتبة مدبولي (القاهرة، 1993م).

- حرستاني، حسان.

- إدارة المستشفيات (د.م، 1990م).

- حسن، حسن إبراهيم.

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي العصر العباسي الثاني في الشرق ومصر والمغرب والأندلس، دار الجيل (بيروت، 1996م).

- الحسنية، سليم.

- من البيمارستان إلى المستشفى، منشورات وزارة الثقافة، والإرشاد القومي (دمشق، 1998).

- حسن، علي إبراهيم.

1- التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، د.ت).

2- مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1993م).

- حسين، محمد كامل.

- الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب (القاهرة، د.ت).

- الحويري، محمود محمد.

- الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد وعصر الحروب الصليبية، دار المعارف (القاهرة، 1979م).

- حلاق، حسان.

- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية (بيروت، 1989م).

- الحلوجي، عبدالستار.
- لمحات من تـاريخ الكُتـب والمكتبـات، دار الثقافـة (القـاهرة، 1990م).
- حمارنة، سامي.
- علوم الحياة ورد ضمن كتاب عبقرية الحضـارة العربيـة منبـع النهضة الأوروبية، وزارة الثقافة والإرشـاد القـومي (دمشـق، 1982م).
- الخطيب، محمد.
- حضارة أوروبا العصور الوسطى، منشورات دار عـلاء الـدين (د.م، د.ت).
- خفاجي، محمد عبدالمنعم.
- الآداب العربية في العصر العباسي الأول، دار الجيـل (بيـروت، 1992م).
- الخلادي، عبدالقادر.
- صور ومشاهد من الحضارة الإسلامية مُنتخبات أدبية، دار الكتب العربية (الرباط، د.ت).
- خوام، محمد نزار وآخرون.
- تاريخ العلاج والدواء في العصور القديمة – العصر الإسـلامي – عصر النهضة في أوروبا (الرياض، 1990م).
- خيرالله، أمين أسعد.
- الطب العربي مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطـب والعلـوم المتصلة به، ترجمة مصطفى أبو العـز، المطبعـة الأمريكانيـة (بيروت، 1946).
- الدّفاع، علي عبدالله.
- إسهام علماء العرب والمسلمين في الصـيدلة، مؤسسـة الرسـالة (بيروت، 1987م).
- دندش، عصمت عبداللطيف.
- الأندلس في نهاية المرابطين ومُستهل دولـة الموحـدين عصـر

الطوائف الثاني (510-546هـ/1116-1151م) تاريخ سياسي وحضاري، دار الغرب الإسلامي (بيروت، 1988م).

- دهمان، محمد أحمد.
  - في رحاب دمشق، دار الفكر (دمشق، 1982م).
- دياب، مفتاح محمد.
  1- مقدمة في تاريخ الكتب والمكتبات، دار الكتب الوطنية (بنغازي، 1992).
  2- مكتبات المستشفيات والمراكز الصحية، دار الصفا (عمان، 2006م).
- ديورانت، ول وايزيل.
  - قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1959).
- الدينالي، نورا إبراهيم.
  - الدولة البيزنطية في فترة حكم الأسرتين الأيسورية والعمورية (717-967م) دراسة تحليلية مقارنة، منشورات جامعة بنغازي (بنغازي، 2008م).
- الربيعي، عبد الله بن عبد الرحمان.
  - أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية (الرياض، 1994).
- رضوان، محمد.
  - أسرار الأمير العاشق ليالي هارون الرشيد بين الحقيقة والأسطورة (القاهرة، 1998م).
- الروبي، أبو شادي.
  - محاضرات في تاريخ الطب العربي، دار المريخ للنشر (الرياض، 1988م).
- روم، لاندو.
  - الإسلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين (بيروت، 1962).

- زهران، حامد عبدالسلام.
  - الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتاب (القاهرة، 1994).
- زيادة، نقولا.
  - الحسبة والمحتسب في الإسلام، المطبعة الكاثوليكية (بيروت، 1962م).
- الساعاتي، يحيى محمود بن جنيد.
  - الوقف والمجتمع نماذج وتطبيقات من التاريخ الإسلامي (الرياض، 1997م).
- السامرائي، خليل إبراهيم.
  - دراسات في تاريخ الفكر العربي، جامعة الموصل (الموصل، د.ت).
- سامي، سماح.
  - الطب والصيدلة عند العلماء العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 2007م).
- السباعي، مصطفى.
  - من روائع حضارتنا، دار الإرشاد (بيروت، 1968م).
- السروجي، عبدالغني ماجد.
  - تاريخ طب الأسنان وأصول مزاولة المهنة، المطبعة الجديدة (دمشق، 1986م).
- السعيد، عبدالله عبدالرازق.
  - الطب ورائداته المسلمات، مكتبة المنار (د.م، 1986م).
- سليمان، نعمان الطيب.
  - منهج صلاح الدين الأيوبي في الحكم والقيادة، مطبعة الحسين الإسلامية (القاهرة، 1991م).
- الشريقي، إبراهيم.
  - أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا الغربية ضمن كتاب بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 2006م).

- الشطي، أحمد شوكت.

- العرب والطب، منشورات وزارة الثقافة (دمشق، 1970م).

- شكور، رسمية.

- مقدمة في علم الصيدلة وتاريخها، مؤسسة الوراق (عمان، 1999م).

- شواهين، خير.

- دور العلماء العرب في نهضة الحضارة الغربية، دار المسيرة (عمان، 2007م).

- طوقان، قدري حافظ.

- العلوم عند العرب (القاهرة، د.ت).

- طقوش، محمد سهيل.

- التاريخ الإسلامي الوجيز، دار النفائس (بيروت، 2006).

- عاشور، سعيد عبدالفتاح.

- أوروبا العصور الوسطى النهضات والحضارة والنظم، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1976م).

- عاشور، سعيد عبدالفتاح وآخرون.

- دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، منشورات ذات السلاسل (الكويت، د.ت).

- العبادي، أحمد مختار.

- في التاريخ العباسي والأندلسي، مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، د.ت).

- عبدالرحمان، حكمت نجيب.

- دراسات في تاريخ العلوم عند العرب (الموصل، 1977م).

- عبدالرحيم، عبدالمجيد.

- تنمية الأطفال المعاقين، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة، 1997).

- عطية، أحمد عبدالحليم.

- دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للنشر والتوزيع (القاهرة، 1991م).

- عسيري، مزيران سعيد.

- تعليم الطب في المشرق الإسلامي نظمه ومناهجه حتى نهاية القرن السابع الهجري (مكة، 1417هـ).

- العقاد، عباس محمود

- أثر العرب في الحضارة الأوروبية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة، 1998م).

- العلوجي، عبدالحميد.

- تاريخ الطب العراقي، مطبعة أسعد (بغداد، 1967م).

- علي، سيد أمير.

- مختصر تاريخ العرب، ترجمة منير البعلبكي، دار صادر (بيروت، 1967م).

- علي، عصام الدين محمد.

- بواكير الثقافة الإسلامية وحركة الترجمة والنقل، منشأة المعارف (الإسكندرية، 1986م).

- عليان، ربحي مصطفى.

- المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، دار الصفاء (عمان، 1999م).

- عكاوي، رحاب خضر.

- الموجز في تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل (بيروت، 1995م).

- عوض، محمد مؤنس.

- عصر الحروب الصليبية، مطبعة صحوة (القاهرة، 2006م).

- عيسى، أحمد.

- تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي (بيروت، 1981م).

- العيسوي، عبدالفتاح محمد.

- تاريخ الطب النفسي عند العلماء المسلمين، دار النهضة العربية (بيروت، 1993م.)
- غليونجي، بول.
- ابن النفيس، الدار المصرية للتأليف والترجمة (القاهرة، د.ت).
- فروخ، عمر.
- تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين (بيروت، 1970م).
- فروخ وآخرون.
- تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية (بيروت، د.ت).
- قاسم، محمود الحاج.
- الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة بـــه، مكتبـــة الإرشاد (بغداد، 1974م).
- قطاية، سلمان.
- الطبيب العربي علي بن رضوان رئيس أطباء مصـــر (تـــونس، 1984م).
- كاشف، سيدة.
- مصر في عصر الطولونيين والأخشيديين (القاهرة، 1960م).
- كحالة، عمر رضا.
- العلوم العملية في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية (دمشـــق، 1972م).
- كرد علي، محمد.
- خطط الشام، دار القلم (بيروت، 1971).
- الكروي، إبراهيم سلمان وعبدالتواب شرف الدين.
- المرجع في الحضارة العربيـــة الإســـلامية، مركـــز الإســـكندرية للمكتبات (الكويت، 1984).
- كولتون، ج.ج.
- عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، ترجمة جوزيف نسيم يوسف، دار النهضة العربية (بيروت، 1981م).
- المبارك، هاني وشوقي أبو خليل.

- دور الحضارة العربية الإسلامية في النهضة الأوروبية، دار الفكر (دمشق، 1996م).

- مايرهوف ماكس.

- الطب العربي ضمن كتاب تراث الإسلام، بإشراف سير أرنولـــد، عربه وعلق على حواشيه جرجيس فتح الله، دار الطليعة للطباعة والنشر (بيروت، 1978م).

- متز، آدم.

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة عبدالهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي (القاهرة، 1967م).

- محمد، ماهر عبدالقادر.

1- التراث والحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية (بيروت، د.ت).

2- دراسات وشخصيات في تاريخ الطب العربي، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 1991م).

- محمد، نبيلة حسن.

- محاضرات في تاريخ الشام في العصر الإسلامي، مكتبة كريديـــة (أسوان، 1983م).

- محمود، يوسف.

- الإنجازات العلمية في الحضارة الإســـلامية، دار وائـــل (عمـــان، 2004م).

- مظهر، جلال.

- الحضارة الإسلامية أساس التقدم العلمي الحديث، مركـــز الشـــرق الأوسط (د.م، 1969م).

- معروف، ناجي.

- أصالة الحضارة العربية، مطبعة التضامن (بغداد، د.ت).

- المنجد، صلاح الدين.

1- مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالين المسلمين، دار الكتاب

الجديد (بيروت، 1967م).
2- المشرق في نظر المغاربة الأندلسيين، دار الكتاب الجديد (بيروت، 1963م).

- موراني، حميد وعبدالحليم منتصر.
- قراءات في تاريخ العلوم عند العرب، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر (الموصل، د.ت).

- النجار، عامر.
- في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 2007م).

- النشار، السيد السيد.
- تاريخ المكتبات في مصر العصر المملوكي، الدار المصرية اللبنانية (القاهرة، 1993م).

- الهاشمي، رحيم كاظم محمد وعواطف محمد العربي شنقارو.
- الحضارة العربية الإسلامية دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية (د.م، 2003م).

- الهاشمي، محمد.
- علة ركود الحضارة في العصور الوسطى (ورد ضمن كتاب بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية) مؤسسة شباب الجامعة (الإسكندرية، 2000م).

- وات، مونتجمري.
1- أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا، ترجمة أبي جابر، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي (دمشق، 1984م).
2- فضل الإسلام على الحضارة العربية، ترجمة حسين أمين، مكتبة مدبولي (القاهرة، 1983م).

- يوسف، جوزيف نسيم.
- تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها، دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية، 2005م).

- ياسين عبدالناصر.

- الفنون الزخرفية بمصر في العصر الأيوبي، دار الوفـــاء لـــدنيا الطباعة والنشر (الإسكندرية، 2002).
- يونس، فتحي.
- أثر العرب والمسلمين في الحضارة الأوروبيـــة، مطـــابع ســـجل العرب (القاهرة، 1996م).

**الكتب الأجنبية:**

**ب-**

- Promann, Peter E and Emilie Samage Smith
  **Medieval Islamic Medicine,** The Cromwell Press Melksham (Britain, 1997).
- Kawakita, Yosio and Shizu Sakat.
  **History of hospitals**, the evaluation of health care facilities (Japan, 1986).
- Ullmann, Manfred.
  **Islamic Medicine** (Press, 1997). The Cromwell

## ثالثاً: الدوريات


- الإدريسي، زهراء محمد سعيد محمد

  - الجراحة التقويمية لإصابات الحرب عند الأطباء العرب والمسلمين، مجلة التاريخ العربي، العدد الثالث، جمعية المؤرخين المغاربة (الرباط، 1998م).

- ثابت، عبدالرؤوف.

  - الفصام أسبابه وأنواعه، مجلة الفيصل، العدد التاسع، المجلد السبعون، دار الفيصل الثقافية (الرياض، 1978م).

- الحجي، حياة ناصر.

  - البيمارستان المنصوري منذ تأسيسه وحتى نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، العدد التاسع والعشرون، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، المجلد الثامن، جامعة الكويت (الكويت، 1988م).

- حمارنه، سامي.

  1- الصناعة الطبية في العصر الإسلامي الذهبي، مجلة عالم الفكر، العدد الثاني، المجلد العاشر، وزارة الإعلام (الكويت، 1979م).

  2- العناية بالطفل والمرضعات في الطب العربي، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد الرابع والعشرون، السنة الثانية، دار النشر العربية (بيروت، 1980م).

- الخضر، عفاف الرشيدي.

  - الطب العربي من 1000 سنة، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد الخامس، السنة الأولى، دار اليمامة للصحافة (بيروت، 1979م).

- خطاب، فرات فائق.

  - الملاحظات الإكلينيكية والحالات السريرية في كتاب الحاوي للرازي، مجلة المورد، العدد الرابع، المجلد الثاني، وزارة الإعلام (بغداد، 1973م).

- دهمان، محمد أحمد.

- على هامش تاريخ البيمارستانات في الإسلام تحقيقات واستدراكات، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد الثامن عشر، مطبعة الترقي (دمشق، 1943م).

- الدويبي، عبدالسلام بشير.

- أخلاقيات مهنة الطب الأبعاد المثالية والمضامين، مجلة الإخاء، الهلال الأحمر الليبي (طرابلس، 1991م).

- ريحاوي، عبدالقادر.

- تاريخ الفن والعمارة في دمشق، مجلة المعرفة، العدد الحادي والثلاثون، السنة الثالثة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي (دمشق، 1964م).

- زكي، عبدالرحمان.

1- الأطباء في العصر الفاطمي، مجلة منبر الإسلام، العدد الرابع، المجلد الحادي عشر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة، 1969م).

2- الطب والأطباء في العصر الأيوبي، مجلة منبر الإسلام، العدد التاسع، المجلد الثالث والعشرون، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية (القاهرة، 1388هـ).

- زيود، محمد.

- نظام الحسبة في الإسلام، مجلة دراسات تاريخية، العددان التاسع والعشرون والثلاثون، السنة التاسعة، لجنة كتابة تاريخ العرب والعالم (دمشق، 1988م).

- السباعي، فاضل.

- دمشق عبر التاريخ، مجلة الفيصل، العدد السابع والثلاثون، السنة الرابعة، المجلد الثالث عشر، دار الفيصل للثقافة (الرياض، 1980م).

- سرور، اسماعيل.

1- تقاليد وآداب المهنة الطبية بين قسم أبقراط وقسم ابن رضوان،

مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد التاسع عشر، دار النشر العربية (بيروت، 1990م).

2- الطب العربي في نظر العلماء والمؤرخين، مجلة تاريخ العرب والعالم، العددان التاسع والخمسون والستون، دار النشر العربية (بيروت، 1983م).

- الطويل، توفيق.
- لقطات علمية من تاريخ الطب العربي، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلد الخامس، وزارة الإعلام (الكويت، 1974م).
- الطيناش، إيتان.
- علم الأدوية المفردة في الطب الإسلامي، ترجمة عبدالكريم أبو شويرب، مجلة كلية الدعوة، العدد التاسع، كلية الدعوة الإسلامية (طرابلس، 1992م).
- العبود، نافع توفيق.
- في تاريخ الترجمة عند العرب، مجلة المؤرخ العربي، العدد العاشر، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب (بغداد، 1974م).
- عرب، مرسي محمد.
- التراث الطبي العربي بين الأصالة والتجديد، مجلة المؤرخ العربي، العددان السابع والثامن (بغداد، 1968م).
- عزالدين، حبيب مصطفى.
- صفحات في الحضارة الإسلامية، **مجلة الثقافة العربية** الحسبة على الأطباء والصيادلة، العدد مائتان وأربعة وثمانون (بنغازي، 2007).
- العريني، السيد الباز.
- الحسبة والمحتسبون في مصر، المجلة التاريخية المصرية، العدد الثامن، المجلد الرابع (القاهرة، 1950).
- غانم، عماد الدين.
- المدرسة الطبية الدمشقية إحدى مظاهر السياسة الثقافية خلال الفترة الزنكية والأيوبية، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين

ضد الغزو الإيطالي، العدد الأول، السنة السابعة (طرابلس، 1985م).

- غانم، مؤنس محمود.

- البيمارستانات في التاريخ العربي ونظام العمل بها، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد الثاني والستون، المجلد السادس، دار النشر العربية (بيروت، 1984م).

- غني، قاسم.

- من تاريخ الطب الإسلامي، مجلة الرسالة، العدد سبعة آلاف وثمانمائة وواحد وثلاثون، المجلد السادس عشر، مطبعة الرسالة (القاهرة، 1948م).

- فتح الباب، حسن.

- من آثار علماء العرب في الميادين العلمية، مجلة العرب، المجلد الرابع، دار اليمامة للبحث والترجمة (الرياض، 1969م).

- الكك، فيكتور.

- المستشفيات معالم بارزة في تاريخ الحضارة العربية، مجلة الفيصل، العدد السابع عشر، السنة الثانية، المجلد الرابع عشر، دار الفيصل الثقافية (الرياض، 1980م).

- كمال الدين، جليل.

- ابن سينا عالماً نفسياً، مجلة العلوم، العدد الأول، السنة الثالثة، دار العلم للملايين (بيروت، 1958م).

- الكيالي، عبدالرحمان.

- ثقافة الأطباء عند العرب، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلدان الرابع والثلاثون والخامس والثلاثون، مطبعة الترقي (دمشق، 1959م).

- الماجد، عبدالله.

- مدرسة جنديسابور الطبية، مجلة العرب، الجزء الأول، المجلد الثاني، دار اليمامة للبحث والنشر (الرياض، 1967م).

- محمد، محمود الحاج قاسم.

- السلوك الطبي للأطباء العرب والمسلمين، مجلـــة تـــاريخ العـــرب والعالم، العدد الثالث والسبعون، السنة السادسة، دار النشر العربية (بيروت، 1984م).

- محمود، صالح رمضان.

- أهم المبدعين في مجال الفكر والعلم التي أغنت الحضارة العربيـــة الإسلامية المسيرة الإنسانية، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثـــامن عشر، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب (بغداد، 1981م).

- مطاوع، علي.

- الطب الإسلامي أو الطب النبوي، مجلة الأزهـــر، العـــدد الواحـــد والخمسون، مجمع البحوث بالأزهر (القاهرة، 1979م).

- موسى، جلال محمد.

- الطب والأطباء، مجلة عالم الفكر، العدد الأول، المجلـــد التاســـع، وزارة الإعلام (الكويت، 1978م).

# رابعاً: معاجم اللغة


- جابر، جابر عبدالحميد وعلاء الدين كفافي.
  - **معجم علم النفس والطب النفسي** إنجليزي عربي، وزارة النهضة العربية (القاهرة، 1992).
- أنيس، إبراهيم وآخرون.
  - **المعجم الوسيط**، دار الأمواج (بيروت، 1990).
- الجواليقي، موهوب بن أحمد (465هـ/1072م).
  - **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المُعجم**، تحقيق أحمد محمد شاكر مطبعة دار الكتب الوطنية، (د.م، 1969).
- الرازي، محمد بن أبي بكر.
  - **مختار الصحاح**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عُني بترتيبه محمود خاطر، مراجعة لجنة مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية (القاهرة، 1976).
- الزركلي، خيرالدين.
  - **الأعلام** قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (بيروت، 2002).
- عيسى، أحمد.
  - **معجم الأطباء** ذيل عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، دار الرائد العربي (بيروت، 1982م).
- العيسوي، عبدالرحمان.
  - **قاموس مصطلحات علم النفس والتربية**، الدار الجامعية (د.م، 1987).
- مجمع اللغة العربية.
  - **المعجم الوجيز**، وزارة التربية والتعليم (القاهرة، 1994).
- مسعود، جبران.
  - **الرائد** معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين (بيروت، 1992).

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ/1311م).
- **لسان العرب،** تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف (القاهرة، 1981).
- **المنجد الأبجدي**، دار المشرق (بيروت، 1986).
- اليسوعي، لويس معلوف.
- **المنجد في اللغة والآداب والعلوم،** المطبعة الكاثوليكية (بيروت، د.ت).

## خامساً: الموسوعات والأطالس ودوائر المعارف


- اللجنة العلمية الاستشارية للمعرفة.
  - **موسوعة المعرفة**، شركة ترادكسيم (جنيف، 1971).
- مارديني، عبدالرحيم.
  - **موسوعة مشاهير وعظماء وشخصيات من العالم**، دار المحبة (دمشق، 2002).
- مصطفى، ماجد.
  - **موسوعة العباقرة العرب**، دار الأمل للنشر والتوزيع (الجيزة، 2006).
- البستاني، بطرس.
  - **دائرة المعارف**، دار المعرفة (بيروت، د.ت).
- وجدي، محمد فريد.
  - **دائرة معارف القرن العشرين**، دار المعرفة (بيروت، 1971).